
قال الله تعالى
قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
صدق الله العظيم
أين الخاشعون في الصلوة؟
إعداد
ابوطلحة محمد يونس بن عبد الستار
نزيل المدينة المنورة (زادها الله شرفا)
١٤١٠هـ — ١٩٩٠م



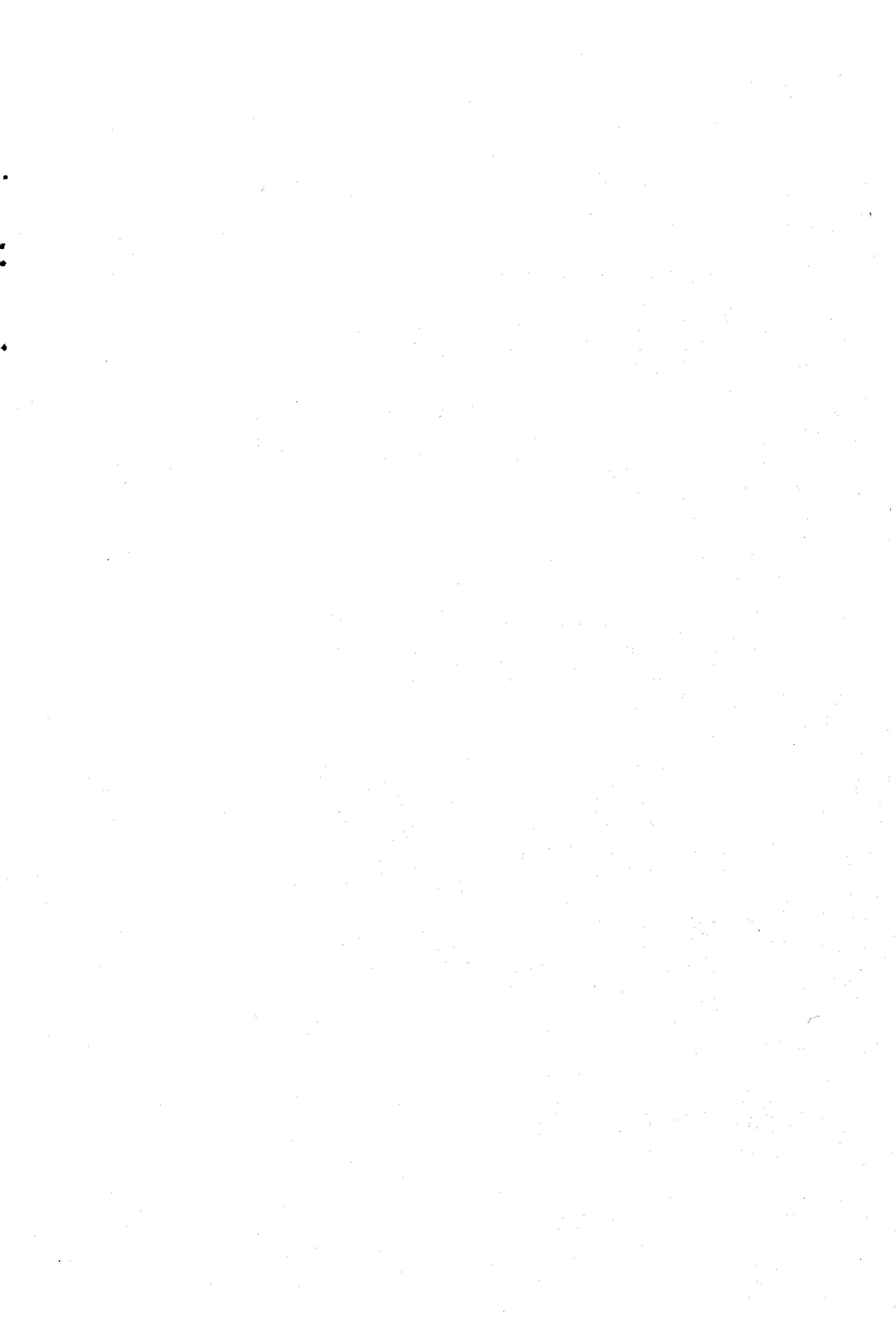
كتاب

حول مكانة الصّلاة في الإسلام، ذكر المؤلف فيه سننها وآدابها وأهمية الخشوع فيها وسرد في ذلك آي القرآن الكريم والأحاديث النبويّة على صاحبها الصّلاة والتسليم، وحث المصلّين على أن الصّلاة مناجاة الربّ سبحانه وتعالى فلا ينبغي للمصلّي أن يلتفت إلى الخلق بالقلب والجوارح ويرغب عن مناجاة الخالق الذي يراه حين يقوم وتقلّبه في السّاجدين، فان الكتاب يرغّب المؤمنين إلى الانضمام بهؤلاء الذين قال الله تعالى في شأنهم:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

« وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ »







الإهـــداء

إلى إخواني وأخواتي

المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات

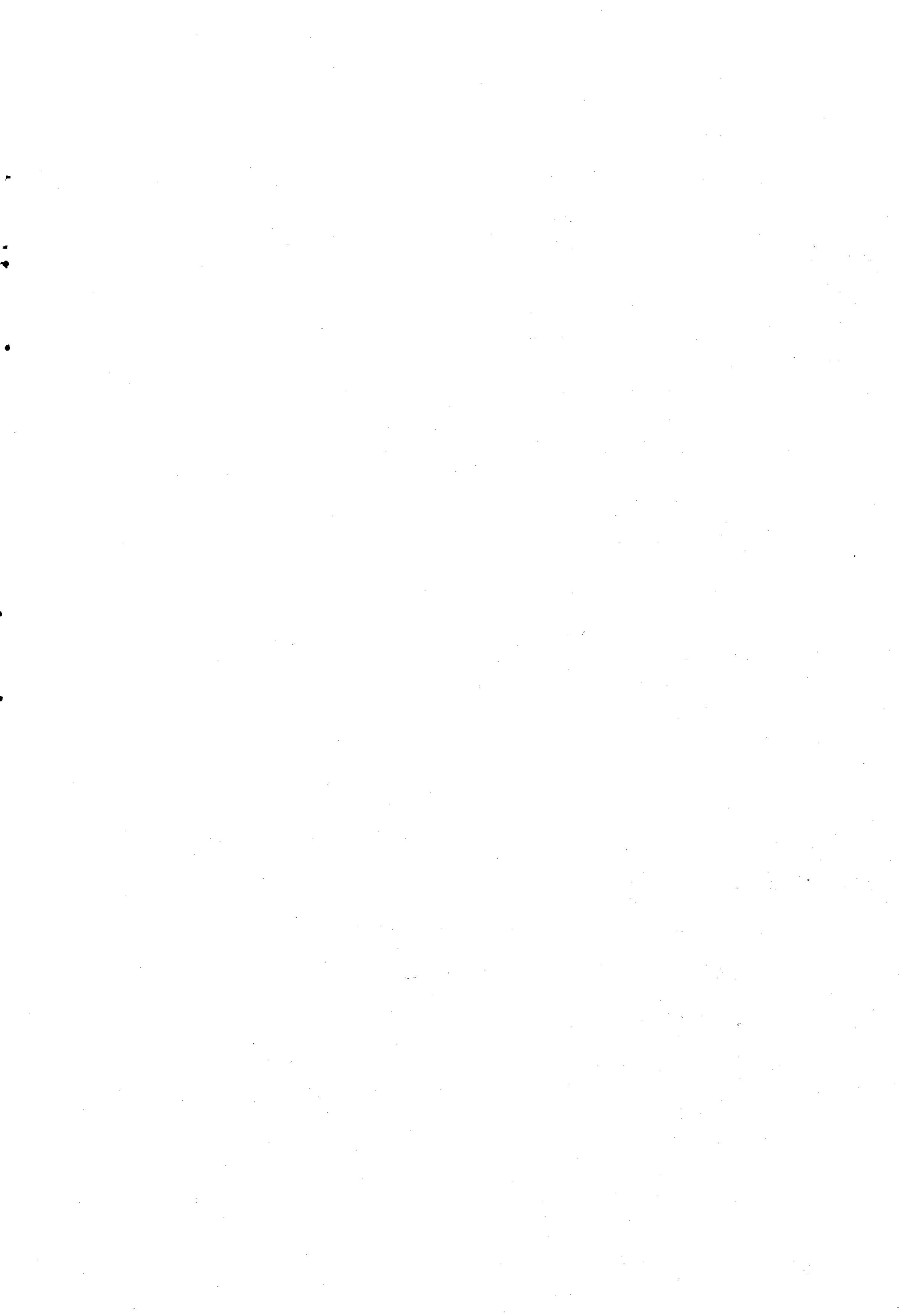
والخاشعين والخاشعات

والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فُروجهم والحافظاتِ والذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات

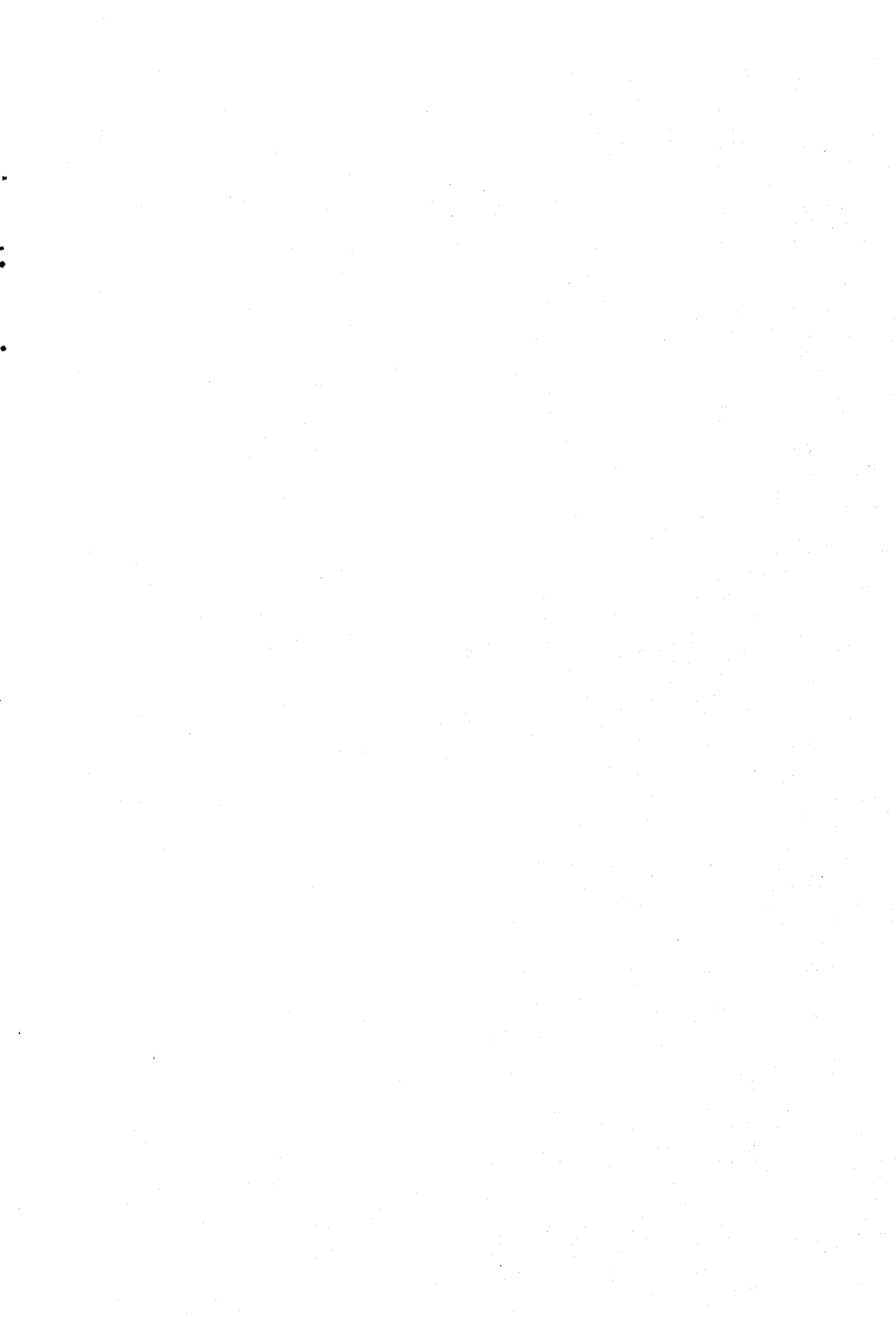
أقدم إليهم كتابي هذا

«أين الخاشعون في الصلاة ؟»

سائلا المولى الكريم أن يجعلنا من المذكورين أعلاه ، ومن التائبين العابدين الحامدين السّائحين الراكعين الساجدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والحافظين لحدود الله ، وممّن قال في حقهم : أولئك هم المؤمنون حقّاً ، أولئك حزب الله ، أولئك هم الراشدون ، أولئك هم المفلحون ، أولئك هم الفائزون ، وأن يجعلنا ممّن إذا دَعَوه استجاب لهم وإذا سألوه أعطاهم ، وإذا استغفروه غفر لهم ، وأن يجعلنا أهلا لأن ننالَ شرف كرامته ورضاه ، إنه هو البَرُّ الرحيم ، اللهم آمين .




بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله تعالى
قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
صدق الله العظيم



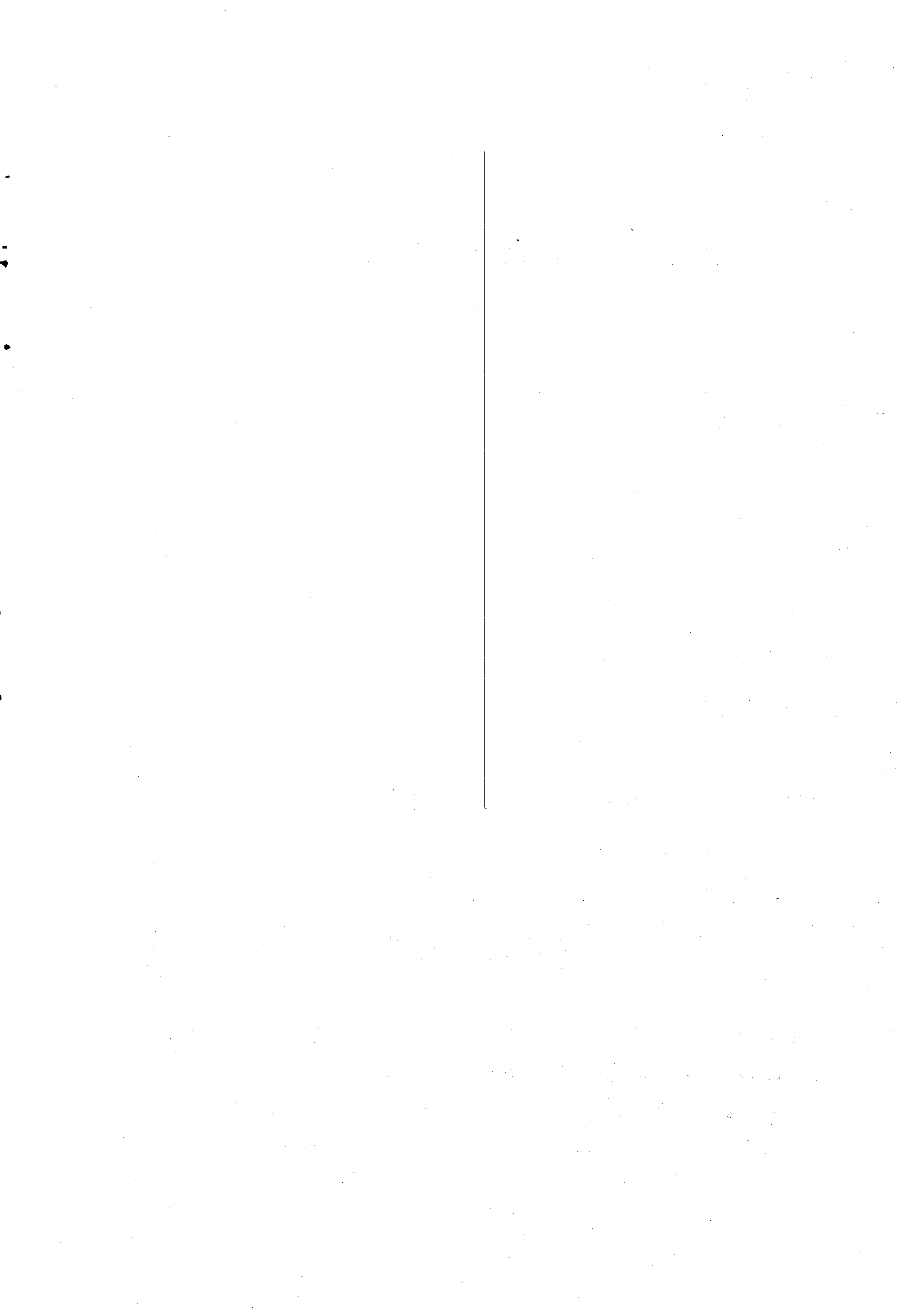


عن «زياد بن لبيد قال : ذكر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً – شيئاً ، فقال : «ذاك عند أوان ذهاب العلم» فقلت: يارسول الله ! وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال : «ثكلتك أمك زيادُ ! إن كنتُ لأراك من أفقه رجل بالمدينة ، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ، لا يعملون بشيء مما فيهما؟» .

وفي رواية أخرى : قال جبير : فلقيت عبادة بن الصامت قلت : ألا تسمع إلى مايقول أخوك أبوالدرداء ؟ فأخبرته بالذي قال أبوالدرداء ، قال : صدق أبوالدرداء ، إن شئت لأحدّثنّك بأوّل علم يرفع من الناس الخُشُوع، **يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَامِعِ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا**[1]»

---

(١) أخرجه ابن ماجه بإسناد صححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني [٢٠/٣٧٧] وأحال على المشكاة [٢٤٥ ، ٢٧٧] وتخريج العلم لأبي خيثمة [٥٢] وتخريج اقتضاء العلم [٨٩] . وأخرجه الترمذي [السنن ٥ /٣١-٣٢] [تحفة الأحوذي ٧ /٤١٣] . وأخرجه الحاكم من هذا الوجه وقال : هذا إسناد صحيح من حديث البصريين [المستدرك ١ /٩٩] .



بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله . وبعد :

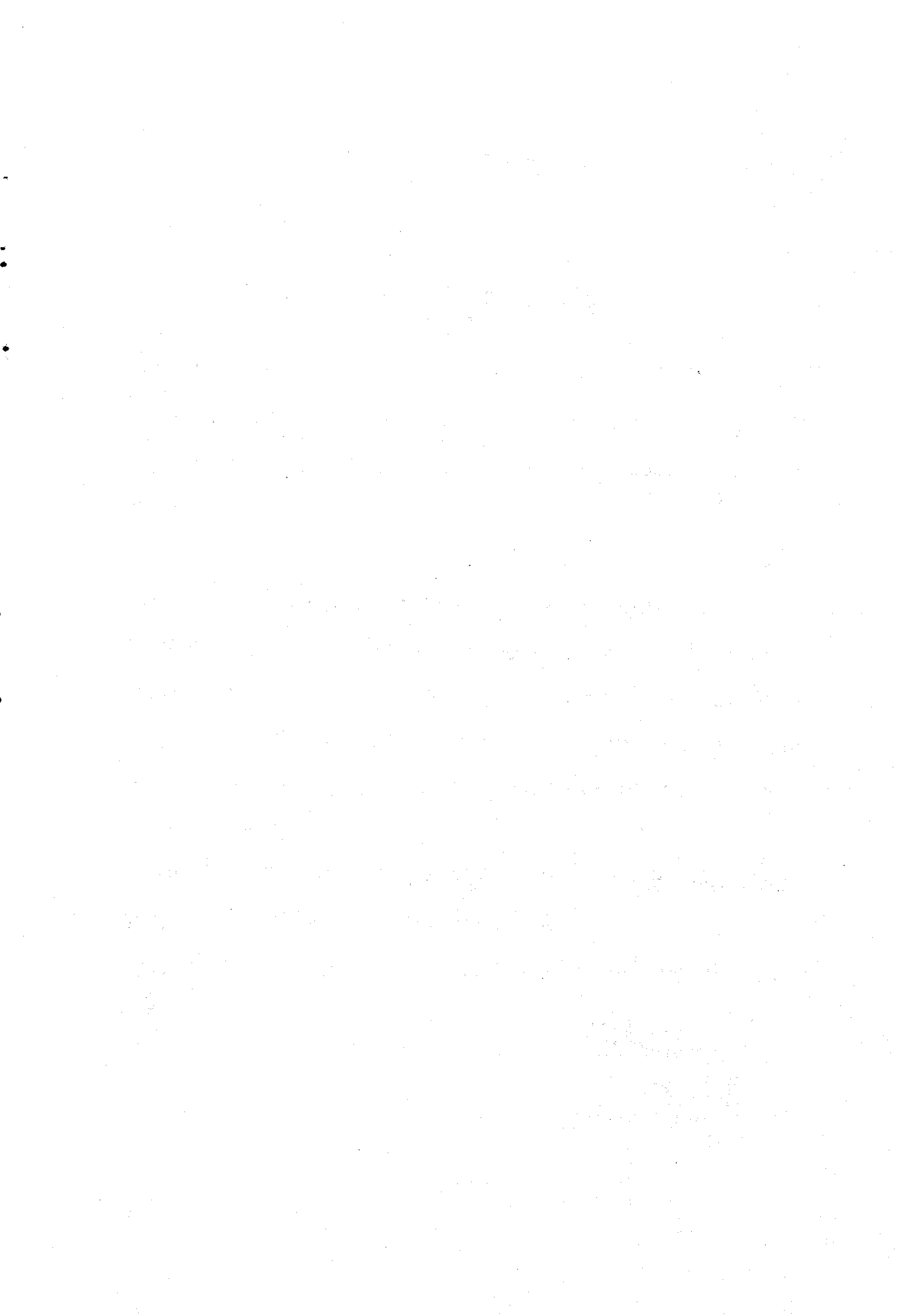
لقد سُررنا وسُعدنا بموافقة المحسن الفعال للخير خادم العلم أخينا في الله فضيلة الشيخ / **«زكي بن عبدالله بن أحمد الرفاعي»** رئيس شعبة مستودعات الحرم النبوي الشريف وإمام وخطيب مسجد الخطاف على تلبيته الفورية بالموافقة على طبع هذا الكتاب في أجمل صورة وأحسن حلية كما هو موجود بين يدي القارئ وتوزيعه ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ، فجزاه الله خيرا على حسن صنيعه هذا ، وسدد الله تعالى خطاه ووفقه وبارك فيه وفي ذريته ، إنه تعالى جواد كريم .

والله أسأل أن ينفع الأمة بهذا الكتاب ويجعلنا ممن يتبع رسوله (ﷺ) ويبتغي رضوانه ويجتنب سخطه آمين يارب العالمين .

وصلى الله على سيِّدنا ونبينا محمد بن عبدالله عبدالله ورسوله وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

المؤلف

Young Butt



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله القائل في محكم التنزيل : ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله سيد الخاشعين وإمام المتقين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين شيّدوا أركان الإسلام وحافظوا على الصلوات وقاموا لله قانتين وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فقد قدم إليَّ فضيلة الأخ الشيخ أبو طلحة محمد يونس بن عبدالستار نزيل طيبة الطيبة نسخة من مخطوطة مؤلَّفه كتاب «أين الخاشعون في الصلاة ؟» وطلب مني أن يطبع هذا الكتاب حيث هو محتسب أجره عندالله عز وجل .

وبعد تصفحي لهذا الكتاب القيم وما حواه من فضائل الصلاة والحث عليها وأهميتها وسننها وآدابها والخشوع فيها ، ولأنها أول مايسأل عنه العبد يوم يقوم الناس لرب العالمين وأنها إذا صلحت صلح سائر عمله .

استعنت بالله تعالى بأن يوفقني للقيام بهذه المهمة لما فيها من أجر عظيم وثواب جزيل حيث جاء في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام : «من دلَّ على خير فله مثلُ أجر فاعله» .

ثم طبعناه بكمية كبيرة لكى يستفيد عدد كبير من المؤمنين الذين هم على صلواتهم يحافظون وتنبيها لمن يتهاون في الصلاة فيؤخرها عن وقتها ولا يهتم بسننها وآدابها والخشوع فيها .

وإن هذا الكتاب النفيس الذي ذكر فيه أفضل عمل اليوم والليلة – قال تعالى : ﴿أقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل ......﴾ الآية – جدير بأن يقرر في المعاهد والمدارس وأن يدرس أفلاذ الأكباد الذين أوصى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : «مروا أبنائكم بالصلاة لسبع» .

هذا والله تعالى أسأل أن يجزل الثواب بمنه وكرمه وأن يجزينا وكل من ساعدنا في ذلك وأن يتقبل القليل من الجميع ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

خادم العلم

زكي بن عبدالله بن أحمد الرفاعي

رئيس شعبة مستودعات الحرم النبوي الشريف

بشئون الحرمين الشريفين

المدينة المنورة

تقريب

فضيلة الشيخ محمد عاشق إلهي البرني حفظه الله تعالى
المفتي بدار العلوم كراتشي (سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه حملة الدين المتين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الصلاة أهم أركان الدين بعد الشهادين وعموده ، وقد افترض الله تعالى خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فعباده المصلون يناجونه مرة بعد مرة ، ويحضرون بين يدي ربهم مثنين عليه تبارك وتعالى وقانتين وراكعين وساجدين ، والصلاة خير موضوع ، ولها ميزة خاصة ليست لعبادات أخرى فيؤذن لوقت كل صلاة ، وإذا كبر المصلي للافتتاح يشتغل لسانه بالذكر والقراءة والدعاء حسب ماأمر ، وقلبه بالخشوع والخضوع ، وجوارحه بالأفعال التي هي فرائض الصلاة أو سننها أو آدابها ، فالجسم والروح والظاهر والباطن كل ذلك مشتغل بالصلاة، وليس هذا لأي عبادة أخرى غير الصلاة .

ونرى رجالا يصلون ولايهتمون بأداء الصلاة كما هو حقها فيصلون غير متممين ركوعها وسجودها ، وغير مقبلين إلى الصلاة ، وغير مهتمين بسننها وآدابها ، وأما الخشوع فكأنه شريعة نسخت لاترى في ألوف من الناس رجلا خاشعا في صلاته ، ونفوسهم تحاسب فيها حساب ماباعوا وما اشتروا في دكاكينهم ومافعلوا قبل الصلاة ومايفعلون بعدها ، ويذكر الشيطان ما لا يذكر المصلي في ذلك الحين ، وهذه الأمور كلها ينتقص بها أجر الصلاة ، كما قال النبي ﷺ : «إن الرجل لينصرف وما كُتب له إلا عشر صلاتِه ، تُسعها، ثُمنها

سبعها سُدسها خُمسها رُبعها ثُلثها نصفها» (رواه أبو داود).

مع أن الخشوع في الصلاة من أعظم الأمور التي رغب الله تعالى فيها فقال عز من قائل : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ فذكر عباده المفلحين وبدأ من صفاتهم بالخشوع في الصلاة ، وقال جل وعلا في حق أنبياءه الكرام عليهم الصلاة والسلام : ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ ، ومدح الله تعالى مؤمني أهل الكتاب فقال : إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يَخرُّون للأذقان سُجداً ، ويقولون سبحان ربِّنا إن كان وعد ربِّنا لمفعولا ، ويخرُّون للأذقان يبكون ويزيدُهم خشوعاً﴾ .

فللخشوع شأن كبير في الصلاة وقد دل الله تعالى على طريقة حصول الخشوع في سورة البقرة فقال تعالى شأنه : ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ فبين أن الصلاة شاقة على الأنفس وأداءها هين على الخاشعين ، والخاشعون هم الذين يظنون (أى يوقنون) بأنهم ملاقو ربهم ويتيقنون أنهم إليه راجعون .

فإذا أيقن المصلي أن الصلاة تعرض يوم القيامة وتوضع في الميزان وأنا أوجر عليها أجرا كبيرا وإن فسدت ينتقص الأجر أو أحرم من الثواب كله فإنما هو يتوجه إلى صلاته بإخلاص كلي ، ويقبل بقلبه إلى صلاته ، ويخشع بقلبه ويخضع بجوارحه .

وإن أخي في الله فضيلة الشيخ أبو طلحة محمد يونس حفظه الله تعالى ألَّف كتابا مفردا في بابه في هذا العصر سماه باسم «**أيــن الخاشعــون في الصلاة؟**»

فذكر أهمية الخشوع وسرد في هذا الموضوع آي القرآن الكريم والأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والتحية وذكر سنن الصلاة كما ذكر مايخل بالخشوع ، ووجه المصلين إلى الخشوع في الصلاة وإلى آدابها الظاهرة والباطنة .

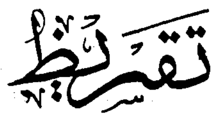
وإني طالعت كتابه من أوله وآخره قبل أن يبرز في قالب الطباعة فسررت جداً بما في كتابه هذا من نصوص الكتاب والسنة ء وهذا الكتاب حري بأن يوزع في المصلين ، ويودع في المساجد ، ويدرس في المدارس والمعاهد .

والله تعالى أسأل أن ينفع به عباده ويجزى مؤلفه أحسن الجزاء ويجعلنا من عباده المخلصين المنيبين الخاشعين ، وما ذلك عليه بعزيز ، إنه بالاجابة جدير ، وهو على كل شيء قدير .

والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهراً والصلاة والسلام على رسوله الذي أرسل طيبا وطاهرا .

وكتبه
محمد عاشق إلهي البرني
عفا الله عنه وعافاه

تحريرا في ١٣ /٤ /١٤١٠هـ
المدينة المنورة



فضيلة الشيخ عبدالحميد بن عبدالله الزغيبي
المدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والرسل وعلى آله وأصحابه الطيبين الغرر أما بعد :

فقد أطلعني فضيلة الأخ الشيخ محمد يونس بن عبدالستار على مؤلفه الفقهي **«أين الخاشعون في الصلاة ؟»** فوجدته مؤلف نفيس وعلامة جهد علمي جيد وعمل مبارك مفيد ؛ فقد ناقش الكتاب موضوعة مناقشة واسعة استوعب فيها أهم الموضوعات التي يجب على المسلم أن يتقيد بها في صلاته ذلك الركن الهام وهو الخشوع ، فقد لفت نظر القاريء إلى أهمية الصلاة وأهمية المحافظة عليها بالخشوع وأنه مما يذهب الأجر تركه ، ثم أخذ المؤلف بين الآداب التي ينبغي على المسلم الالتزام بها في صلاته وقد عرض ذلك في أبواب مفصلة جيدة واضحة العبارة سهلة المعنى .

وإنه من أهم مااسترعاني وأعجبني من هذا الكتاب هو مباشرته للموضوع دون إسهاب ممل أو اختصار مخل بل كان معتدل الاسلوب ، وهذه وحدها ميزة في كتبنا العصرية حيث مال الناس إلى القراءة السهلة السريعة ذات القيمة الجيدة وهذا مايمتاز به كتابنا .

كما أنه اشتمل على موضوعات مفيدة جداً ومعلومات قيّمة حول المساجد وفضلها والجماعة ووجوبها الأمر الذي يجعل الصدر منشرحاً وخاصة بعدما هجرت الجماعات والمساجد .

ثم إني لا أنزه الكتاب من الخطأ والنسيان فهو عمل بشري قابل للصواب والخطأ ، ولا ينجو من ذلك إلا كتاب الله الحفيظ وسنة رسول الله المعصوم عليه الصلاة والسلام .

وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق والسداد وأن يجعلنا من أهل العلم والدعوة إليه وأن يدلنا إلى الصواب والخير دائماً وإلى ما ينفعنا من العلوم والمعارف وأن يجعل ذلك خالصا لوجهه عزوجل من قلب صادق لا مراء فيه ولا رياء فقد قال صلى الله عليه وسلم : «من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار» .

ثم إن هذه الدنيا أبعد ماتكون عند رب العالمين ولا خير فيها إلا تقوى الله وذكره أو عالما أو متعلما .

جعلنا الله جميعا من أهل العلم العاملين على هدي الله ورسوله (ﷺ) والله أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كاتبه

عبدالحميد بن عبدالله الزغيبي

المدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة

المدينة المنورة

٢٢ ربيع الأول ١٤١٠هـ

كلمة عن التأليف

لفضيلة الشيخ الوليد بن عبد الرحمن الفريان، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إني أعوذبك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها[1] .

كثيراً مايقع الخلط بين معنى الخشوع ومعنى الطمأنينة فيلتبس أمرهما وتضيع معالمهما ، حتى يظنهما بعض الناس بمعنى واحد .

ولأن هذا الفهم قد يترتب عليه الاخلال بركن عظيم من أركان الدين ، رأيت من المفيد أن أفيد بعض الفوارق التي تعين على تحديد مفهوم كل واحد منهما.

وأول ذلك أن الطمأنينة جزء من أجزاء الصلاة الاساسية وركن من أركانها ، ولو فرط فيه المصلي فإن صلاته لاتستحق أن تسمى بهذا الاسم ، ويُعد انتهاكه هدماً جذرياً لأهم مقوماتها .

ففي حديث المسيء صلاته «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلّ» ثم أمره بالاطمئنان في الركوع والسجود والجلوس[2] .

ولما رأى حذيفة رجلا لا يتم الركوع ولا السجود قال له : ماصليت ، ولو مت مت على غير الفطرة[3] .

والطمأنينة هي السكون بعينه[4] ، وفي الحديث : «اسكنوا في الصلاة[5]» .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح رقم ٧٣ ، وأحمد في المسند ٣ /١٩٢ ، ٤ /٣٧١ .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٢ /٢٠٠-٢٠٢ ، ومسلم في الصحيح رقم : ٣٩٧ ، وأبو داود في السنن رقم : ٨٥٦ ، والترمذي في الجامع رقم : ٣٠٣ وابن ماجه في السنن رقم : ١٠٦٠.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ٢ /٢٢٧ والنسائي في المجتبى ٣ /٥٨-٥٩ .

(٤) الفتاوى : ٢٢ /٥٥٨ . (٥) أخرجه مسلم في الصحيح وأبوداود والنسائي عن جابر بن سمرة

والسكون يقتضى أن يكون في كل بعض من أبعاض الصلاة بحيث تكون الانتقالات بحركة معتدلة «حتى يرجع كل عظم إلى موضعه[1]» .

وأما الخشوع فأعم من الطمأنينة من حيث أن كل خاشع مطمئن ولا بد ، وهو أخص من حيث أنه ليس كل مطمئن خاشع .

ومعنى الخشوع هو الذل والخضوع والتواضع والانكسار ، مع كمال الحب والتعظيم لله عزوجل والانقطاع عما سواه[2] .

وأصله نابع من معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله وكماله فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع[3] .

وهو واجب من واجبات الصلاة ، ومن فاته كان آثما عاصيا ودليل ذلك قول الله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ . فإذا كان غير الخاشعين مذمومين دل ذلك على وجوب الخشوع ويدل عليه أيضا قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون – إلى قوله – أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ . إذ لو كان في هذه الخصال ماهو مستحب لكانت جنة الفردوس تورث بدونها ، لأن الجنة إنما تُنال بفعل الواجبات دون المستحبات[4] .

ولقد توعَّد صلى الله عليه وسلم العابث الذي يرفع بصره إلى السماء[5]، ولما شغله القرام ، وخشي أن يؤثر على خشوعه أمر عائشة فنزعته[6].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح : ٢ /٢٠٤ والنسائي في المجتبى ٣ /٣ . وابن ماجه في السنن رقم : ٨٦٢ . (٢) الخشوع لابن رجب ص ١٧ .

(٣) الخشوع لابن رجب ص ٢٠ . (٤) ينظر الفتاوى لابن تيمية ٢٢ /٥٥٤-٥٥٨ .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه .

(٦) أخرجه البخاري في الصحيح ١ /٤٠٨ وأحمد في المسند ٣ /١٥١-٢٨٣ من حديث أنس.

وردَّ ﷺ الخميصة إلى أبي جهم من أجل ذلك[1] .

ومايقتصر الخشوع على جارحة معينة ، وإنما هو عام يشمل جميع البدن وخاصة القلب الذي هو ملك الحواس ، وإذا خشع خشعت الجوارح والأعضاء .

وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي[2]» .

هذا ماأحببت أن أقدمه بين يدي الكتاب .

وبعد : فحاول المؤلف – وفقه الله – أن يقدم شيئا مفيداً للمجتمع من خلال حديثه عن أهم الجوانب المتعلقة بهذه المسألة ، وأعطى الموضوع حقه من البحث والدرس .

فشكر الله لمؤلف الكتاب جهده ونفع به إنه جواد كريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

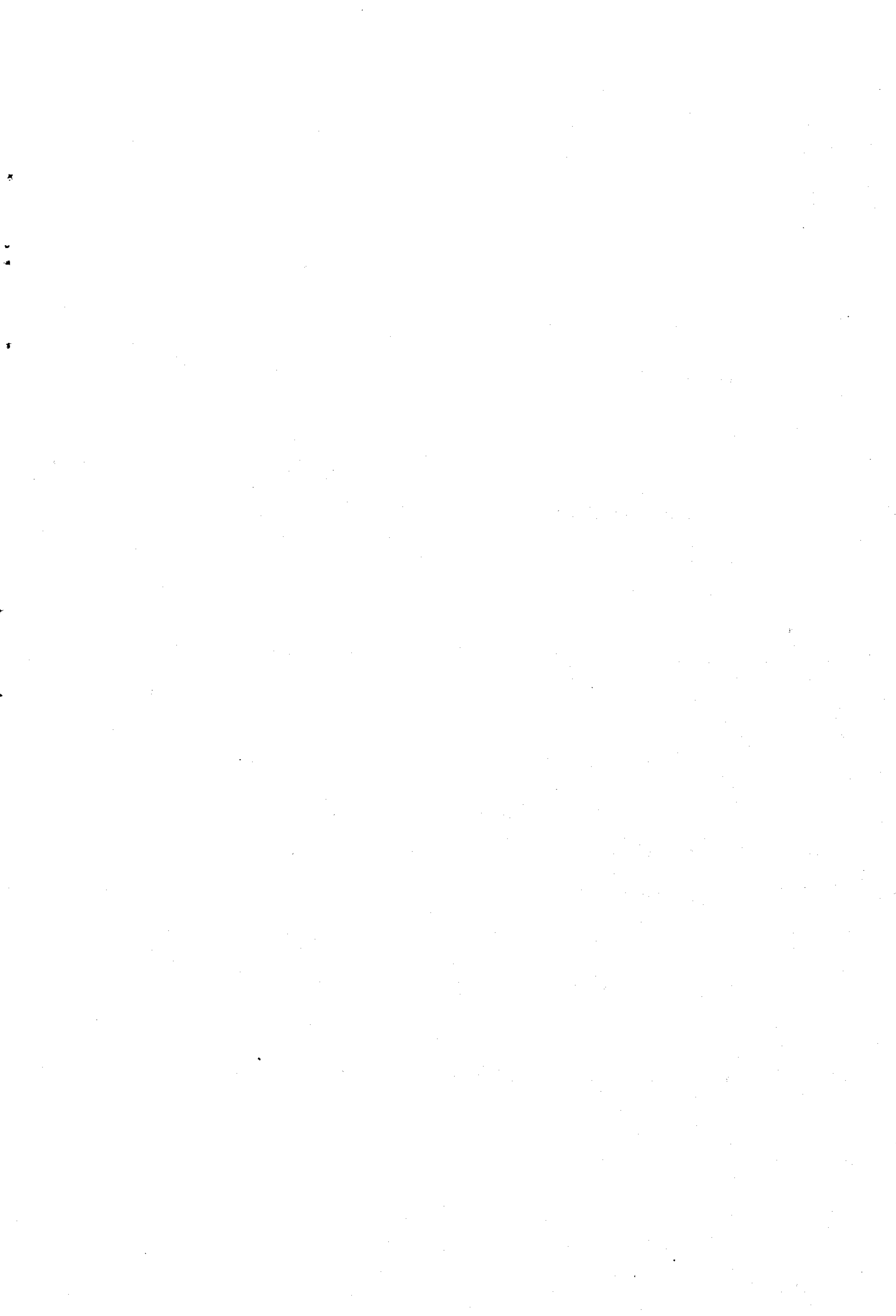
الوليد بن عبدالرحمن الفريان

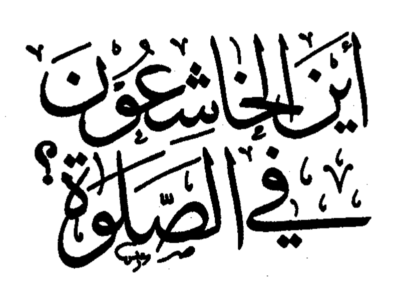
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

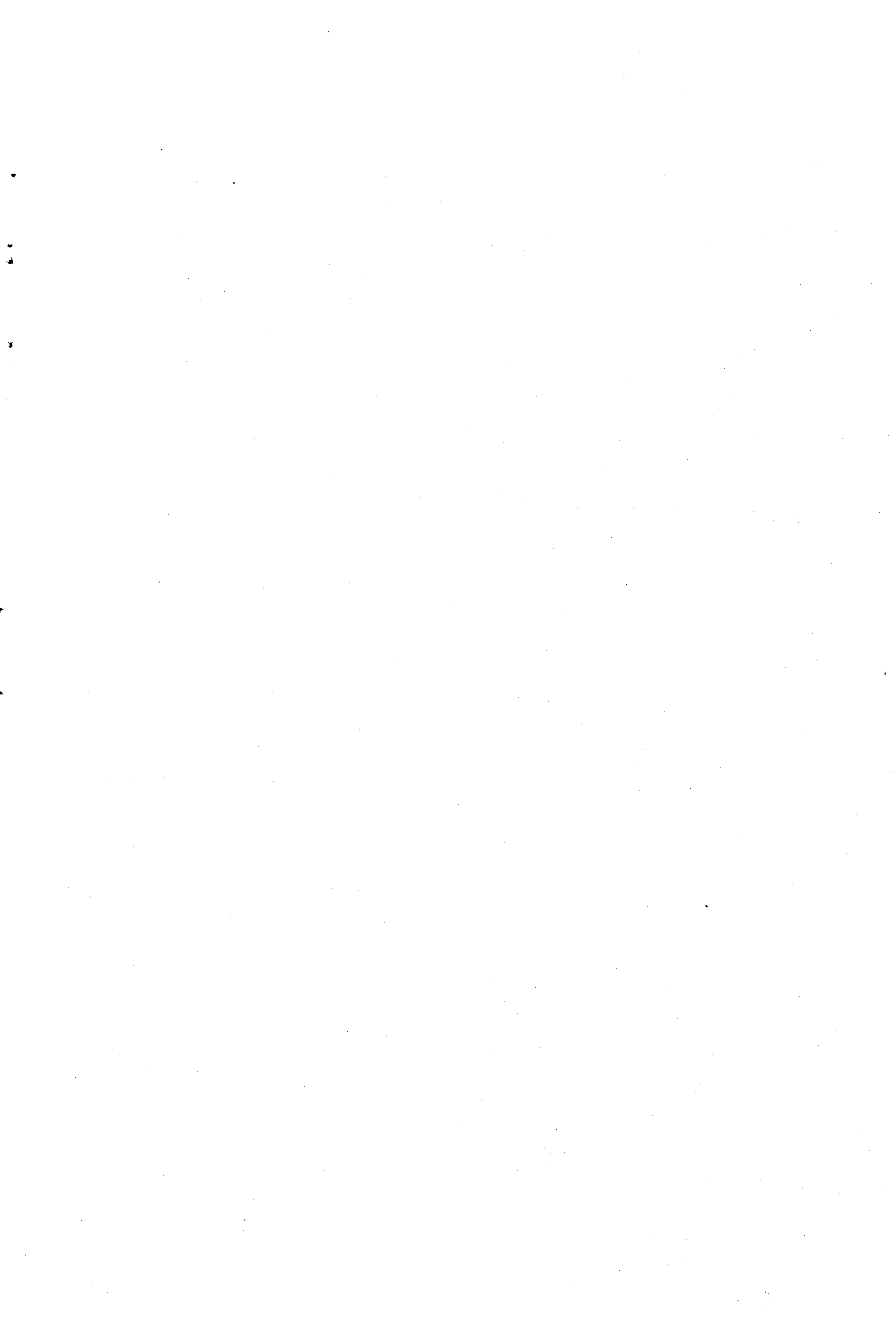
---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح : ١ /٤٠٦ ومسلم في الصحيح رقم : ٥٥٦ ، والنسائي في المجتبى : ٢ /٧٢ وأحمد في المسند : ٦ /٣٧-٤٦-١٧٧-١٩٩-٢٨ .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح رقم : ٧٧١ ، وأحمد في المسند : ١ /٩٥-١٠٢-١٠٣-١٩٩.




أين الخاشعون في الصلاة؟





المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلِل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تَموتُنَّ إلا وأنتُم مسلِمون﴾ .

﴿يَا أَيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الَّذي خلقكم من نفس واحدةٍ وخَلَق منها زوجَها وبثَّ منهما رجالًا كثيراً ونساءًا واتَّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ .

﴿يَا أَيُّها الَّذين آمنوا اتَّقوا الله وقُولُوا قولًا سديداً يُصلِح لكم أعمالكم ويغفر لكُم ذُنوبكم ومن يطِع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﴿ﷺ﴾ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إعلم أن الخشوع في الصلاة من الأمور المهمة التي تقرب العبد إلى الله تعالى فقال الله عز وجل : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ وحث عليه النبيُّ ﴿ﷺ﴾ كما في صحيح مسلم في باب «الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسولُ الله ﴿ﷺ﴾ يوماً ثم انصرف فقال : «يافلان ! ألا تُحسن صلاتك ؟ ألا ينظر المصلى إذا صلّى كيف يصلّي ؟ فإنَّما يصلى لنفسه ، إنِّي والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يديَّ».

وأخرج البخاري في صحيحه «باب الخشوع في الصلاة» وسرد الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «هل ترون قبلتي ههنا والله مايخفى عليَّ ركوعكم ولا خشوعكم وإنِّي لأراكم من وراء ظهري .

وروى الترمذي في سننه في «باب ماجاء في التخشُّع في الصلاة» عن الفضل بن عباس قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «الصلاة مثنى مثنى ، تشهّدُ في كل ركعتين وتَخشّعُ وتَضرَّع وتمسكن وتُقنِعُ يديكَ» يقول : ترفعهما إلى ربِّك مستقبلا ببطونهما وجهكَ وتقول : ياربِّ ! ياربِّ ! ومن لم يفعل ذلك فهو كذا وكذا[1] .

---

(١) قال أبوعيسى : قال غير ابن المبارك في هذا الحديث : من لم يفعل ذلك فهو خداج . انتهى . وقال أيضا : قال محمد : وحديث الليث بن سعد [هو حديث صحيح ، يعنى] أصحّ من حديث شعبة اهـ .

ورواه أحمد في المسند بمعناه ٤ /١٦٧ عن محمد بن جعفر ، وعن حجاج بن محمد ، وعن روح ، كلهم عن شعبة بهذا الإسناد ، وكذلك رواه أبو داود السجستاني ١ /٤٩٩ وابن ماجه ١ /٢٠٥ كما في سنن الترمذي ٢ /٢٧٧ علق عليه الشيخ محمد أحمد شاكر اهـ .

قال الراقم : أورده الإمام أحمد في المسند ١ /٢١١ عن الليث بن سعد وأورده البغوي في شرح السنة : ٣ /٢٦٠ طبع المكتب الإسلامي اهـ .

وعن طلق بن عليّ الحنفي قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «لاينظر الله عزوجل إلى صلاة عبد لا يقيم فيها صلبه بين خشوعها وسجودها[1]» .

وقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح للإمام البخاري رحمه الله : «صلُّوا كما رآيتموني أصلِّي» .

فلما كانت صلاته صلى الله عليه وسلم متحلية من الخشوع والخضوع وحضور القلب والانقياد الكلِّي أمام ربِّه الذي أمره في كتابه العزيز فقال : ﴿ فصلِّ لربِّك ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ وتوكَّل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقُوم وتقلُّبَكَ في السَّاجدين ﴾ .

فإنه يلزم كل من يقتدي بالنبيِّ ﴿ﷺ﴾ أن يصليَ صلاة خاشع وخاضع ولا يصح أن يصلى صلاة يتوجه فيها إلى غير ربِّه وربُّه تعالى يراه ، إذْ كيف يصلِّي بدون خشوع مع أنه مأمور بأن يصلي مثل صلاة نبيِّه ﴿ﷺ﴾ .

ونهى النبي ﴿ﷺ﴾ عن أمور تخلّ بالخشوع كسدل الثوب ، ورفع النظر إلى السماء ، وتشبيك الأصابع ، ومسح الحصى ، والتثاؤب ، وكف الثوب والشعر ، والمرور بين يدي المصلي ، ومدافعة البول والغائط ، والنفخ ، ومسح الجبهة والأنف وغير ذلك .

وقد ذكر الفقهاء في كتبهم مكروهات الصلاة التي تخلُّ بالخشوع ، وقالوا : إن كل مايخل بالخشوع فهو مكروه .

---

(١) رواه أحمد كما في المشكاة «باب السجود وفضله» .

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله : وفي المسند : ٤ /٢٢ وسنده صحيح اهـ

راجع «مشكاة المصابيح ١ /٢٨٤» بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني .

والصلاة عماد الدين ، وهي أول مايسأل العبد عنه ﴿ يَومَ يقُوم النَّاس لربِّ العالمين ﴾ ويوم يسأل المجرمون ﴿ ماسلَكَكُم في سقر ؟ قالوا لم نكُ من المصلِّين﴾ الآية ، وعليها مدار الفلاح والرباح والنجاح يوم الدين ، فإن قُبِلت قبِل سائر أعماله وإن ردَّت ردَّ سائر أعماله .

ومع ذلك فإننا نرى الناس الخواص منهم والعوام يحضرون الصلوات في المساجد ويصلونها في بيوتهم من غير حضور قلب وعلى غير خشوع وخضوع كأنهم يصلون ولا يصلون ، مع أن الصلاة الكاملة هي التي صليت بالخشوع ووافق فيها الظاهر الباطن ، وطابق القلب اللسان .

والصلاة مشتملة على التلاوة والذكر والدعاء ، فإذا كان القلب غافلًا عنها واللسان جارياً بكلمات التلاوة والذكر لم يوافق الجنانُ اللسان ، وبذلك تنقص الصلاة .

وقد قال النبيُّ ﴿ﷺ﴾ : «إن الرجل لينصرف ، وما كُتب له إلا عشر صلاتِه تُسعها ثمنها سبعها سُدسها خُمسها رُبعها ثُلثها نصفها»(١)

وليست هذه الزيادة في الأجر والثواب إلا لتوفر الآداب والاهتمام بالخشوع وليس هذا النقص إلا لعدم الاعتناء بالسنن والمستحبات والغفلة عن الخشوع والخضوع .

وكان من فضل الله تعالى أنه لم يجعل الخشوع فرضَ عينٍ بحيث لاتجوز الصلاة إلا به ، لأنه لو كان كذلك لم يكن الفرض أداءً إلا من أفذاذ الرجال ، فعمم الله تعالى النعمة أن المصلِّي إذا جاء بالأركان والواجبات أجزأه ذلك ، وإن كان أجره منتقصا بانتقاص الآداب وعدم الخشوع .

---

(١) رواه النسائي ورواه أبو داود في سننه في «باب ماجاء في نقصان الصلاة» .

وإن الفقهاء رحمهم الله وإن لم يجعلوا للخشوع باباً مستقلًا فإنهم ذكروا سنن الصلاة وآداب الصلاة وأدرجوها فيها ، وهل هذا إلا إظهار لضرورة الخشوع .

وينبغي لكل مصلٍّ أن يصلّي صلاة كاملة بسننها وآدابها ، ويحسّنها بالخشوع والخضوع ولا يلتفت فيها إلى غيرها ، لأن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ماصلى صلاة خالية عن الخشوع والتجميل ولو كانت صلاةً غير مكتوبة ، كما في الصحيح للإمام البخاري في «باب قيام النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بالليل في رمضان وغيره» .

عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في رمضان ؟ فقالت : ماكان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن .... الحديث[1] .

وقول عائشة رضي الله عنها «لا تسأل عن حسنهن وطولهن» معناه : هن في نهاية كمال الحسن والطول مستغنيات لظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف . ذكره العيني .

وعن أبي زيادة عبيدالله[2] بن زيادة الكندي عن بلال – رضي الله عنه – أنه حدثه أنه أتى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ليؤذنه بصلاة الغداة فشغلت عائشة بلالا بأمر سألته عنه .... وفيه : فقال : «إني كنت ركعت ركعتي الفجر» فقال : يارسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إنك أصبحت جداً ، قال : «لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما[3]» .

---

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه في باب «صلاة الليل والوتر» .

(٢) هو أبو زيادة البكري ، ويقال الكندي الدمشقي ، ويقال : عبدالله ، ويقال ابن زياد وأبو زياد ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات اهـ كما في بذل المجهود في حل أبي داود ٧ /٣٧٧ .
وقال الحافظ في التقريب : ثقة من الثالثة ، وروايته عن بلال مرسلة .

(٣) رواه أبو داود في «باب تخفيفهما» بعد «باب ركعتى الفجر» .

قلت : تحسين الصلاة وتجميلها وتزيينها بالتلاوة والذكر والدعاء وبالركوع والسجود وعدم الالتفات إلى غير الله تعالى هو الإحسان الذي بيَّنه النبي ﴿ﷺ﴾ في حديث جبريل عليه السلام المعروف كما في الصحيحين :

«أن تعبدالله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»

وقد سنح في قلبي بتوفيق ربِّي جل جلاله أن أؤلف كتاباً أذكر فيه أهمية الخشوع في الصلاة ، والأمور التي تخل به ، فجمعت فيه آي القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة – على صاحبها الصلاة والتحيَّة – وكلام المفسرين وشراح الحديث ، واخترت طريق الاختصار ليكون أسهل تناولا وأوقعَ في النفس .

هـذا الكتاب : أضعه بين أنظار القراء راجياً أن يجد القارىء الكريم فيه غذاء نافعاً ومادة ممتعة للروح والضمير والوجدان .

واللهَ أسأل أن يتقبل منى هذه المساهمة ويوفقني وكل مصلٍّ أن نصلِّى الصَّلاة لوقتها كاملة برعاية السنن والآداب والخشوع ليصدق علينا قول البارئ جلت عظمته :

﴿ قد أفلح المؤمنون الَّذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ آمين .

مـلاحـظـة : الإنسان مركب من الخطأ والنسيان فما وقع في كتابنا هذا من خطأ فهو منِّي ومن الشيطان الرجيم .

والذي أرجوه من القراء الكرام أن يتقدموا بواجبهم بالنصح حتى نستدرك ماوقعنا فيه ونتعلم منهم ، فليس المرء يولد عـالماً .

﴿ وفوق كل ذي علمٍ عليمٌ ﴾

وكتبه

أبو طلحه

محمد يونس بن عبدالستار

بين يدي الكتاب

والآن نشرع في المقصود مستمدين من الله التوفيق والتيسير ، وعليك يأخي ! أن تطالع الكتاب بدقة نظر ، آملًا بذلك النفع وحصول الخشوع في صلاتك ، ولاتكن مثل من يطالع الكتاب ثم يضعه في الخزانة فإن بعض الناس اليوم في العمل بما يقرؤون ويعلمون متكاسلون ، وإذا ذكّروا لايذكرون .

وإنَّا نرى رجالًا يستمعون القرآن ويقرؤون الكتب وهم على ثلاث طوائف :

طائفة تستمع القرآن وتقرأ الكتاب لتنشيط الآذان وتفريح النفس وقطع المسافة .

وطائفة يستمعون للبركة ويضعون القرآن في بيوتهم ودكاكينهم للتبرك بقراءاتهم آملين بذلك الأرباح الكثيرة في التجارة .

وطائفة تقرأ القرآن وتستمع إليه وتطالع كتب التفاسير لتحمل[1] نفسها على أوامر القرآن وتبتعد عمَّا نهى عنه الله جل وعلا ، فهذا هو الهدف الحقيقي للمؤمن الذي يقرأ القرآن ويستمع إليه ويطالعه ، والسبيل المستقيم قد بيَّنه الله تعالى للإنسان في كتابه العزيز ليبصر به الطريق ، ثم يسلُكه خيراً أو شراً ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إنَّا هديناهُ السَّبيل إمَّا شاكراً وإمَّا كفوراً﴾ .

قال الحافظ ابن كثير ٤ /٤٥٤ تحت قوله تعالى : ﴿ فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ أى جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية ، وقوله جل وعلا : ﴿ إنَّا هديناه السَّبيل ﴾ أى بيَّنَّاه له ووضَّحناه وبصَّرناه به كقوله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى ﴾ ، وكقوله جل وعلا : ﴿ وهديناه

---

(١) كما سنبين قصة أحنف بن قيس رحمه الله في تطبيق أعمال نفسه على نص الكتاب في آخر هذا البحث إن شاء الله .

النجدين ﴾ أي بيّنا له طريق الخير وطريق الشر ، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور . انتهى .

قلت : والآيات في هذا الموضوع كثيرة منها : قوله تعالى : ﴿ فألهمها فجورها وتقواها[1] ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ قال ربُّنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى[2] ﴾ ، وقال جل شأنه : ﴿ والذي قدَّر فهدى[3] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره[4] ﴾ .

وورد الحديث في هذا الشأن عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه وابصة رضي الله عنه أنه أتى النبيَّ ﴿ﷺ﴾ وأضمر في نفسه أن يسأله عن البر والإثم ، فلما دنا منه قال له ﴿ﷺ﴾ : «أخبرك أم تخبرني ؟» قال : لا بل أخبرني ، فقال «جئتَ تسألني عن البر والإثم؟» قلت : نعم ، فجمع أنامله الثلاثة فجعل ينكت بهن في صدري ويقول : «ياوابصة ! استفت نفسك واستفت نفسك – ثلاثا – البرُّ : مااطمأنت إليه النفس ، والإثـم ماحاك في نفسك وتردد في صدرك وإن أفتاك الناس وأفتوك[5]» .

قلت : ولو تسأل وتحاسب نفسك في هذا الحين عن الآثام والخيرات التي اكتسبتها في الأيام والليالي الماضية في العلن والنجوى تلقاها منشورة بين يديك .

والمطلوب من الإنسان أن يسلك طريق الخير ، ليجلب النفع ويحصِّل الربح وذلك بمتابعة ديننا الحنيف .

---

(١) سورة الشمس : ٨ (٢) سورة طه : ٥٠ . (٣) سورة الأعلى : ٣ . (٤) سورة القيامة : ١٤.

(٥) لأحمد والموصلي بلين كما في جمع الفوائد «كتاب البيوع» رقم الحديث : ٤٥٢٩ ، وقال في هامشه : ورواه أيضا الطبراني كذا في مجمع الزوائد ١٠ /٢٩٤ .

أما في ظروفنا الراهنة فالواقع اليوم عكس المطلوب تماماً حيث يجعل النَّاس أهواءهم ومرضياتهم متبوعة ويضعون الدين على الدرجة الثانية تابعا لها ، وذا لايليق بشأن المسلم .

ولعله يختلج في قلبك أنّي طالعت الكتب القديمة الضخمة في المنقول والمعقول ، ثم أنصب نفسي واعظاً بما قرأت وطالعت في الكتب فأي حاجة لي بعد ذلك إلى تكرار المطالعة والحضور في مجلس الواعظ ، وما الذي يمكن أن تضيفه إلى ثقافتي .

أيها الأخ الكريم ! إن ماأقوم به أمر طبيعي لا يغني عنه أني أطالع الكتب وأقلب الأسفار الضخام ولو فكَّرت لرأيت أفعالًا تكررها في حياتك الدنيويَّة وتمارسها باستمرار ومع ذلك تقبل هذه الإعادة والتكرار بطيب خاطر ، فكيف لا ترغب ولا أرغب في الاستماع إلى الدرس والموعظة مرة أخرى ولا نتوجه إلى ذكر الله والصلاة على عبده ورسوله ﴿ﷺ﴾ ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ .

فكما أن الطعام من ضروريات الجسد ومن بواعث الحياة وأن الجسد يحتاج إلى غذاء متواصل ، كذلك الرُّوح لا بدَّ لها أن تتغذّى مراراً ، فالغذاء ينمي الجسد ويقوِّيه ويكسبه النشاط ، وهكذا الغذاء الروحي .

فكما يحتاج الجسد إلى المأكولات ، كذلك الروح تحتاج إلى غذاء ، وينتج عن ذلك أن تكرار الموعظة أو إعادة نفس الموضوع في الدرس لايخلو من فوائد هذا هو السر الكامن في تكرار الموضوعات في سياق نص كلام الله جلت عظمته .

وهذه الشبهة أوردها الفلاسفة أيضاً حيث إنهم يرون تكرار الموضوع

في القرآن عبثاً ، والحقيقة أن الفلسفة سيطرت على عقولهم ، فيعرف أولو الألباب السليمة أن في التكرار حِكَم كثيرة ، ولا يعرف الفلاسفة قيمةَ هذه الحكم بل يعرفها أهل العلم والعرفان .

إن الخالق الرحيم جل وعلا يكرر موضوعا واحداً عشر مرات رأفة بعباده ورحمة بهم ، يقول جلَّت عظمته : ﴿ أفنضرب عنكم الذِّكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : ٤ /١٢٣ : وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ﴾ : والله لو أن هذا القرآن رفع حين ردته أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكنَّ الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم عشرين سنة أو ماشاء الله من ذلك ، وقول قتادة لطيف جداً .

وحاصله أنه يقول في معناه : أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لايترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكر الحكيم وهو القرآن وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدى به من قدر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته . انتهى قول الحافظ ابن كثير رحمه الله .

قلت : هذه هي سنة الله جلت عظمته ، وكذلك الناس الأصفياء عندالله يرحمون خلق الله ، يُشفقون عليهم ، يذكّرونهم بالخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، يكررون التذكير ليكون أوقعَ في النفس ، وهم حينما يقومون بهذا الواجب يرون ذلك محبوباً لله ، مرْضيا عنده سبحانه ، يخاطبون النَّاس ويرشدونهم رجاء أن ينالوا بها رضى الخالق جل وعلا ، فالوالد ينصح ابنه ويكرر عليه حتى تأخذ الكلمات مكانها في القلب وتستقر ، والله جل وعلا يعيد الموضوع اهتماماً بشأنه .

ولو أراد لكان أمره أول مرة بالرفق فقط ، ثم إذا لم يأتمر العبادُ بأمره تعالى ، كان عذابا شديدا من غير حاجة إلى التذكير مرة أخرى ، ولكن الله الحكيم ذو الحكمة البالغة فاضت رحمته وشملت رأفته عباده ، ومن منن الله على أمة محمد ﴿ﷺ﴾ إمهاله للخائضين في أودية الذنوب والمعاصى الكبائر منها والصغائر المتقحمين[1] – أي داخلين النَّار مثل الجنادب والفراش يقعن فيها – ورسول الله ﴿ﷺ﴾ بما بعثه الله به من الهدى والنور آخذ بحجزنا عن النَّار ونحن فارون من خالقنا ومالكنا إلى شهواتنا وغارقون في الغفلة والسكرة ووالغون في المعاصي وهو سبحانه حليم لا يبطش بنا ولا يهلكنا حالا بل يمهلنا ويأمر نبيَّه ﴿ﷺ﴾ أن يعلن كرمه : ﴿ قل ياعبادي الَّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنَّه هو الغفور الرَّحيم[2] ﴾ .

ويقول لطفاً بعباده : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم[3] ﴾ وقال جلت عظمته : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده[4] ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ وإنِّي لغفَّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى[5] ﴾ .

---

(١) فقد ورد الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن – أي يمنعهن – ويغلبنه – أى على الوقوع – فيتقحّمن فيها – أى يدخلن فيها – فأنا آخذ بحُجزكم عن النار وأنتم تقحّمون فيها».
هذه رواية البخاري ولمسلم نحوها ، وقال في آخرها : قال : «فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلمّ عن النار هلمّ عن النار فتغلبونّي تقحّمون فيها» . كما في المشكاة «باب الاعتصام بالكتاب والسُّنة» .

(٢) سورة الزمر : ٥٣ . (٣) سورة المائدة : ٧٤ .

(٤) سورة التوبة : ١٠٤ . (٥) سورة طه : ٨٢ .

ولم يقتصر ربُّنا على هذا الكرم والجود والرَّحمة والمغفرة بل تاب على عباده ليتُوبوا لئلا يستحقّوا البطش والعقاب الأشقّ ، قال التوَّاب الرحيم :

﴿ ثمَّ تاب عليهم ليتُوبُوا إن الله هو التَّواب الرَّحيم[1] ﴾ .

قال الحسن البصري رحمه الله : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

وقد روى أن عطاء السليمي – رضي الله عنه – رؤي بعد موته ، فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : قال لي : ياعطاء ! أما استحيت منِّي أن تخافني كلَّ هذا ؟ أما بلغك أنِّي غفور رحيم[2] ؟ .

قلت : ومن كرم الله المتزايد على عباده : أنه يغفر الذنوب ويمحوها من صحيفة أعماله حتى لايبقى لها أيّ أثر ، وإنا نرى في الدُّنيا أن المأخوذ في أي جرم إذا حبس في السجن أو عذب فإنه متى يسلم من السجن أو العذاب لايُمحىٰ ذنبه من الدفاتر ، بل يحفظ سجل جرمه وعذابه في الدوائر الرسمية المختصة ، ولكن الله تعالى يغفر ذنوب عبده ويَستر ويمحُو حتى لايبقى له أيّ أثر في صحيفة أعماله .

وجوده جل وعلا لا يقف عند حد بل ﴿ يُبَدِّلُ[*] الله سيِّئاتهم حَسَنٰت[3] ﴾ .

---

(١) سورة التوبة : ١١٨ . (٢) راجع «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد وفقهما الله ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ بمطبعة الرياض ج ١١ ص ٥ ....

(٣) سورة الفرقان : ٧٠ .

(*) قوله تعالى : ﴿ يبدِّل الله سيِّئاتهم حسنٰت ﴾ فإن قيل كيف يتصور تبديل السيئة على هذا المعنى بالحسنة ؟ وكيف يثاب على السيئة ؟ فإن السيئة أمر مكروه ، غير مرضي لله تعالى ، فكيف يتصور كونه مرضيا له سبحانه ، فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والعصيان؟ =

قال الحافظ ابن كثير مفسرا لهذه الآية ٣ /٣٢٨ :

إن تلك السيِّئات الماضية تنقلب بنفس التَّوبة النَّصوح حسنات ، وما ذاك إلا لأنه كلَّما تذكر مامضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار ، انتهى كلام ابن كثير رحمه الله .

كل ذلك من حكمته سبحانه ، التي وسعت كل شيء فلا يحق للمسلم أن يعترض على أحكام الله تعالى .

ونقول لهذا المعترض : لماذا لا تفكر في نفسك ، في جسدك وكيف لا ترى التكرار في أعضاء جسدك ؟ لماذا يوجد لديك يدان وعينان ؟ وأذنان ورجلان ؟ تأكل مرة ثم تعود وتأكل ، تنام ثم تستيقظ وتعود إلى المنام ثانياً ثم إلى الاستيقاظ ألا تتعجب من هذا التكرار يا أبا العجب ؟

= أجاب عنه صاحب التفسير المظهري الشيخ القاضي محمد ثناء الله العثماني المظهري المتوفى سنة ١٢٢٥هـ رحمه الله فقال : توجيه ذلك عندي أنَّ عباد الله الصَّالحين كلَّما صدر عنهم ماكتب الله عليهم من العصيان ندموا غاية الندم ، واستحقروا أنفسهم غاية الاستحقار ، والتجؤا إلى الله تعالى كمال الالتجاء ، وخافوا عذاب الله مع رجاء المغفرة فاستغفروه، حتى صاروا مهبطا لكمال الرحمة بحيث لو لم يذنبوا لم يصيروا بهذه المثابة ، فعلى هذا صار عصيانهم الذي كان سببا للعقاب سببا للثواب ، ولو بتوسط الندم والتوبة ، ومن ههنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ويغفر لهم» رواه مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد حين سبَّ المرأة الغامدية:«مهلًا ياخالد ! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» . رواه مسلم في قصة ماعز والغامدية عن بريدة .

وهذا كما قيل : معصية أولها غفلة وآخرها ندامة خير من طاعة أولها عجب وآخرها رؤية .

من التفسير المظهري ٧ /٥٠ – ٥١

وبا لجملة لا يرد هذا الإعتراض ولا يصح أن يقال : إنه سمع أو قرأ موضوعا مرة فلماذا يستمع إليه أو يقرؤه مرة ثانية ؟ لأن الكلمة إذا لم تُفِد أول وهلة فربما تفيد مرة ثانية وثالثة ، كما أن الطبيب يصف وصفة للمريض ويرى دواء مناسبا في علاج المرض لكن قد تتأخر الاستجابة له ثم يكون الشفاء بإذن الله كما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا أتى النبيَّ ﴿ﷺ﴾ فقال : أخي يشتكي بطنه فقال : «اسقه عسلا» ثم أتاه الثانية فقال : «اسقه عسلا» ثم أتاه الثالثة فقال : «اسقه عسلا» ثم أتاه فقال : قد فعلتُ فقال : «صدق الله[1] وكذب[2] بطن أخيك ، اسقه عسلا» فسقاه فبرأ[3] .

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : من لعق العسل ثلاث غدوات في كل شهر ، لم يصبه عظيم من البلاء[4] .

---

(١) حيث قال جل وعلا : ﴿فيه شفاء للناس﴾ النحل : ٦٩ .

(٢) قوله «كذب بطن الخ» والعرب يستعمل الكذب بمعنى الخطأ والفساد يقال : كذب سمعي أى زل ولم يدرك ماسمعه فكذب بطنه حيث ماصلح لقبول الشفاء وزل عنه ذلك . قاله الكرماني .

(٣) قوله «فبرأ» قال النووي : اعترض بعض الملاحدة فقال : العسل مسهل فكيف يُسقى لصاحب الاسهال ؟ وهذا جهل من معترض وهو كما قال تعالى : ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ فإن الاسهال يحصل من أنواع كثيرة منها : الاسهال الحادث من الهيضة وقد أجمع الأطباء أن علاجه بأن تترك الطبيعة وفعلها وإن احتاجت إلى معين على الاسهال اعينت فيحتمل أن يكون اسهاله عن الهيضة فأمره بشرب العسل معاونة إلى أن فنيت المادة فوقف الأسهال ، فالمعترض جاهل لسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الأطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم وقد يكون ذلك من باب التبرك ومن دعائه وحسن أثره ولا يكون ذلك حكما عاما لكل الناس وقد يكون ذلك خارقا للعادة من جملة المعجزات اهـ . راجع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله بشرح الكرماني : ٢٠ /٢٠٨ . والحديث أخرجه البخاري في كتاب المرضى (باب الدواء بالعسل)..

(٤) راجع التفسير لابن كثير : ٢ /٢٧٧ .

قلنا : كذلك العالم الإنساني في حاجة إلى إستعمال الدواء الروحي بأسلوب تدريجي .

فلا يقال إن النصيحة الأولى هبت هب الرياح أو صارت هباء منثوراً ، فإنها أتت ثمارها ، وأوجدت إستعداداً لقبولها في النفس ، وفي المرة الثانية تأكدت ، وفي الثالثة ازدادت قوة لاستقبال النصيحة ، فإن النتيجة مرتبة على المجموع فالانهار العظيمة والأودية الجارفة الهادرة إنما تكونت من قطرات تجمعت وانحدرت تنهب الأرض بضجيجها .

والمقصود أن التأثير الأخير يترتب على المجموع إذ لو استفدت من نصيحة جاءت متأخرة فإنه لا يقال أن النصائح السابقة ذهبت هدراً ، بل إنها نفعتك كلها وإن كان ظهورها أبطأ قليلًا .

الغرض

إن المراد من استماع نصيحة أو وعظ أو مطالعة كتاب : هو علاج للمرض ، وإصلاح للنفس حيث كلما أتيحت لك فرصة لاستماع الوعظ أو مطالعة كتاب فتفكر في نفسك ، فلو وجدت فيها البر وذوق الحسنة فاحمد الله تعالى وإذا لم تجدها مشتاقة إلى الحسنات فاستعن بالله ، فإن الله تعالى كريم مجيب وإذا سألك عبادي عنِّي فإنِّي قريب أجيب دعوة الدَّاع إذا دعان .

قصة أحنف بن قيس رحمه الله تعالى

ذكر الحافظ محمد بن نصر المروزي في جزء «قيام الليل» عن الأحنف بن قيس أنه كان يوما جالساً ، فعَرَضت له هذه الآية : ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾ فتنبَّه ، فقال : عليَّ بالمصحف لألتمسَ ذكري اليوم، حتى أعلم مَن أنا ؟مَن أشبه – يعنى لما علم أن القرآن قد ذكر جميع صفاتِ البشر وبيَّن صفاتهم ومراتبهم أراد أن يبحث عن نفسه في أي الطبقات هو – .

فنشر المصحف ، فمرَّ بقوم ﴿ كانوا قليلًا من الليل مايَهْجعُون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ ومرَّ بقوم ﴿ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يَدعون ربَّهم خوفاً وطمعاً وممَّا رزقناهم ينفقون ﴾ .

ومرَّ بقوم ﴿ يَبيتُون لربِّهم سُجَّداً وقياماً ﴾ ومرَّ بقوم ﴿ يُنفقُون في السَّرَّاء والضَّرَّاء والكاظمين الغيظ والعافِين عن النَّاس والله يُحبُّ المحسنين ﴾ ومرَّ بقوم ﴿ يُؤثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومَن يُوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المُفلحُون ﴾ ومرَّ بقوم ﴿ يَجتنِبون كبائر الإثم والفواحش وإذاما غَضِبوا هم يغفرون والَّذين استجابوا لربِّهم وأقامُوا الصَّلاة وأمرُهم شورى بينَهم وممَّا رزقناهم يُنفقُون ﴾ .

فوقف الأحنف ثم قال : اللهم لستُ أعرف نفسي هٰهنا – يعنى : لم يجد هذه الصفات في نفسه حتَّى يعدَّ من هذه الطبقة – .

---

(١) هذه القصة هي التي أشرنا إليها في الهامش ص : ١٦ من هذا الكتاب .

ثم أخذ الأحنف سبيلًا آخر فمرَّ في المصحف بقوم ﴿ إذا قيل لهم لا إله إلا الله يَستَكبرون ويقولون أئنَّا لتاركوا آلهتِنا لشاعر مجنون ﴾ ، ومرَّ بقوم قال الله فيهم : ﴿ إذا ذُكر اللهُ وحدَه اشمَأزَّتْ قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ، وإذا ذُكرَ الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ ومرَّ بقوم يقال لهم : ﴿ ماسلَكَكُم في سقر قالوا : لم نكُ من المصلِّين ولم نكُ نُطعِمُ المسكين وكنَّا نخُوض مع الخائضين وكنَّا نُكذِّب بيوم الدين حتَّى أتانا اليقين ﴾ .

فوقف الأحنف ثم قال : اللَّهُمَّ إنِّي أبرأ إليك من هؤلاء، فما زال الأحنف يقلب ورق المصحف ويلتمس في أي الطبقات حتَّى وقع على هذه الآية : ﴿ وآخَرون اعْترفُوا بذُنُوبهم خَلَطُوا عملًا صالحاً وآخَر سيِّئا عسى الله أن يَّتوبَ عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ . فقال الأحنف : أنا من هؤلاء .

فانظر أيُّها الأخ ! موضع نفسك من كتاب الله تعالى في أيّ الطبقات أنت ؟ واحذر أن تكون ممن تنطبق عليهم صفات المنافقين أو الفاسقين أو صفات الذين قيل في حقهم : ﴿ الَّذين ضلَّ سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسَبُون أنَّهم يُحسنون صُنعاً ﴾ عياذاً بالله العظيم ، قال تعالى : ﴿ إنَّ في ذلك لَذِكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

يامَن يُصيخ إلى داعي الشقاء وقد
نادى به الناعيانِ الشيبُ والكِبَرُ
إذاكُنت لاتسمع الذكرى ففيم ترى
في رأسك الواعيان السمعُ والبصر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل
لم يهده الهاديان العينُ والأثر
لاالدَّهر يبقَى ولاالدُّنيا ولاالفلك الأ
عْلى ولا النَّيِّران الشَّمس والقمرُ
لَيرحلنَّ عن الدُّنيا وإن كرها
فراقها الثاويان البدو والحضرُ

أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام

هذا الدِّين الحنيف الذي جاء به سيِّدنا محمَّد رسول الله ﷺ ونقله إلينا أصحابه رضي الله عنهم بتحمّل المَشاقّ والمِحن ، نرى النَّاس عنه غافلين غير مبالين به كأنَّه شيء مُنتَهٍ لم يكن شيئاً مذكوراً ، وحالة النَّاس هذه ليست بخافيةٍ على أحد ، ونعلم أنَّ للصلاة في الإسلام مكانة عظيمة ، وهي فريضة مطلوبة من العباد بعد الإيمان ، وأنَّها مقدّمة على جميع الفرائض والعبادات ، والنَّاس عنها غافلون وفي أدائها متكاسلون .

ودلت على عِظم مكانتها أحاديث منها :

أخرج أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن أفضل الأعمال ؟ فقال ﷺ : «الصلاة» ، قال : ثم مَه ؟ قال : «الصلاة» قال : ثم مَه ؟ قال : «الصلاة» – ثلاث مرات – فلما غلب عليه قال رسول الله ﷺ : «الجهاد في سبيل الله» فقال الرجل : إن لي والدين ، فقال رسول الله ﷺ : «آمرك بالوالدين خيراً» ، قال : والَّذي بعثك بالحقّ نبيّاً لأجاهدنَّ ولأتركنَّهما ! قال رسول الله ﷺ : «أنت أعلم[1]»

وعن أم فروة – أنصارية من المبايعات – قالت : سئل النبي ﷺ أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : «الصَّلاة لأوَّل وقتها[2]» .

---

(١) راجع حياة الصحابة ٣ /٢٥٦ . قال المؤلف : قال الهيثمي ١ /٣٠١ : وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وقد حسَّن له الترمذي ، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ ، وأخرجه أيضا ابن حبان في صحيحه ، كما في الترغيب ١ /٢١١ .

(٢) راجع مشكاة المصابيح «باب تعجيل الصلاة» وقال : رواه أحمد والترمذي وأبوداود . وقال الترمذي : لايروى الحديث إلا من حديث عبدالله بن عمر العمري وهو ليس بالقوي عند أهل الحديث .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : سألت النبيَّ ﴿ﷺ﴾ أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله ؟ قال : «الصلاة لوقتها» ، قلت : ثم أيّ ؟ قال : «برُّ الوالدين» ، قلت : ثم أيّ ؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» ، قال : حدثني بهن ولو استزَدتُّه لزادني[1] .

وقال صاحب المرقاة : في الحديث دليل على ماقاله العلماء : من أن الصلاة أفضل العبادات بعد الشهادتين ، ويوافقه الحديث الصحيح «الصلاة خير موضوع» أي خير عمل وضعه الله لعباده ليتقربوا إليه به اهـ .

روى أبو بكر بن أبي شيبة شيخ الشيخين البخاري ومسلم في مصنَّفه باب «فضل الصلاة» حيث قال :

حدثنا شريك عن عاصم عن زر قال : كنا نعرض المصاحف على عبدالله فسأله رجل من ثقيف فقال : ياأبا عبدالرحمن أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة ، ومن لم يصل فلا دين له .

هذا بعض ماثبت عنه صلى الله عليه وسلم في فضل الصلاة وتقديمها على جميع الفرائض .

ودلَّت على أهمّيّة الصلاة ومكانتها آيات منها :

قوله تعالى : ﴿وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة واركعُوا مع الرَّاكعين[2]﴾ . وقال تعالى : ﴿وقولُوا للنَّاس حُسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزَّكاة[3]﴾ . وقال جلَّت عظمته : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة[4]﴾ . وقال جلَّ شأنه : ﴿حافظوا على

---

(١) راجع مشكاة المصابيح «كتاب الصلاة» الفصل الأول .

قال الراقم : راجع المسند للإمام أحمد ٦ /٣٧٤ . والسنن لأبي داود : «باب المحافظة على الصلوات» . والسنن للإمام الترمذي «باب ماجاء في الوقت الأول من الفضل» .

(٢) سورة البقرة : ٤٣ . (٣) سورة البقرة : ٨٣ . (٤) سورة البقرة : ١١٠ .

الصلوات والصلاة الوسطى[1] ﴾ . وقوله جل وعلا : ﴿فإذا اطمأننتُم فأقيموا الصَّلاة[2]﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً[3] ﴾ . وقال جلَّ وعلا : ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصَّلاة وبشِّر المؤمنين[4] ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وأن أقيموا الصَّلاة واتقوه وهو الَّذي إليه تحشرون[5] ﴾ . وقال جلَّت عظمته : ﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصَّلاة[6] ﴾ . وقال جلَّ شأنه : ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولٰكم[7] ﴾ . وقال جلَّ جلاله : ﴿ وأقيموا الصَّلاة وآتوا الزكاة وأطيعُوا الرَّسول لعلَّكم تُرحمُون[8] ﴾ . والآيات في ذلك كثيرة جـداً .

ودلَّت الأحاديث على أهمّيَّة الصلاة منها :

ماأخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ «الصلاة وما ملكت أيمانكم» حتَّى جعل يغرغر بها ، وما يفصح بها لسانه . وقد رواه النسائي وابن ماجه .

وعند أحمد من حديثه قال : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت : «الصلاة وما ملكت أيمانكم» حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره ، وما يكاد يفيد بها لسانه .

ومن حديث عليّ رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده ، قال : فخشيت أن تفوتني نفسه،

---

(١) سورة البقرة : ٢٣٨ . (٢) سورة البقرة : ١٠٣ . (٣) سورة النساء : ١٠٣ .

(٤) سورة يونس : ١٠ . (٥) سورة الأنعام : ٧٢ . (٦) سورة الأنبياء : ٧٣ .

(٧) سورة الحج : ٧٨ . (٨) سورة النور : ٥٦ .

قال : قلت : إني أحفظ وأعي ، قال : أوصى بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم[1]».

وعند أحمد والبخاري في الأدب وأبي داود وابن ماجه وابن جرير -وصححه- وأبي يعلى والبيهقي عن عليّ - رضي الله عنه - قال : كان آخر كلام النبي ﴿ﷺ﴾ : «الصلاة الصلاة ، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم[2]» .

والصلاة هي التي سأل رسول الله ﴿ﷺ﴾ عنها مراراً في مرضه الذي توفي فيه كما يدل عليه الحديث الآتي :

أخرج أحمد عن عبيدالله بن عبدالله قال : دخلت على عائشة ، فقلت : ألا تحدثني عن مرض رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ فقالت : بلى ، ثقل رسول الله ﴿ﷺ﴾ وجعه فقال : أصلَّى النَّاس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله ، فقال : ضعوا لي ماء في المخْضب ففعلنا ، قالت : فاغتسل ثم ذهب لينوء[3] فأغمى عليه ثم أفاق فقال : أصلَّى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله ، قال : «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : أصلَّى الناس ؟ قلنا : لا هم ينتظرونك يارسول الله ، قال : ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال : أصلَّى الناس ؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يارسول الله ، قالت : والناس عكوف[4] في المسجد ينتظرون رسول الله ﴿ﷺ﴾

---

(١) كذا في البداية ٥ /٢٣٨ . وأخرجه أيضا ابن سعد : ٢ /٢٤٣ عن أنس مثله . وأخرج أيضا عن عليّ رضي الله عنه نحوه وزاد : فجعل يوصى بالصلاة والزكاة وماملكت أيمانكم ، قال : كذلك حتى فاضت نفسه ، وأمر بالشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله حتى فاضت نفسه «من شهد بهما حرِّم على النَّار» .

(٢) كذا في الكنز : ٤ /١٨٠ . (٣) قوله «لينوء» : أي لينهض . (٤) قوله «عكوف» أى جلوس .

لصلاة العشاء ، فأرسل رسول الله ﴿ﷺ﴾ إلى أبي بكر رضي الله عنه بأن يصلي بالناس وكان أبوبكر رجلًا رقيقاً ، فقال : ياعمر صلِّ بالناس ، فقال : أنت أحق بذلك ، فصلى بهم تلك الأيام ...... الحديث[١] .

وقد ورد في بعض الأحاديث : إن أول مايحاسب به العبد من عمله صلاته كما في رواية لأبي داود :

عن أنس بن حكيم الضبي قال : خاف من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقي أبا هريرة ، فنسبني ، فانتسبت له ، فقال : يافتى ! ألا أحدثك حديثاً ؟ قال : قلت : بلى ، رحمك الله ، قال يونس : وأحسبه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم :

إن أول مايحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ، قال : يقول ربنا عزوجل لملائكته وهو أعلم : انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئا قال : انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه[٢] ثم تؤخذ الأعمال على ذلك[٣] .

وعن تميم الداري قال : أول مايحاسب به العبد الصلاة ، فإن أتمها وإلا قيل:

---

(١) راجع حياة الصحابة ٣ /٥٣٧ طبع دمشق . وقال مؤلفه : كذا في البداية : ٥ /٢٣٣ . وأخرجه أيضا البيهقي : ٨ /١٥١ وابن أبي شيبة ، كما في الكنز : ٤ /٥٩ وابن سعد : ٢ /٢١٨ نحوه . انتهى .

(٢) فيه تنبيه لمن يكتفى بالصلاة المكتوبة أعنى الفرائض فقط ولا يهتم بالسنن والرواتب التي واظب عليها سيِّد الأولين والآخرين (ﷺ) .

(٣) راجع السنن لأبي داود «باب قول النبي ﷺ : كل صلاة لايتمها صاحبها تتم من تطوعه».

انظروا أَلَه تطوع ؟ فإن كان له تطوع فأكملوا المكتوبة من التطوع[١] .

وعن نمير بن سلمة قال : أول مايسأل عنه العبد يسأل عن صلاته ، فإن تقبلت منه تُقُبِّلَ منه سائر عمله ، وإن ردَّت عليه ردَّ سائر عمله[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : «إن أول مايحاسَب به العبد يوم القيامة من عمله صلاتُه ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضة ، قال الربُّ : انظروا هل لعبدي من تطوُّع فيُكمَلُ بها ماانتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك[٣] .

وجعل النبي ﴿ﷺ﴾ الصلاة الفارقة بين العبد والكفر .

فعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة[٤]» .

---

(١) راجع المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة ٤ /١٣٦ باب «من قال : أول مايحاسب به العبد الصلاة» وعلق عليه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي وقال : أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن تميم الداري مرفوعاً . (٢) المصدر السابق .

(٣) رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه كذا في الدر ، وفي المنتخب برواية الحاكم في الكنى عن ابن عمر : أولماافترض الله على أمتي الصلوات الخمس ، وأول مايرفع من أعمالهم الصلوات الخمس الحديث بطوله ، وفي الدر أخرج أبويعلى عن أنس رفعه أولماافترض الله على الناس من دينهم الصلاة ، وآخر مايبقى الصلاة ، وأول مايحاسب به الصلاة ...... الحديث .

(٤) رواه أحمد ومسلم وقال : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ، وأيضا لأبي داود والنسائي ولفظه ليس بين العبد وبين الكفر إلا تركُ الصلاة . والترمذي ولفظه : بين =

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي رسول الله ﴿ﷺ﴾ بسبع خصال فقال : «لاتشركوا بالله شيئا وإن قُطِعتم أو حُرِّقتم أو صُلبتم ، ولا تتركوا الصلاة متعمِّدين ، فمن تركها متعمِّداً فقد خرج من الملَّة ، ولا تركبوا المعصية فإنها سخطة الله ، ولا تَشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلِّها[1] ».

وعن عبدالله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ لايرون شيئا من الأعمال تركُه كفرٌ غير الصلاة[2] .

وأخرج ابن أبي سعد عن أبي المليح قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر : لا إسلام لمن لم يصل[3] .

وعن علي قال : من لم يصل فقد كفر[4] .

وسمى الله تعالى الصلاة بالإسلام والإيمان فقال في كتابه العزيز : ﴿ وما كان الله ليضيعَ إيمانكم[5] ﴾ يعني صلاتكم عند البيت .

= الكفر والإيمان ترك الصلاة . وابن ماجه ولفظه : قال : بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة . كذا في الترغيب للمنذري . وقال السيوطي في الدر لحديث جابر : أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه ثم قال : وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبوداود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن بُريدة مرفوعاً : العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر .

(١) الحديث رواه الطبراني ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة بإسنادين لابأس بهما كذا في الترغيب ، وهكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه إليهما وفي المشكاة «كتاب الصلاة» الفصل الثالث برواية ابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه .

(٢) راجع المشكاة نفس المرجع . (٣) راجع الكنز ٤ / ١٨٠ . (٤) راجع المصنف لابي بكر بن أبي شيبة باب «فضل الصلاة» . (٥) البقرة : ١٤٣ .

وقد بوَّب البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان : «باب الصلاة من الإيمان» وقول الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾يعني صلاتكم عند البيت .

وقال حدثنا عمرو بن خالد نا زهير نا أبو إسحاق عن البراء أن النبي «ﷺ» كان أول ماقدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار ، وأنه صلَّى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يُعجبه أن تكون قبلتُه قِبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم فخرج رجل ممَّن صلى معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله «ﷺ» قِبل مكة ، فداروا كما هم قِبل البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذْ كان يُصلّي قِبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهَه قِبل البيت أنكروا ذلك ، قال زهير : ثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا ، إنه مات على القبلة قبل أن تحوَّل رجالٌ وقُتِلُوا ، فلم ندر مانقول فيهم ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ .

وقليل من النَّاس من يقيم الصلاة حق قيامها ، فلما كانت الصلاة محض الإيمان سُمى تاركها كافراً .

وهذا اللقب يليق بالذي ترك الصلاة ، ولأن الصلاة عماد الدين جُعل تركها هدم الدين ، فيجب علينا أن نحفظ إسلامنا بالمحافظة على الصلوات ونجتنب من خسران الدنيا والآخرة ، ونتوجه إلى الله الكريم ، فيتوجه إلينا برحمته الكاملة.

وقد جعل الله تعالى في الصلاة قوَّة عجيبة تجر المؤمن إلى المطالب الايمانية وبالمحافظة عليها يتكرم الإنسان ، ويتمتع قلبه بشرف الإنسانية وحقيقتها .

إن الله تعالى جعل الصلاة صلة بينه وبين عباده ، وجعلها قربة لحبه ومعرفته ووسيلة للتقرب إليه وجالبة لعونه ونصرته .

ألا ترى أن الله تعالى لما أكرم سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وشرَّفه بمناجاته وكلَّمه ، قال له : ﴿ فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ .

ومعلوم أن الله تعالى ذكر الصلاة في كتابه مرات كثيرة ، وأمر بإقامتها والمحافظة عليها أكثر من غيرها من الفرائض ، وأمر الله تعالى أن تقام في أوقاتها المعيَّنة ولا تؤخر عن أوقاتها ، ولم يجز لأحد أن يترك الصلاة مع كونه ذا عقل قائم ، ويفترض عليه الصلاة ولو أضناه المرض ، أو أضعفه الجهد ، أو أرهقته الأشغال .

وقد سهل الله على عباده فأجاز التيمم لعادم الماء ، ولمن يُتلفه الغسل إذا اغتسل بالماء البارد وليس عنده ماء ساخن .

وكذا سهل الله تعالى للمريض بأنه إن لم يستطع القيام يصلى قاعداً ، وإن لم يستطع قاعداً فمضطجعاً .

وقد روى أبو داود في سننه «باب في صلاة القاعد» عن عبدالله بن عمرو قال : حدثت أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة فأتيته فوجدته يصلى جالساً ، فوضعت يدي على رأسي ، فقال : مالَك ياعبدالله بن عمرو ؟ قلت : حُدِّثت يارسول الله أنك قلت : صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة ، وأنت تصلى قاعداً ؟ قال : أجل ، ولكني لستُ كأحـد منكم .

وعن عمران بن حصين قال : كان بي الناصور ، فسألت النبيَّ ﴿ﷺ﴾ فقال : صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سقط رسول الله ﴿ﷺ﴾ من فرس فخُدش أو فجُحِش[1] شقُّه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى قاعدا ، فصلينا قعوداً ، وقال : إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبَّر فكبِّروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا رفع فارفعوا ، وإذا قال سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد[2] .

فهذا كله يدل على أنه لا يجوز تفويت الصلاة في أي حال سفرا كان أو حضراً وصحة وسُقماً ، مهما كان عاقلًا بالغاً .

وقد ذكر الفقهاء : أن الرجل إذا كان في سياق الاحتضار وهو يقدر على أداء الصلاة ولو بالإيماء فعليه أن يصلي ولا يتركها .

ومما يدل على رفعة مكانة الصلاة في الدين أن الله تعالى أعطاها نبيه محمداً ﴿ﷺ﴾ واتحفه بها في ليلة الاسراء ثم أنزل صبيحة الإسراء سيِّد الملائكة جبريل عليه السلام لتعليمه أوقات الصلاة وكيفيته ، فأم النبيَّ ﴿ﷺ﴾ عند الكعبة المشرفة مرتين ، فأراه كيفية الصلاة وبيَّن أوائل الأوقات وأواخرها . كما ورد في الأحاديث منها :

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ أمَّني جبريل عند البيت مرَّتين ، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس ، وكانت قدر الشراك ، وصلى بي العصر حين صار ظِلُّ كل شيء مثله ، وصلى بي المغرب

---

(١) قوله : «فخُدِش أو جُحش» شك من الراوي ، أى انقشر جلده صلى الله عليه وسلم .

(٢) راجع صحيح البخاري «باب صلاة القاعد» و «باب إنما جعل الإمام ليؤتم به» وحكم هذا الحديث أنه منسوخ بماثبت أنه صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه صلى قاعدا والناس خلفه قياما ... قاله الكرماني .

حين أفطر الصائم وصلّى بى العشاء حين غاب الشفق ، وصلى بى الفجر حين حُرِم الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغدُ صلى بي الظهر حين كان ظله مثله ، وصلى بى العصر حين كان ظله مثليه ، وصلى بى المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل ، وصلى بى الفجر فأسفر ، ثم التفت إلىَّ فقال : يامحمد ! هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت مابين هذين الوقتين[1] .

عن ابن شهاب أن عمر بن عبدالعزيز أخَّر العشاء شيئا ، فقال له عروة : أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله «ﷺ» ، فقال له عمر : إعلم ماتقول ياعروة ؟! قال : سمعت بشير بن أبى مسعود يقول : سمعت أبا مسعود يقول : سمعت رسول الله «ﷺ» يقول : «نزل جبريل فأمَّنى فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات[2] .

فاتضح من هذا مكانتها فى الدِّين وأهميتها فى الإسلام وشأنها عند الله رب الأنام ، ففيها مناجاة العبد ربَّه تعالى وحضوره لديه بالقلب والقالب والظاهر والباطن .

وقد دعا إبراهيم خليل الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام أن يجعله مقيما للصلاة ، وفى ذريَّته من يقيمها . كما ذكر اللّه تعالى دعاء أبينا إبراهيم عليه السَّلام بقوله : ﴿ ربِّ اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريَّتى ربَّنا وتقبَّل دعاء ربَّنا

---

(١) رواه أبو داود والترمذى كما فى المشكاة «باب المواقيت» .

(٢) راجع البخارى «باب ذكر الملائكة» وأيضا أورده فى «كتاب مواقيت الصلاة» «باب مواقيت الصلاة وفضلها» والأحاديث كثيرة .

اغفرلي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب[1]﴾ .

ومع هذه الأهمية البالغة نرى أكثر الناس فى غفلة عنها : فلا يهتمون بها ولا يحرصون على إقامتها كما أراد الله وأحب ، تجد هؤلاء الناس منقسمين إلى ثلاثة أنواع :

منهم من لا يؤدون الصلاة مطلقاً ويُخشى أن يصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ ماسَلككُم فى سَقَرَ ؟ قالوا لم نك من المصلّين ولم نك نُطعِمُ المِسكِين وكنّا نخُوضُ مع الخائضِين وكنّا نكذّب بيوم الدّين حتَّى أتَنا اليقينُ فَما تنفَعُهُم شفاعةُ الشَّافعينَ[2] ﴾.

وطائفة أخرى يؤدون الصلاة ولكن لايهتمون بالجماعة ، وليس لديهم اهتمام بها فيُخشى أن يصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ القلم : ٤٢ و ٤٣ .

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٠ . (٢) سورة المدثر : من ٤٢ إلى ٤٨.

وقوله تعالى : ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ قال ابن كثير : أى من كان متّصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لاتنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا ، فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فإنه له النار لامحالة. اهـ

وقال صاحب التفسير المظهرى ١٠ /١٣٢ : وقال ابن مسعود يشفع الصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار إلا أربعة ثم تلا : ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ إلى قوله ﴿بيوم الدين﴾ ، وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة دون هؤلاء الذين تسمعون – أى المذكورون فى الآية الكريمة – .

فقول ابن مسعود وعمران هذا مشعر بأن الشفاعة لا تنال لتاركى الصلاة ومانعى الزكاة والخائضين فى اللهو والباطل وإن كانوا مؤمنين . اهـ .

أخرج ابن مردويه عن كعب الحبر قال : والذى أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والقرآن على محمد ﴿ﷺ﴾ أنزلت هذه الآية فى الصلوات المكتوبات حيث ينادى بهن ﴿ يوم يكشف عن ساق – إلى قوله – وهم سالمون ﴾ .

وأخرج البيهقى فى الشعب عن سعيد بن جبير قال : الصلوات الجماعات .

وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال : الرجل يسمع الأذان فلا يجيب الصلاة

وقال المفسرون : المراد من الآية : الكفار والمنافقين الذين يصلون رياء، والله أعلم .

والقسم الثالث : الذين يؤدون الصلاة ويهتمون بالجماعة إلا أنهم يصلون دون الخشوع والتضرع ، والصلاة تدعو عليهم فضلا أن تكون رحمة لهم ، ويبقي الفساد في النفس والأمة .

وقد ورد في بعض الروايات أن الصلاة تدعو على من يصليها بدون الخشوع وتقول «ضيعك الله كما ضيَّعتَني» . اللهم اجعلنا من الخاشعين .

وقد ورد في القرآن آيات توبخهم وتزجرهم وتنبههم حيث قال الله تعالى : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون﴾

قال الحافظ ابن كثير مفسرا لهذه الآية الكريمة :

﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال ابن عباس وغيره : المنافقين الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر ولهذا قال [illegible] هم من أهل الصلاة، وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون إما فاله ابن عباس ، وإما عن فعلها فى الوقت المقدر

لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذي قال ﴿ عن صلاتهم ساهون ﴾ ولم يقل فى صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا .

وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها ، والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ، ولكن من اتصف بشيء من ذلك له قسط – أى نصيب – من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملى كما ثبت فى الصحيحين :

أنَّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتَّى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلًا» . فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقتها ، وهو وقت كراهة ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولم يخشع فيها أيضاً ، ولهذا قال لا يذكر الله فيها إلا قليلًا، ولعله إنما حمله على القيام إليها مُراآة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما إذا لم يصل بالكلية . قال الله تعالى ﴿ إنَّ المُنافقِين يخادعُون اللّه وهُو خادعُهم وإذا قامُوا إلى الصَّلاة قامُوا كسالىٰ يراؤن النَّاس ولا يذكرون اللّه إلّا قليلًا ﴾ انتهى .

وقليل من الناس من يحافظ على الصلوات ويداوم عليها ويصليها بالخشوع والخضوع وقد وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز بهذا الوصف الرائع : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربَّهم خوفاً وطمعاً ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة :

يعنى بذلك قيام الليل، وقال الضحاك هو صلاة العشاء فى جماعة وصلاة الغداة فى جماعة ، ﴿يدعون ربَّهم خوفاً وطمعاً ﴾ أى خوفاً من وبال عقابه،

وطمعاً فى جزيل ثوابه ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدّية ومقدم هؤلاء وسيّدهم وفخرُهم فى الدُّنيا والآخرة رسول الله ﴿ﷺ﴾ كما قال عبدالله بن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقد روى الإمام أحمد حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال : «عجب ربنا من رجلين :
رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى ..... الحديث . وأورد الحافظ ابن كثير بعد ذلك .... عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إذا جمع الأولين والآخرين يوم القيامة ، جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق ، سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ، ثم يرجع ، فينادى ليقم الذين كانت ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ الآية ، فيقومون وهم قليل» . انتهى .

فالَّذين يصلُّون الصَّلاة خاشعين مطمئنين يجدون فيها حلاوة لا يجدون في غيرها وهذه الصَّلاة لها مكانة عظيمة فى الإسلام وهى أفضل الأعمال وأرفعها عند الله تعالى .

والصَّلاة جامعة العبادات فإن فيها : قراءة القرآن والدعاء والتسبيح واستماع

كلام الباري من القارىء ، وحمده تعالى والقيام والقعود والركوع والسجود والصلاة على النبي ﴿ﷺ﴾ والاستغفار والاهتمام بالطهارة لأجلها ، فمن أقامها بحقوقها وأداها بفرائضها وسننها فإن صلاته تنهاه عن الفحشاء وتمنعه عن السيِّئات وتقربه إلى الله جلَّت عظمته .

كما أن الصلاة صورة حقيقية للانابة إلى الله والخضوع له بالقلب والجوارح والتوجه والاخلاص ، وهو مطلوب في كل عبادة حتى تكون لها قيمة ، ويثاب عليه العبد ثواباً كاملًا ، ويؤجر أجراً عظيماً .

ولو صلاها أحد لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ، ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها فقد أضاع الصلاة فمن أضاعها فهو لما سواها أضيع ، كما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله :

«إن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع[1]» .

وما ذكرناه هو حال عبادتنا – إلا ماشاء الله – نؤديها باللسان والقلبُ غير حاضر ، ولا نجد الخشوع في قلوبنا ولا البشاشة في نفوسنا .

وثواب الأعمال ينمو ويزداد بإخلاص فاعلها حتى مانراه صغيراً يكون عندالله كبيراً ، كما ورد في الأحاديث عن النبي ﴿ﷺ﴾ فمنها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ، فيربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل أحد»[2] .

---

(١) راجع كنز العمال «كتاب الصلاة» رقم الحديث ٢١٦١٩ .

(٢) راجع التفسير لابن كثير ١ /٣٣٠ . وهكذا روى هذا الحديث مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن سعيد المقبري . قاله ابن كثير .

وعن أبي هريرة يقول : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إن الله عزوجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيربِّيها لأحدكم كما يربِّى أحدكم مهره أو فلوه حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد»[1].

وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «والذي نفسى بيده مامن عبد يتصدق بصدقة طيبة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا ولا يصعد إلى السماء إلا طيب فيضعها فى حق إلا كانت كأنما يضعها فى يد الرحمن فيربها له كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى إن اللقمة أو التمرة لتأتى يوم القيامة مثل الجبل العظيم وتصديق ذلك فى كتاب الله العظيم ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات[1] ﴾.

وعجب الرجل بعمله الناقص كمثل رجل أصَمّ ذهب إلى صديقه المريض ليعوده ، وتفكر فى الطريق بأنه لايقدر أن يسمع كلام صديقه المريض الضعيف فقال في نفسه : علىَّ أن أرتِّب الكلام ماذا أقول أوّلا وإذا ردَّ المريض فماذا أقول فى جوابه ؟

فقال أسأله أولا كيف حالك ؟ فيجيب المريض الحمد لله ، أنا فى انتقاص من المرض ، فأقول : بارك الله ويرحمك الله .

ثانيا أسأله من يعالجك ؟ فيقول المريض : يعالجنى الطبيب الفلاني ، فأقول ماشاء الله هو طبيب ماهر ينبغى أن يؤخذ منه العلاج وهو شفيق على المريض .

---

(١) راجع التفسير لابن كثير : ١ / ٣٣٠ .

(٢) سورة التوبة : ١٠٤ .

ثالثا أقول أيّ دواء تستعمل ؟ فيسمى دواء مّا ، فأقول : ماشاء الله هو أحسن دواء لك بارك الله فيه هنيئاً مريئاً في جسـدك .

فدخل الأصم على المريض ، فلما رأى المريض صورة صديقه الأصم انزعج فقال فى نفسه ويحك مِن أين ورد هذا الرجل ؟ يتعبنى بكلامه ولا يسمع كلامى ويقول مايريده .

فقال الأصم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، كيف حالك ياأخى الحبيب ؟ فأجاب المريض وهو غضبان : أنا فى سياق الموت ، فظن الأصم أنه قال أنا فى انتقاص من المرض ، فقال الأصم على زعمه : بارك الله ، اللهم زد فزد .

ثم سأله من يعالجك ؟ فقال المريض وهو أكثر غضبا مما سمع هذا الكلام والدعاء عليه : يعالجنى ملك الموت عليه السلام ، فقال الأصم : هو طبيب ماهر ينبغى أن يؤخذ منه العلاج وهو شفيق على المرضىٰ .

ثم سأله أيّ دواء تستعمل ؟ فقال المريض أنا أشرب السمَّ ، فقال الأصم : ماشاء الله هو أحسن دواء لك ، بارك الله فيه هنيئا مريئا فى جسدك .

فكما أن هذا الأصم كان مسروراً بما سأل وأجاب مع أنه آذى المريض وجعله حزيناً ، كذلك نحن مقتنعون بعباداتنا مع أنها خالية من الإخلاص ، وعارية عن الذكر القلبى.

فالله كريم عسى أن يتقبل عباداتنا وإن كانت ناقصة خداجاً ، لكن لايناسب للعبد أن يتعود على العبادة الناقصة بل يجب عليه أن يسعى لتحسين العبادة وتجميلها ، ويؤديها حق أدائها .

فقابل التوب غافر الذنب ربما يقبل صلاة عبده وهي خداجٌ ويُعطى عليها ثوابه ، وهذا على الصلاة الناقصة ، فكيف إذا كانت الصلاة تامة كاملة .

فإن قال قائل إنا نرى المصلين لا يحترزون عن اللغو في الفعل والفضول في الكلام ، بل نراهم يكذبون صراحاً ويغتابون الناس ويَعدون فيُخلفون وعودهم وينقضون عهودهم ويفعلون المنكرات ، فما هي الفائدة من هذه الصلاة ؟

فنقول ذلك لأنّا لانقيم الصلاة حق إقامتها، ولا نؤديها كما أمرنا ، فلذلك نقع في اللغو والمنكر ، ونرى بعض الناس لايتوبون من هذه المنكرات إلا اننانقول : إن الرجل المصلى مهما كان غافلًا أحسنُ من الذي لايصلي ، ونأمل أن صلاته سوف تنهاه عن المنكرات وتقربه من الحسنات .

وتصديق ذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﴿ﷺ﴾ فقال : إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق ، فقال : «إنه سينهاه ماتقول[1]».

وقال البغوي روي عن أنس رضي الله عنه قال كان فتىً من الأنصار يصلى الصلوات الخمس مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ ثم لم يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف لرسول الله ﴿ﷺ﴾ حاله ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إن صلاته تنهاه يوماً» ، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله .

وقال البغوي قال ابن عباس وابن مسعود – رضي الله عنهم : في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد صلاته من الله إلا بعداً[2] .

---

(١) راجع التفسير لابن كثير : ٣/ ٤١٦ .

(٢) من التفسير المظهري : ٧/ ٢٠٥ .

فالمصلى إذا وقع في معصية لغفلة أو غلبة نفس أو تسلط شيطان فهو يوفق بالندامة على عمله والتوبة عن فعله فيتوب ويستغفر ويستعين بإقامة صلاته القادمة طرفى النهار وزلفا من الليل ، فيتوب عليه ربُّه ويمحو سيئاته كما قال تعالى ﴿ إن الحسنات يُذهبن السيِّئات ﴾ . خلافا لمن لايصلى فإنه يزداد في الطغيان والعصيان والبعد عن الرحمن ، والقرب من الشيطان ، فيلجمه الشيطان لجام الحمار ويركب عليه فيدوِّره حيث شاء من أودية الذنوب والمعاصى .

وأي شيء أفضل ذكراً من الصلاة في العبادات والفرائض ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين[1] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ أقم الصلاة طرفي النَّهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين ﴾[3] .

ألا ترى أن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن :

عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب قال : كنت إذا سمعت من رسول الله ﴿ﷺ﴾ حديثا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى منه ، وإذا حدثنى عنه أحد استحلفته فإذا حلف لى صدقته ، وحدثنى أبو بكر وصدق أبوبكر أنه سمع رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : «مامن مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلى ركعتين إلا غفر له» .

وفى الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ﴿ﷺ﴾ ثم قال : هكذا رأيت رسول الله يتوضأ وقال :

(١) سورة الزخرف : ٣٦ . (٢) سورة النساء : ٣٨ . (٣) سورة هود : ١١٤ .

«من توضأ وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه»[1].

وروى البخارى عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قُبلة ، فأتى النبى ﴿ﷺ﴾ فأخبره فأنزل الله : ﴿ أقم الصلاة طرفيِ النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ فقال الرجل يارسول الله ألى هذا!؟ قال : «لجميع أمتى كلهم»[2].

وقال الإمام أحمد حدثنا يونس وعفان قالا .... عن ابن عباس أن رجلا أتى عمر فقال : إن امرأة جاءت تبايعه فأدخلتها الدولج فأصبت منها مادون الجماع فقال : ويحك لعلها مغيبة فى سبيل الله ؟ قال : أجل ، قال : فأت أبابكر فسله ، قال : فأتاه فسأله فقال : لعلها مغيبة فى سبيل الله ؟ فقال مثل قول عمر ، ثم أتى النبى ﴿ﷺ﴾ فقال له مثل ذلك قال : «فلعلها مغيبة فى سبيل الله ؟» ونزل القرآن ﴿ أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ إلى آخر الآية ، فقال يارسول الله لى خاصة أم للناس عامة ؟ فضرب يعنى عمر صدره بيده وقال : لا ولا نعمة عين بل للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صدق عمر»[3].

ثُمَّ عَلَيْنَا

أن لا نخادع أنفسنا بأن نجترئ على المنكرات والمعاصى قائلين إنَّا نصلِّى الصلوات بعد السيِّئات ونكتسب الحسنات بعد اقتراف المنكرات فيصدق علينا قوله تعالى : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ لأن المخاطبين الأولين أعنى الصحابة رضي الله عنهم ماجنحوا إلى المعصية بل رغبوا في الطاعات رغبةً زائدة على ماكانوا عليها من قبل شأن العبد الوفيّ لمولاه .

---

(١) كما في التفسير لابن كثير ٢ /٤٦٤ . (٢) المصدر السابق . (٣) نفس المرجع .

ثم نقول لمن يجترىء على المنكرات كيف تتيقن أنك تمهل إلى أن تتوب وتكسب الحسنات ولا يأتيك أجلك قبل التوبة واكتساب الحسنات .

فاتق الله ولا تلق بيديك إلى التهلكة ، ولا تضرب بالفأس على رجلك في سبيل الشيطان ، فتَهلك في هذه الهلكة التي وقعت فيها ، لأنك لا تدري بأي أرض تموت وبأي حال تموت ، ولا تجد الفرصة ، فيُصلَّى عليك ، قبل أن تصلى الصلاة وتستغفر ربَّك و ﴿ وإنَّ ربك لبالمرصاد ﴾ وبطشه لشديد وملك الموت الذي وكِّل بك يرصدك في كل حين ليتوفَّاك ويؤدي بك إلى مأواك الذي يخاف منه الثقلان الإنس والجان – نعوذ بالله منه – .

وقال رب الخلائق : ﴿ولن يؤخِّر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ . وقال جلت عظمته : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾.

ونعم ما قال الشاعر

تزوّد من التَّقوىٰ فإنَّك لا تدري
إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من عروس زيَّنوها لزوجها
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم
وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من صحيح مات من غير علة
وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

ونرى بعض الناس يتهاونون في الصلاة نحو فهم الخسارة في التجارة والأموال، وبعضهم يقولون : إنَّا داومنا على الصلاة وماحصل لنا المقصود وما فزنا بالمرام .

وقولهم هذا نشأ من جهلهم ، فإن الصلاة أعظم فوائدها النجاة في الآخرة وإن لم يحصل العبد على فائدة ظاهرة في الدنيا ، فإنما يجب علينا أداؤها امتثالًا للأمر الإلٰهي .

وبعض الناس يقولون لا نكاد نستطيع أن نستيقظ لصلاة الفجر ، يقولون باللسان ويظنون أن لا ذنب لهم في ترك الصلاة لانهم كانوا نائمين .

نقول لهم : كيف لاتقصير منك في ترك صلاة الفجر مع أنك تأخَّرت في النوم وسمرت الليل ، وأصبح النوم أحب إليك من الصلاة ، تغافلت عما سمعت من منادي الله : «الصلاة خير من النوم» وتكاسلت عن الصلاة .

وهذا النوم الذي تحبه وقت الفجر يفرح به الشيطان الملعون ، ويبول في أذن الانسان إذا نام ولم يصل . ويدل عليه الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه حيث قال :

حدثنا مسدد ...... عن عبدالله قال ذكر عند النبي ﴿ﷺ﴾ رجلٌ ، فقيل مازال قائماً حتى أصبح ، ماقام إلى الصلاة ، فقال : «بال الشيطان في أذنه» .

وله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد ، يضرب على مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عُقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدةٌ فأصبح نشيطاً طيّب النفس ، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلان .

وفي الحديث عن سمرة بن جندب عن النبي ﴿ﷺ﴾ في الرؤيا قال : أمَّا الذي يُثْلَغُ رأسه بالحجر فإنَّه يأخذ القرآن فيَرفُضُهُ[1] وينام عن الصلاة المكتوبة[2] .

ثم كيف تقصيرك في ترك جماعة الفجر والحال أن صلاة الفجر لها شأن عظيم وفضل كبير ، وملائكة الليل وملائكة النهار تجتمع في صلاة الفجر ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا يستطيعونها» أو نحو هذا[3] .

فكيف يحصل الأجر والفضل الذي يترتب لمن لا يحضر الجماعة في الفجر؟

وقد قال الله تعالى : ﴿ إنَّ قرآنا الفجر كان مشهوداً ﴾[4] وقرآن الفجر يعنى صلاة الفجر ، قاله الحافظ ابن كثير .

وقد بوَّب البخاري في صحيحه : «باب فضل صلاة الفجر في جماعة» وقال حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب .... أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : تَفضُلُ صلاة الجميع صلاةَ أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ، ثم يقول

---

(١) قوله : «فيرفضه» أي يترك حفظه والعمل به ، وينام عن الصلاة يعنى ينام ذاهلًا عنها حتى تخرج عن وقتها ويفوت منه ، وقيل : المراد بالصلاة : صلاة الصبح لأنها هي التي تبطل بالنوم . قاله الكرماني

(٢) وهذا قطعة من الحديث الذي أورده البخاري بتمامه في كتاب الجنائز .

(٣) راجع الموطأ للإمام مالك باب «ماجاء في العتمة والصبح» .

(٤) سوزة الاسراء : ٧٨ .

أبو هريرة : فاقرؤا إن شئتم : ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ ، وقال شعيب : وحدثني نافع عن عبدالله بن عمر قال : تفضُلُها بسبع وعشرين درجة .

وفي لفظ الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربُّهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلُّون وتركناهم وهم يصلون[1] .

ومن صلى الفجر جماعة هو أعظم أجراً من الذي قام الليل كله أمام ربِّه ولم يُحضّر الجماعة في الصبح ، كما ثبت في رواية أوردها الإمام مالك في الموطأ باب «ماجاء في العتمة والصبح» .

«أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَقَدَ سليمان بن أبي خيثمة في صلاة الصبح ، وإن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق ، ومسكن سليمان بين السوق والمسجُد النبوي ، فمر على الشفاء أم سليمان ، فقال لها : لم أر سليمان في صلاة الصبح ؟ فقالت : إنه بات يصلى فغلبته عيناه ، فقال عمر : لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إليَّ من أن أقوم ليلة .

هذا ماقاله الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رجل تفقده في صلاة الصبح ، وهو الذي قد بات على سنة المصطفى ﴿ﷺ﴾

---

(١) قلت : ألا يحب أحدنا أن يحضر الجماعة في الفجر فيصدق عليه قول الملائكة : «أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون» ويباهي بنا ربنا جل وعلا ، ولا نكون نائمين فيقال في حقنا : وأتيناهم وهم ميتون وتركناهم وهم ميتون وفي فراشهم جاثمون . والنوم أخو الموت كذا في الحديث لذا قلنا : ميتون أي نائمون . اهـ .

وهو قيام الليل .

وفي الحديث إشارة إلى مواظبة سليمان على صلاة الصبح مع أمير المؤمنين رضي الله عنه لكن لم يستيقظ ذاك اليوم وقت الصلاة .

فما تقول في الذي بات على السهر والطرب واللهو ، وشهوة النفس من مرغوباتها ولم يستيقظ وقت الصلاة ؟

ولم لا والصلاة لا مكانة لها في قلبه ، ﴿ فبآؤ بغضب على غضب﴾ .

وياأسفىٰ على المسلم ماأثقل عليه الاستيقاظ لصلاة الصبح ، إن النوم الهادىء والفراش الناعم أحب إليه من الصلاة ومناجاة ربِّه سبحانه ، وإلا كيف يجهل قوله ﴿ﷺ﴾ : «وجعلت قرة عيني في الصلاة» - كناية عن الفرح والسرور - وقوله ﴿ﷺ﴾ لعائشة رضي الله عنها في ليلة من الليالي : «ياعائشةِ ! ذريني أتعبَّد الليلة لربِّي» الحديث .

ولو كان لأحد وقت معيّن للسفر ، أو مقعد محجوز في الطائرة ، وإقلاعها قبل أذان الفجر بساعة ، لكان حاضراً في المطار ، وهذا مانراه كل يوم . ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانُكم إن كنتم مؤمنين﴾ البقرة : ٩٣ .

هذا الكسل والإهمال في حق الصلوات لايليق بشأن المؤمن والمسلم ، ولا يليق بشأنه أن يؤثر الحياة الدنيا وراحتها الفانية على راحة الآخرة الأبدية التي يجدها الإنسان في الجنة ﴿ وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعيُن وأنتم فيها خالدون﴾ الزخرف : ٧١ .

وقد حُفَّت الجنَّة بالمكاره ، وحُفَّت النار بالشَّهوات ، فكيف تحصل لنا الجنة التي حفَّها الله بالمكاره إذا لم نترك بعض شهواتنا وشيئا من راحتنا بإمتثال الأوامر الإلٰهية . وتصديق ذلك في الحديث الآتي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها وإلى ماأعد الله لأهلها فيها ، ثم جاء فقال : أي ربِّ وعزَّتك ! لايسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفَّها بالمكاره[1] ، ثم قال : ياجبريل ! اذهب فانظر إليها ، قال : فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزَّتك ! لقد خشيت أن لايدخلها أحد ، قال : فلما خلق الله النار ، قال : ياجبريل ! اذهب فانظر إليها ، قال : فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : يارب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخُلها ، فحفَّها بالشهوات ، ثم قال : ياجبريل ! إذهب فانظر إليها ، قال : فذهب فنظر إليها ، فقال : أي رب وعزتك ! لقد خشيتُ أن لا يبقىٰ أحد إلا دخلها[2] – إى لميلان النفس إلى الشهوات – .

هذا مانقلناه في أهمِّية الصلاة في الاسلام ورفعة مكانتها ، فعلينا أن نحافظ على الصلوات الخمس ونستبق ونجتهد في كثرة السُّجود في النوافل لحصول رضوان الله تعالى والفلاح والجنة التي وعدها الله تعالى للمؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون ، وعلى صلاتهم دائمون ، ولا نتركها ولا نتهاون فيها أبدا حتى يأتينا اليقين – أى الموت – .

وندعو الله تعالى كما دعا أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ ربِّ اجعلني مقيمَ الصلاة ومن ذرِّيَّتي ربَّنا وتقبَّل دعاء ربَّنا اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ .

اللهم إنَّا نعوذ بك من صلاة لاتنفع ولا تنهانا عن الفحشاء والمنكر ، اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وإذا أقررتَ أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عيوننا من عبادتك ، آمين .

---

(١) قوله «ثم حفَّها بالمكاره» جمع مكره وهي المشقة والشدة على غير قياس والمراد بها التكاليف الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الإنسانية . المرقاة .

(٢) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي .

الخشوع في الصلاة

حثَّ الكتاب والسنَّة على الخشوع في الصلاة وأكَّده مرةً بعد أخرى .

والمراد بالخشوع : خضوع النَّفس وتذلّلها وانقيادها لأوامر الله تعالى ، وعندما يحصل الخشوع يقوم العبد أمام ربِّه متواضعاً وتتكسر شهوات النفس ، ويزول استكبارها ، وتتيقَّن أنَّها تناجي ربَّها ، فلا تلتفت يميناً ولا شمالًا ، ويظهر أثر ذلك في أعضاء المصلِّي ، فلا يعمل عبثاً ، ولا ينظر إلى الجُدران ، ولا يكفّ ثوباً ، ولا يلعب بلحيته ، ولا بثوبه ، وغير ذلك مما يعترى الذي لايخشع في صلاته .

قال القرطبي رحمه الله في أحكام القرآن ١ /٣٧٥ :

روى الحسن أن رجلًا تنفَّس عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأنَّه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه .

ونظر عمر بن الخطاب إلى شاب قد نكس رأسه فقال : «ياهذا ارفع رأسك ، فإن الخشوع لا يزيد على مافي القلب» .

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه : «الخشوع في القلب ، وأن تلين كتفك للمرء المسلم ، وأن لا تلتفت في صلاتك» .

قال سهل بن عبدالله : «لايكون خاشعاً حتى تخشع كل شعرةٍ على جسده ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ تقْشَعِرُّ منه جُلود الذين يخشون ربَّهم ﴾ .

قال سفيان الثوري : سألت الأعمش عن الخشوع ؟ فقال : ياثوري ! أنت تريد أن تكون إماماً للناس ولا تعرف الخشوع .

سألت إبراهيم النخعي عن الخشوع ؟ فقال : أعيمش ! تريد أن تكون

إماماً ولا تعرف الخشوع ، ليس الخشوع بأكل الخشِن ولبس الخشن وتطأطيء الرأس لكن الخشوع أن ترى الشّريف والدّني في الحق سواء ، وتخشع لله في كل فرض افترض عليك .

روى الحسن : وكان عمر رضي الله عنه إذا تكلّم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وكان ناسكاً صدقاً وخاشعاً حقاً .

قال مجاهد : الخاشعون هم المؤمنُون حقاً .

قال القرطبي رحمه الله بعد ذكر هذه الآثار : هذا هو الخشوع المحمود ، لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظّاهر ، فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدِّباً متذلّلا . وقد كانَ السّلف يجتهدون في ستر مايظهر من ذلك .

وأما المذموم : فتكلّفه والتباكى ومطأطاة الرأس ، كما يفعله الجهّال لِيُرَوا بعين البرّ والإجلال ، وذلك خدع من الشيطان ، وتسويل من نفس الإنسان ، انتهى ماذكره القرطبي رحمه الله .

ويستعمل كلمة الخضوع قريباً من معنى الخشوع وتكرر ذكره في القرآن ، ولكنَّ الخشوع تعبير عن غضِّ البصر وإخفاء الصَّوت ، ومن اتَّصف بذلك يظهر منه التَّواضع من غير إرادة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وخشِعت الأصواتُ للرَّحمن[١] ﴾ ، وقال جلَّ وعلا : ﴿ خاشعةً أبصارُهم[٢] ﴾ ، بيد أن كلمة الخضوع تستعمل لتواضع النفس ، والاستكانة ، واللين ، والإنقياد ، قال جلَّ وعلا : ﴿ فظَلَّت أعناقُهم لها خاضعين[٣] ﴾ ولذلك يقال : الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب .

---

(١) طه : ١٠٨ . (٢) المعارج : ٤٤ . (٣) الشعراء : ٤ .

والمراد بالخاشعين : المؤمنون السَّاكنون إلى طاعة الله تعالى الخائفون المتواضعون .

وقال صاحب أوجز المسالك إلى موطأ مالك ٣ /٢٥٧ :

وبسط الكلام على الخشوع الحافظ في الفتح ، وفيه حث وتحريض للمصلي على ملازمة الخشوع ، وقال تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الَّذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ ، قال ابن عباس : مخبتون أذلاء ، وقال الحسن : خائفون ، وقال مقاتل : متواضعون ، وقال عليّ : الخشوع في القلب ، وأن تلين للمسلم كتفك ، ولا تلتفت . وقال مجاهد : هو غض البصر وخفض الجناح . وقال عمرو بن دينار : ليس الخشوع الركوع والسجود لكنه السكون وحسن الهيئة في الصلاة . وقال ابن سيرين : هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك ، وقيل : هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ، وقال أبو بكر الواسطي : هو الصلاة لله تعالى على الخلوص من غير عوض .

وعن أبي الورد : يحتاج المصلي إلى أربع خلال حتى يكون خاشعاً : إعظام المقام ، وإخلاص المقال ، واليقين التمام ، وجمع الهم ، قاله العيني ، وقال أيضا : لا شك أن ترك الخشوع ينافي كمال الصلاة فيكون مستحباً ، وقال أبو بكر الرازي في «أحكام القرآن» : الخشوع ينتظم هذه المعاني كلها من السكون في الصلاة والتذلل وترك الالتفات والحركة والخوف من الله تعالى اهـ .

أهمية الخشوع في الصلاة

قال في التفسير الكبير تحت قوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الّذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ الآية :

واختلفوا في الخشوع ، فمنهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسُّكون وترك الالتفات ، ومنهم من جمع بين الأمرين ، وهو الأولى .

فالخاشع في صلاته لا بد وأن يحصل له مما يتعلق بالقلب من الأفعال نهاية الخضوع والتذلّل للمعبود ، ومن التروك أن لا يكون ملتف الخاطر إلى شي سوى التعظيم ، ومما يتعلق بالجوارح أن يكون ساكناً مطرقاً ناظراً إلى موضع سجوده ، ومن التروك أن لا يلتفت يميناً ولا شمالًا ، ولكن الخشوع الذي يرى على الانسان ليس إلا مايتعلق بالجوارح ، فإن مايتعلق بالقلب لا يرى .

قال الحسن وابن سيرين : كان المسلمون يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ، وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يفعل ذلك فلما نزلت هذه الآية طأطأ وكان لا يجاوز بصرُه مصلّاه .

إن قيل فهل تقولون إن ذلك واجب في الصلاة ؟ قلنا : عندنا واجب من عدة وجوه :

(١) – قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبّرون[١] القرآن أمْ على قلوبٍ أقفالها ﴾ ،

---

(١) عن علي رضي الله عنه قال : «ألا لاخير في قراءة ليست فيها تدبُّر ، ولا في عبادةٍ ليس فيها تفقُّه ، الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمّنهم من مكر الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماهواه» راجع جمع الفوائد : ٢ / ٦٩٤ . =

والتدبُّر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى ، ﴿ أفلا يتدبَّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمع وهو شهيد ﴾ . وكذا قوله تعالى : ﴿ ورتِّل القرآن ترتيلًا[٢] ﴾ معناه : قف على عجائبه ومعانيه .

= وعن علي رضي الله عنه قال : «إن الفقيه حقَّ الفقيه من لم يُقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره إنه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علمٍ لا فقهَ فيه ولا قراءةٍ لا تدبُّر فيها» .
راجع التفسير للقرطبي : ١٤ /٣٤٣/ ٣٤٤ .

(٢) يسنُّ الترتيل في قراءة القرآن ، وجاء عن الضحاك في معنى قوله تعالى : ﴿ورتل القرآن ترتيلًا﴾ : انبذه حرفاً حرفاً ، وتلبث في قراءته ، وتمهل فيها ، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده قال في شرح المهذب : واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما : «لأن أقرأ سورة أرتِّلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كلّه» .
عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يقال لصاحب القرآن : إقرأ وارتق ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها» . رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي راجع التفسير المظهري تحت الآية المذكورة .
والترتيل عبارة عن إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة وفي القاموس نحوه .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه : «بيِّنه بياناً» ، وعن الحسن نحوه .
عن قتادة قال : سئل أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كانت مدًّا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد بسم الله ، ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم . رواه البخاري في صحيحه وانفرد به البخاري من هذا الوجه ، كذا في المرجع المذكور قال صاحب التفسير المظهري : والحكمة في الترتيل : التدبُّر في معاني القرآن ، والألفاظ بموعظة ، والخوف عند آية الوعيد ، والرجاء عند آية الوعد ، ونحو ذلك .
روى البغوي عن حذيفة رضي الله عنه قال : صلَّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما مرَّ بآية فيها ذكر الجنة إلا وقف وسأل الله الجنة ، وما مر بآية فيها ذكر النار إلا وقف وتعوَّذ من النار . انتهى .

(٢) – قوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ فظاهر الأمر للوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفَل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لِذكره .

(٣) – قوله تعالى : ﴿ ولا تَكُن من الغافلين ﴾ وظاهر النهي للتحريم .

(٤) – قوله تعالى : ﴿ حتَّى تعلموا ماتقولون ﴾ تعليل لنهى السكران ، وهو مطَّرد في الغافل المستغرق المهتم بالدُّنيا .

(٥) – قوله عليه الصلاة والسلام : «إنما الخشوع لمن تمسكن وتواضع» وكلمة إنما للحصر .

وقال ابن مسعود وابن عباس : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدَد من الله إلا بعداً ، وصلاة الغافل لاتنهاه عن الفحشاء .

وقال عليه الصلاة والسلام : «كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب» وما أراد به إلا الغافل .

وقال ﴿ﷺ﴾ : «ليس للعبد من صلاته إلا ماعقل منها[١]» .

(٦) – «المصلي يناجي ربه» كما ورد به الخبر[٢] .

---

(١) ولفظ هذه الرواية عند ابن القيم رحمه الله في كتابه «الصلاة وأحكام تاركها» : «ليس لك من صلاتك إلا ماعقلت منها» والمعنى عنده : فإذا لم يعقل من صلاته إلا في جزء واحد كان له الأجر بقدر ذلك الجزء وإن برئت ذمته من الصلاة .

(٢) قلت : بوَّب البخاري في صحيحه «باب المصلي يناجي ربه» وروى الحديث عن أنس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه ، فلا يتفُلنَّ عن يمينه ولكن تحت قدمه اليسرى» .
وفي نفس الباب حديث آخر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إعتدلوا في في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه كالكلب وإذا بزق فلا يبزقنَّ بين يديه ولا عن يمينه ، فإنه يناجي ربه ..... الحديث .
وقال أبو بكر بن أبي شيبة في مصنَّفه في باب «في رفع الصوت بالدعاء» :
عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن المصلي =

والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة ، وبيانه : أن الإنسان إذا أدى الزكاة حال الغفلة ، فقد حصل المقصود منها على بعض الوجه : وهو كسر الحرص ، وإغناء الفقير ، وكذا الصوم قاهر للقوى ، كاسر لسطوة الهوى الذي هو عدو لله تعالى ، فلا يبعد أن يحصل منه المقصود مع الغفلة ، وكذا الحج أفعال شاقة وفيه من المجاهدة مايحصل به الابتلاء كان القلب حاضراً أو لم يكن .

=إذا صلى يناجي ربه فليعلم أحدكم بما يناجيه ولا يجهر بعضكم على بعض» .

وقال الإمام مالك رحمه الله في الموطأ في باب «العمل في القراءة» :

مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي حازم التمار عن البياضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة ، فقال : «إن المصلي يناجي ربه ، فلينظر بما يناجيه ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن . انتهى .

قال صاحب أوجز المسالك إلى موطأ مالك ٣ /٧٧ – ٧٨ :

قوله : «إن المصلي يناجي ربه» أى يحادثه ويكالمه ، وهو كناية عن كمال القرب ، وقيل : هي عبارة عن إحضار القلب والخشوع في الصلاة ، وقال عياض : هي إخلاص القلب وتفريغ السر بذكره ، وقيل : مناجاة العبد إتيان الأقوال والأفعال المطلوبة في الصلاة ، ومناجاة الرب لعبده إقباله عليه بالرحمة والرضوان ، والمقصود التنبيه على الخشوع .

قوله : «فلينظر بما يناجيه به» : أي ليتفكر وليتدبر مايناجي الرب به من الذكر والقرآن والحضور والخشوع .

والمراد به : حالة الخضوع ، والغرض : تنبيه على تحصيله ، ولما كان جهر بعض على بعض في القراءة مفوتاً لذلك الخشوع ، وهو كان الباعث حينئذ لذلك الحديث نبه عليه خاصة فقال «ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن» لأن فيه أذى ومنعاً من الإقبال على الصلاة ، قال القاري : والنهى داخل فيه من هو داخل الصلاة وخارجها . انتهى .

أما الصلاة : فليس فيها إلا ذكر ، وقراءة ، وركوع ، وسجود ، وقيام وقعود أما الذكر فإنه مناجاة مع الله تعالى ، فإما أن يكون المقصود منه كونه مناجاة ، أو المقصود مجرد الحروف والأصوات ، ولا شك في فساد هذا القسم ، فإن تحريك اللسان بالهذيان ليس فيه غرض صحيح ، فثبت أن المقصود منه المناجاة وذلك لا يتحقق إلا إذا كان اللسان معبِّرا عما في القلب من التضرع ، فأي دعاء في قوله جل وعلا : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ وكان القلب غافلاً عنه .

بل أقول ولو حلف إنسان وقال : والله لأشكرنَّ فلاناً وأثنى عليه وأسأله حاجة ، ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في اليوم لم يبرِّ في يمينه ، ولو جرى على لسانه في ظلمة الليل وذلك الإنسان حاضر وهو لايعرف حضوره ولا يراه لايصير باراً في يمينه ، ولا يكون كلامه خطابا معه ، مالم يكن حاضرا بقلبه ، ولو جرت هذه الكلمات على لسان وهو حاضر في بياض النهار إلا أن المتكلم غافل لأنه مستغرق الهم لفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر باراً في يمينه .

ولا شك أن المقصود من القراءة الأذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى ، فإذا كان القلب محجوباً بحجاب الغفلة وكان غافلًا عن جلال الله وكبريائه ، ثم إن لسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد ذلك عن القبول .

وأما الركوع والسجود فالمقصود منهما التعظيم ، ولو جاز أن يكون تعظيماً لله تعالى مع أنه غافل عنه لجاز أن يكون تعظيماً للصنم الموضوع بين يديه وهو غافل ، ولأنه إذا لم يحصل التعظيم لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيها من المشقة مايصير لأجله عماداً للدين ، وفاصلا بين الكفر والإيمان ويقدم على الحج والزكاة والجهاد وسائر الطاعات الشاقّة .

فدلت هذه الاعتبارات على أن الصلاة لا بد فيها من حضور القلب .

انتهى ماذكره في التفسير الكبير .

قال القرطبي رحمه الله مفسراً لقوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ :

قوله تعالى : ﴿ خاشعون ﴾ روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال كان النبي ﴿ﷺ﴾ ينظر إلى السماء في الصلاة فأنزل الله عزوجل هذه الآية ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر حيث يسجد .

وفي رواية هشيم : كان المسلمون يلتفتون في الصلاة وينظرون حتى أنزل الله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ فأقبلوا على صلاتهم وجعلوا ينظرون أمامهم .

والخشوع محله القلب ، فإذا خشع خشعت الجوارح كلها لخشوعه ، وكان الرجل من العلماء إذا أقام الصلاة وقام إليها يهاب الرحمان أن يمدَّ بصره إلى شيء وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا .

وقال عطاء : هو ألَّا يعبث بشيء من جسده في الصلاة ، وأبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال : «لو خشع قلب لخشعت جوارحه» .

قال أبو ذر قال النبي ﴿ﷺ﴾ : «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يحرِّكن الحصى» .

ولنعم ما قال الشاعر

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع
لأنّ بها الآراب[٢] لله تخضع

---

(١) قوله الآراب : جمع الإرب بكسر فسكون وهو العضو . قاله القرطبي .

وأوَّل فـرض مِـن شـريعـة ديـنـنا
وآخـر مايـبـقـى إذا الدين يُرفـع

فـمَـن قـام للتكـبـير لاقَته رحمـة
وكان كـعـبـدٍ بـاب مولاه يَقـرَعُ

وصـار لـربِّ العـرش حـيـن صلاتـه
نـجـيـاً فـيا طوبـاه لوكان يخشـع

وروى أبو عمران الجونيّ قال : قيل لعائشة ماكان خُلُـق رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ قالت : أتقرؤون سورة المؤمنين ؟ قيـل : نعـم ، قالت : اقـرؤوا ؛ فقـرئَ عليها ﴿ قد أفلح المؤمنون – حتى بلغ – يحافظون ﴾ .

وقال القرطبي رحمه الله : اختلف الناس في الخشوع ، هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها على قولين ، والصحيح الأول ، وهو أن الخشوع من فرائض الصلاة ومحلُّه القلب «وهو أول عمل يرفع من الناس» . انتهى كلام القرطبي .

وقال الطبري رحمه الله : شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «إن أول مايرفع من النَّاس الخشوع»[1] .

---

(١) راجع تفسير القرآن للطبري ١١ /٢٢٨ تحت الآية : ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ .

الصلاة الخالية من الخشوع والطمانينة

إن الصلاة مكتوبة على المؤمنين من إله العالمين ، والعبد مكلّف بأدائها خمس مرات طرفي النهار وزلفا من الليل ، كما قال الله سبحانه : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً ﴾ .

وقد حضَّ الله تعالى ونبيُّه ﴿ﷺ﴾ الناس على الخشوع في الصلاة ، لأن الخشوع هو حاصل الصلاة وروحها وأصلها .

قال القرطبي : اختلف الناس في الخشوع ، هل هو فرض من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها على قولين ، والصحيح الأول وهو أن الخشوع من فرائض الصلاة ومحله القلب . وهو أول عمل يرفع من الناس اهـ.

وقال الإمام الرازي : إن قيل فهل تقولون إن ذلك – أي الخشوع – واجب في الصلاة ؟ قلنا : إنه عندنا واجب .

فلذا قال بعض الناس منهم الإمام سفيان الثوري رحمه الله يروي عنه أبوطالب المكي قائلا : من لم يخشع فسدت صلاته[١] .

وعن الحسن البصري : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع[٢] .

ونعم ما قال الشاعر

تصلي بلا قلب صلاة بمثلها
يصير الفتى مستوجبا للعقوبة

---

(١) ، (٢) كما في التعليق الصبيح شرح مشكاة المصابيح .

تخاطبه إياك نعبد مقبلا
على غيره فيها لغير ضرورة

ولو ردَّ من ناجاك للغير طرفه
تميَّزت من غيظ عليه وغيرة

ألاتستحي من مالك الملك وأن يرى
صدودك عنه يا قليل المروَّة

صلاة أقيمت يعلم الله أنها
بفعلك هذا طاعة كالخطيئة

وعن زيد بن وهب قال : دخل حذيفة رضي الله عنه المسجد فإذا رجل يصلي لا يتم الركوع والسجود ، فلما انصرف قال له حذيفة : مُذ كَم هذه صلاتك ؟ قال : مذ أربعين سنة ، فقال حذيفة : ماصلَّيت مذ أربعين سنة ، ولو مُتَّ وهذه صلاتك مُتَّ على غير الفطرة التي فُطر عليها محمد ﴿ﷺ﴾ ، ثم أقبل عليه يعلّمه فقال : إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم الركوع والسجود[1].

---

(١) كذا في الكنز ٤ /٢٣٠ وأخرجه عبدالرزاق وابن أبي شيبة والبخاري والنسائي عن زيد بن وهب كما في «حياة الصحابة» طبعة دار القلم الأولى بدمشق ٣ /٦٧٠-٦٧١ .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا ﴾ قال عليكم بإحسان الركوع فإن الصلاة من الله بمكان ، قال : وذكر لنا أن حذيفة رأى رجلا يصلي ولا يركع كأنه بعير نافر ، قال : لو مات هذا مامات على شيء من سنة الإسلام[1] .

قال وحدثنا أن ابن مسعود رأى رجلا يصلي ولا يركع ، وآخر يجرُّ إزاره فضحك فقالوا : مايضحكك يا ابن مسعود ؟! قال : أضحكني رجلان أحدهما لا ينظر الله إليه والآخر لايقبل الله صلاته[2] .

وعن أبي هريرة قال : إن الرجل ليصلي ستين سنة لايقبل الله له صلاة لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ، ويتم السجود ولا يتم الركوع[3] .

وعن موسى بن مسلم قال : جاء رجل يصلي وطاوس جالس ، فجعل لا يتم الركوع ولا السجود ، فقال بعض القوم : ماهذا صلاة ؟ فقال طاؤس : مَه يُكتب له منها بقدر ماأدَّى[4] .

وعن أبي قيس عن مسروق أنه رأى رجلا يصلي فأبصر رافعا رجليه وهو ساجد ، فقال : ماتمت صلاة هذا[5] .

وعن عبدالله الصنابحي قال : أشهد إني سمعت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول : خمس صلوات افترضهن الله عزوجل ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه[6] .

---

(١) ، (٢) راجع الدر المنثور ٦ /٣٠٥ .

(٣) راجع المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة باب «في الرجل ينقص صلاته وماذكر فيه وكيف يصنعه؟» . (٤) و (٥) المصدر السابق . (٦) راجع السنن لأبي داود «باب المحافظة على الصلوات» .

فالحاصل أن أداء الصلاة بدون وعي وشعور وخشوع وحضور ماهي إلا صلاة شكلية خداج غير نافعة خالية من الفضائل والبركات المذكورة في السنن والآثار للمصلين .

انظر إلى خوضك في أعمال الدنيا وأمور مادية ، كيف تسعى وتجتهد في الحصول عليها وتغفل عن رب الأنام .

وإليك مثالًا بسيطاً حينما تلقى السمع إلى الهاتف وتتكلم مع الآخر فتتوجه إليه توجّهاً تامّاً وتهتم به ، ولا تريد أن يختلط صوت غيره بكلامك حتى لا تلتفت يمينا ولا شمالا إذا كان هناك كلام هام على الهاتف ، هذا هو أسلوبك مع صاحبك في التكلم والاستماع فتستمع إليه كل الاستماع ، وهذا ربك تناجيه وتدعوه ولا تدري ماذا تقول وبماذا تخاطبه ، فشتَّان بين كلام العبد وكلام خالق العبد يا أبا العجب ؟

فلماذا لا تسلك نفس الأسلوب في الأعمال الدينية في العبادات والعقيدة ، فكأنك ترجح الدنيا على الدين قال تعالى ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[1] ﴾ . وقال جلت عظمته : ﴿ وما قدروا الله حق قدره[2] ﴾ .

علينا أن نجتهد في أن نؤدي الصلوات كلها بالخشوع والحضور لأن مدار الفلاح على هذه الصلوات في الدنيا والآخرة ، وهذه الصلوات تنهى

---

(١) سورة الروم : ٧ .

(٢) سورة الأنعام : ٩١ . وسورة الزمر : ٦٧ .

عن الفحشاء والمنكر وتتبدل بها السيئات حسنات ويصير العبد بها في معية الله تعالى وعنايته الخاصة كقوله تعالى : ﴿وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزَّرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لَأُكَفِّرَنَّ عنكم سيِّئاتكم ولَأُدخلنَّكم جنَّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك فقد ضلَّ سواء السَّبيل[1]﴾ .

وفي الصحيح للإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : يقول الله تعالى : «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداءماافترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبُّه فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه . انتهى .

وهذه الصلوات علاج لجميع المصائب والكربات قال تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا حَزَبَه أمر فزع إلى الصلاة[2] .

وعن ثابت رضي الله عنه قال : كان النبي ﴿ﷺ﴾ إذا أصابه خصاصة

---

(١) سورة المائدة : ١٢ . (٢) أخرجه أحمد وأبوداود وابن جرير كما في الدر المنثور.

نادى أهله يا أهلاه ! صلوا صلوا ، قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة[1] .

وعن عبدالله بن سلام قال : كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وتلا ﴿ وأمر أهلك بالصلاة[2] ﴾ الآية .

وخلاصة القول إن جميع آثار الصلاة وثمارها المذكورة في الكتاب والسنة تتحصل بالصلاة ذات الخشوع ، وهذه الصلاة عُبر عنها بمعراج المؤمن وقرة العين[3] ، ونور المؤمن[4] ، وراحة المؤمن ، وإلا فمجرد القعود والوقوف والانحناء والجلوس والصعود .

---

(١) راجع التفسير لابن كثير ٣ /١٧٢ ، والدر المنثور ٤ /٣١٣ ، وقال : أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ثابت رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبوعبيد وسعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح عن عبدالله بن سلام كما في الدر المنثور ٤ /٣١٣.

(٣) عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : «حُبِّب إليَّ الطيب والنساء وجُعلت قرة عيني في الصلاة» . رواه أحمد والبيهقي والنسائي .

قوله : «جعلت قرة عيني في الصلاة» قرة العين كناية عن الفرح والسرور والفوز بالبغية والوصول بالمحبوب لأن القرة إما من القَر بفتح القاف بمعنى القرار والثبات لأن العين تستقر بالنظر إلى المحبوب وتطمئن ، أو من القُر بضم القاف بمعنى البرد وبرد العين .

(٤) كما في الجامع الصغير للسيوطي وكنز العمال «الصلاة نور المؤمن» وأيضا أخرجه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .... وفيه : «الصلاة نور المؤمن» .

فكثير منا يؤديها بهذه الهيئة – إلا ماشاء الله – سواء كان جاهلا أو عالماً ، تلميذاً أو أستاذاً ، فقيراً أو ثرياً .

تذكر حالتك قبل الصلاة وبعد أدائها ، هل رأيت فيك تغيُّراً ؟ هل هناك تغير بين ذهابك إلى المسجد وإيابك منه ؟ وهل أمرتْك صلاتك بالمعروف ونهتك عن الفحشاء والمنكر ؟ إن لم يكن فلماذا ؟ .

تذكر أيها المصلي وجاهد في العمل وأخلص النية لله سبحانه ، وتذكر قول الرَّسول ﴿ﷺ﴾ لأبي الدرداء رضي الله عنه :

«يوشك أن تدخل مسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا» .

وقوله ﴿ﷺ﴾ : «يأتي على الناس زمان يصلون ولا يصلون»[1] .

---

(١) رواه أحمد في رسالته «الصلاة وما يلزمها» .

الإلتفات في الصلاة

الالتفات في الصلاة على ثلاثة أوجه : أوّلها بطرف العين ، فلا بأس به وإن كان خلاف الأولى ، والثاني : بطرف الوجه : فهو مكروه ، والثالث : بحيث يحول صدره عن القبلة ، فصلاته باطلة بالاتفاق .

قيل : من التفت يميناً وشمالًا ذهب عنه الخشوع المتوقف عليه كمال الصلاة. وقد جاء النهي عن الالتفات في الصلاة لما فيه من الاخلال بالخشوع والاشتغال بالمخلوق عن الخالق جل وعلا حينما قام ليناجيه .

وقال ابن قدامة : يكره أن يلتفت في الصلاة لرواية عائشة رضي الله عنها : «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» ولأنه يشغل عن الصلاة وكان تركه أولى . انتهى .

وعن مالك عن نافع أن عبدالله بن عمر لم يكن يلتفت في صلاته .

قال صاحب «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» شارحا لهذا الأثر المذكور ٣/ ٢١٣ - ٢١٤ :

أخرج ابن عبدالبر عن نافع قال : سئل ابن عمر رضي الله عنهما أكان النبي صلى الله عليه وسلم يلتفت في الصلاة ؟ قال : لا ولا في غيرالصلاة اهـ.

وإذا اعتاد العبد ذلك في غير الصلاة ، سهل عليه إمساك ذلك في الصلاة وإذا كان لفوتاً عسر عليه ضبط ذلك في العبادة ، وإذا كان النبي صلى ﷺ يلتفت فإنما كان لما يحتاج إليه ، ألا ترى لما أصابه ذلك فيما لايحتاج إليه في شأن الخميصة أخرجها من ملكه ولم يجعلها في بيته ، واقتدت في ذلك الصحابة فخرجوا عن أموالهم التي ألهتهم في صلاتهم غيرها ، وكذلك فعل في قرام عائشة اهـ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة[١] لها أعلام ، فقال : «شغلتني[٢] أعلام هذه ، إذهبوا بها إلى أبي جهم وأتوني بانبجانية[٣]» .

وعن مجاهد قال : مايأمن هذا الذي يلتفت في الصلاة أن يقلب الله وجهه ، الله مقبل إليه وهو ملتفت عنه[٤] .

عن زيد بن وهب أن عمر بن الخطاب رأى رجلا يصلي ركعتين بعد غروب الشمس

---

(١) قوله «في خميصة» قال الخطابي : كساء مربع من صوف هي ثوبُ خَزٍ أو صوف معلّمٍ وقيل : لاتسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة ، وكانت من لباس الناس قديما . اهـ .

(٢) قوله «شغلتني أعلام هذه» : كذا في صحيح مسلم ، وفي الرواية الأخرى : «فألهتني» وللبخاري : «فأخاف أن يفتنني» معنى هذه الألفاظ متقارب ، وهو اشتغال القلب بها عن كمال الحضور في الصلاة ، وتدبر أذكارها وتلاوتها ومقاصدها من الانقياد والخضوع ، ففيه الحث على حضور القلب في الصلاة ، وتدبر ماذكرناه ، ومنع النظر من الامتداد إلى مايشغل وإزالة مايخاف إشتغال القلب به وكراهة تزويق محراب المسجد ونقشه ، وغير ذلك من الشاغلات ، لأن النبي ﷺ جعل العلة في إزالة الخميصة هذا المعنى .

ويستحب له النظر إلى موضع سجوده ، ولا يتجاوز كما يأتي في الحديث ، وقال بعضهم : يكره تغميض عينيه إلا أن يخاف ضرراً ، وفيه صحة الصلاة في ثوب له أعلام وإن غيره أولى.

راجع التعليق المحمود على سنن أبي داود للشيخ فخر الحسن الكنكوهي رحمه الله .

قلت : وقال ابن أبي شيبة في مصنفه : في باب «تغميض العين في الصلاة» عن ليث عن مجاهد أنه كره أن يصلي الرجل وهو مغمض عينيه .

حدثنا زيد بن حباب قال : حدثنا جميل بن عبيد قال : سمعت الحسن وسأله رجل أغمض عيني إذا سجدت ؟ فقال : إن شئت .

(٣) والحديث رواه أبو داود في سننه في «باب النظر في الصلاة» والبخاري : «باب الالتفات في الصلاة» ومسلم : «باب كراهية الصلاة في ثوب لها أعلام» .

(٤) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه .

وقبل الصلاة ، فجعل يلتفت فضربه بالدرة حين قضى الصلاة وقال : لا تلتفت ولا تعب الركعتين . كما في المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «ياأنس ! اجعل بصرك حيث تسجد[1] » .

وعنه قال قال لي رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «يابنيَّ ! إياك والالتفات في الصلاة فإن الالتفات في الصلاة هلكة ، فإن كان لا بد ففي التطوع لا في الفريضة»[2] .

---

(١) رواه البيهقي في سننه الكبير من طريق الحسن عن أنس يرفعه كذا في المشكاة في باب «ما لايجوز من العمل في الصلاة وما يباح منه» .

«قوله حيث تسجد» : قال القرطبي : ٢ /١٦٠ تحت قوله تعالى : ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فيه خمس مسائل ، في هذه الآية حجة واضحة لما ذهب إليه مالك ومن وافقه في أن المصلِّي حكمه أن ينظر إلى أمامه لا إلى موضع سجوده ، وقال الثوري وأبوحنيفة والشافعي والحسن ابن حي : يستحب للمصلى أن يكون نظره إلى موضع سجوده ، وقال شريك القاضي : ينظر في القيام إلى موضع السجود ، وفي الركوع إلى موضع قدميه ، وفي السجود إلى موضع أنفه ، وفي القعود إلى حجره . قال ابن العربي : إنما ينظر أمامه ، فإنه إن حَنَى رأسه ذهب بعض القيام المفترض عليه في الرأس وهو أشرف الأعضاء ، وإن أقام رأسه وتكلف النظر ببصره إلى الأرض فتلك مشقّة عظيمة وحَرج ، وما جعل الله علينا في الدين من حرج ، أما إن ذلك أفضل لمن قدر عليه . انتهى .

قلت : مَن اهتَمَّ بالنَّظر في الصلاة إلى موضع سجوده واستمر على هذا في كل صلواته فإنه يجد قسطه من الخشوع والاقبال إلى الله سبحانه عن قريب إن شاء الله تعالى ، ولكن نظره إلى موضع سجوده في الصلاة والاستمرار عليه إنه لكبير أي ثقيل إلا على طالب الخشوع ولمن يريد أن يكون في زمرة الخاشعين الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وهو على كل شيء قدير.

(٢) رواه الترمذي كذا في المشكاة «باب مالايجوز من العمل في الصلاة ومايباح منه» .

عن أبي قلابة قال : سألت مسلم بن يسار أين منتهى البصر في الصلاة ؟ فقال : إن حيث يسجد - وفي نسخة - إن حيث تسجد - حسن[1] .

وعن ابن سيرين أنه كان يحب أن يضع الرجل بصره حذاء موضع سجوده فإن لم يفعل فليغمض عينيه[2] .

عن إبراهيم النخعي أنه كان يحب للمصلى أن لايجاوز بصره موضع سجوده[3] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله تعالى : ﴿ عن صلاتهم ساهون ﴾ قال : هو الذي يصلى ويقول هكذا وهكذا : يعنى يلتفت عن يمينه ويساره[4] .

وعن سعيد بن جبير قال : خمس تنقص الصلاة[5] : التمطى ، والالتفات ، وتقليب الحصى ، والوسوسة ، وتفقيع الأصابع[6] .

وعن عمران بن حصين في قوله تعالى : ﴿ والذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ قال : الذي لا يلتفت في صلاته . كما في المصنف .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في باب «من كان يحب للمصلى أن يكون بصره حذاء موضع سجوده . (٢) ، (٣) نفس المرجع المذكور . (٤) راجع الدر المنثور ٦ / ٤٠٠ .

(٥) قوله «تنقض الصلاة» : أراد صلاة الخاشعين فإنهم يمتنعون عن مثل هذه الأفعال في الصلاة ويحسبونها نقضا لها وإفسادا من حيث انتقاص الأجر وإضاعة الثواب .

(٦) قوله «تفقيع الأصابع» فقع الأصابع : فرقَعها ، يعنى أنقضها . والحديث أورده أبو بكر ابن أبي شيبة في مصنفه في باب «تفرقع اليد في الصلاة» .

قال الراقم : وقال أبو بكر بن أبي شيبة في الباب المذكور : حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس قال : صليت إلى جنب ابن عباس ففقعت أصابعي ، فلما قضيت الصلاة قال : لا أمَّ لك تفقع أصابعك وأنت في الصلاة ؟!

حدثنا هشيم عن مغيرة عن إبراهيم قال : كان يكره أن ينقض الرجل أصابعه وهو في الصلاة .

وقال ابن كثير ٤ /٤٢٢ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ والذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ قيل معناه : يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي .

وقيل : المراد بالدوام ههنا : السكون والخشوع كقوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ قاله عقبة بن عامر ، ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد .

وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة ، فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته ، لأنه لم يسكن[1] فيها ، ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب ، فلا يفلح في صلاته .

وقيل : المراد بذلك : الذين إذا عملوا عملا داموا عليه وأثبتوه ، كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أنه قال : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ» ، وفي لفظ «ماداوم عليه صاحبه» ، قالت : وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا عمل عملا داوم عليه .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ الذين هم في صلاتهم دائمون ﴾ : ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﴿ﷺ﴾ فقال : «يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ماغرقوا ، أو قوم عاد ماأرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ماأخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمن حسن» انتهى .

---

(١) قلت : أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا لمن يسكن في صلاته ولا يتحرك ولا يتميل إيمانا وإحتسابا أن يجعل مسكنه الجنة التي هي محل السكون والطمأنينة والفرح الدائم ، قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون﴾ المعارج : ٣٤ – ٣٥ وقال تعالى : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ ومعنى خاشعون : أي خائفون ساكنون ، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

قد اتضح مما سبق أهمية الخشوع في الصلاة وورد الأمر بذكر الله سبحانه في كل حين فيقول جل وعلا : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً ﴾ كما يأمر جل سبحانه بذكره على الخصوص بقوله : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ .

ويصف سبحانه وتعالى عباده المخلصين أنهم لا تشغلهم الأعمال الدنيوية عن ذكره كما قال تعالى : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ وهذا فضل الله سبحانه أن أذن للعبد بذكره في كل حين في الصلاة وغيرها .

نرى في الدنيا رجالا يسألون حاجاتهم من الأغنياء والأثرياء أصحاب الجود والسخاء ، فيأتون بعبارات تليق بشأنهم ، ويمدحونهم بألقاب شتى ، ويطلبون حوائجهم بأساليب مختلفة ، يراعون أسلوب الكلام وأداءه ويزيِّنونه قبل تقديمه أمام المسؤول ، ويظهرون لهم في لباس نظيف ، وهيئة حسنة حيث لا تتكدر قلوبهم ويأتون بجميع مايلفتُ أنظارهم ، فحينئذ يتوجهون إليهم ويقضون حوائجهم .

والعبد في جميع أحواله محتاج إلى ربه سبحانه وتعالى ، فلزم عليه أن يقف أمام ربِّه متأدبا ، ويذكر الله عزوجل بالثناء الحسن ، ويثنى عليه بما هو أهله ، ويمجده ويكبره ويقدسه بالاخلاص الكلي ، ولا يلتفت إلى غيره سبحانه فإذا فعل ذلك استحق رحمة الله سبحانه ويكون من عباده المخلصين .

قال عطاء بلغني أن الرب يقول : ياابن آدم إلى مَن تلتفت ؟ أي في حالة الصلاة - أنا خير لك ممَّن تلتفت إليه .

والله سبحانه تعالى يسمع أصوات العباد كلِّهم برِّهم وفاجرهم في الصلاة وخارجها كما قالت عائشة رضي الله عنها : «سبحان الذي وسع سمعه

الأصوات» ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾ يونس : ٦١ .

فلو نتصور أننا نحن أمام أحكم الحاكمين الذي يعلم كل شيء ﴿ وإن الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ ، ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ و ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾ .

هذا التصور يفيد الاحتراز والابتعاد عن المعاصي والاقبال على الطاعات التي تورث الجنَّات عند رب البريات .

ولكن الحيف الحيف ! نحن نيام وما عرفنا قدر النعمة حق قدرها ، وضيعنا الوقت الثمين حتى ماعرفنا حمد الرب تعالى ، ولم نعلم طريقة الحمد ، ولا نتعلم أسلوب الحمد لله رب العالمين ، والله المستعان .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلينا واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندنا ، واقطع عنَّا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عيوننا من عبادتك . اللهم آمين .

درجات الأجر على الصلاة

عن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : «إن الرجل لينصرف ، وما كُتب له إلا عُشر صلاته تُسعُها ثُمنها سُدسُها خُمسها رُبعها ثُلثها نصفُها[1]» .

وعن أبي اليسر أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «منكم من يصلي الصلاة كاملة ، ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع ، حتى بلغ العشر[2]» .

عن طاؤس قال : إن الملائكة يكتبون أعمال بني آدم فيقولون : فلان نقص من صلاته الربعَ ، ونقص فلان الشطر ، ويقولون : زاد فلان كذا وكذا[3] .

عن عمر بن الخطاب رفع الحديث قال : من كفَّ يده في صلاة مكتوبة فلم يعبث بشيء كان أفضل أجرا ممن تصدَّق بكذا وبكذا من ذهب[4] .

تفيدنا الأحاديث والآثار المذكورة أن الثواب والأجر يترتب على قدر الاهتمام بالسُّنن وعلى قدر الخشوع والخضوع في الصلاة ، حتى إن البعض يكتب له العشر فقط ، وذلك حسب قدر الخشوع وإقباله على الصلاة ، والبعض ينال نصف الأجر ، كما يكتب للبعض أقل من العُشر أو زائدا على النصف ، والبعض يعود خاليا اليد من الأجر ، وهؤلاءِ يصدق عليهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : «يأتي على الناس زمان يصلُّون ولا يصلُّون»[5] .

---

(١) رواه أبو داود في سننه «باب ماجاء في نقصان الصلاة» ، وقال المنذري في الترغيب : رواه أبوداود والنسائي وابن حبان في صحيحه بنحوه اهـ وعزاه في الجامع الصغير إلى أحمد وأبي داود.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٥ /٤ وقال : أخرجه أحمد عن أبي اليسر مرفوعا .

(٣) راجع كنز العمال ٨ /٢٠٣ . (٤) نفس المرجع ص ٢٠٤ . (٥) رواه الامام أحمد في رسالته «الصلاة وما يلزمها» .

حتى بعض الناس لا تنفعهم الصلاة[1] ولا أجر لهم فيها قط بل الصلاة تدعو عليهم كما ورد في الحديث الآتي :

رُوى عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «فمن صلَّى الصلاة لوقتها ، وأسبغ لها وُضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها ، خرجت وهي بيضاء مسفرة ، تقول : حفظك الله كما حفظْتني ، ومَن صلاها لغير وقتها ، ولم يُسبغ لها وُضوءها ، ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها ، خرجت وهي سوداءُ مُظلمة ، تقول : ضيَّعَك الله كما ضَيَّعْتَني ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفّت كما يُلَفّ الثوب الخَلِق ثُم ضُرب بها وجْهُه[2] .

وقال قائل في هؤلاء الذين يصلون ولا يصلون :

وكم من مصل ماله من صلاته
سوى رؤية المحراب والكد والعنا

الله الله ! لا يحب أحدنا في المجتمع أن يكلم أحداً بدون وعي وشعور مهما كان المخاطب خسيسا ، ولكن العبد يناجي ربه وهو لا يهتم أن يشعر أويعرف ماذا يكلمه ، وبمن يكلمه ، وماذا قرأ الإمام في صلاة جهر فيها ، حتى

---

(١) كما ورد من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ استعاذ من صلاة لا تنفع وقال : «اللهم إنّي أعوذ بك من صلاة لا تنفع» لأبي داود . راجع جمع الفوائد رقم الحديث ٩٥٠٣.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط كذا في الترغيب والدر المنثور وعزاه في المنتخب إلى البيهقي في الشعب ، وفيه أيضا برواية عبادة رضي الله عنه بمعناه ، وزاد في الأولى بعد قوله : كما حفظتني ثم أصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله فتَشفع لصاحبها ، وقال في الثانية : وغلقت دونها أبواب السماء ، وعزاه في الدر إلى البزار والطبراني وعزا في الجامع الصغير حديث عبادة إلى الطيالسي وقال صحيح اهـ .

بعض الناس لا يدرون عن قراءتهم في الصلاة ، هيهات هيهات ! لما فات ، ﴿ ماقدروا الله حق قدره ﴾ .

ورسول الله ﴿ﷺ﴾ ينبّه أمته على هذه الغفلة والاهمال كما ورد في الحديث :

فروى مالك : أن النبي ﴿ﷺ﴾ صلى بالناس صلاة يجهر فيها فأسقط آية ، فقال : يافلان ! هل أسقطتُ في هذه السورة من شيء ؟ قال : لا أدري ، ثم سأل آخر ، حتى سأل اثنين أو ثلاثة ، كلهم يقول : لا أدري ، فقال : «هل فيكم أبيٌّ ؟» قالوا : نعم ، قال : فهو لها إذاً ، قال : ياأبيُّ ! هل أسقطتُ في هذه السورة من شيء ؟ قال : نعم ، آية كذا ، قال : مامنعك أن تفتحها عليَّ قال : ظننت أنها نسخت أو رفعت ، ثم قال ﴿ﷺ﴾ : «مابال أقوام يتلىٰ عليهم كتاب الله فلا يدرون ماتلي عليهم منه مما ترك ، هكذا أخرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل فشهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ، ولا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد بقلبه مع بدنه»[1] .

وهذا لا يليق بشأن الانسان الذي حمل الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض فأبين أن يحملنها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير مفسراً لهذه الآية[2] :

يقول تعالى : معظما لأمر القرآن ومبيِّنا علو قدره وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدَّع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد ﴿ لو أنزلنا

---

(١) راجع جمع الفوائد رقم الحديث : ١٧٢٨ .

(٢) راجع التفسير لابن كثير : ٤ /٣٤٣ - ٣٤٤ .

هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر مافيه لخشع وتصدع من خوف الله عزوجل ، فكيف يليق بكم يأأيها البشر ! أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبَّرتم كتابه ، ولهذا قال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ وكذا قال قتادة وابن جرير .

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر ماوضع وجاء النبي ﴿ﷺ﴾ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حنَّ الجذع وجعل يئن كما يئنُّ الصَّبيُّ الذي يسكت لما كان يسمع من الذِّكر والوحي عنده .

ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده : فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصمّ لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدَّعت من خشيته ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ ولو أنَّ قرآنا سيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلِّم به الموتى ﴾ الآية وقد تقدم أن معنى ذلك أي لكان هذا القرآن .

وقد قال تعالى : ﴿ وإن من الحجارة لَمَا يتفجَّر منه الأنهار وإن منها لما يشَّقَّقُ فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ انتهى .

وما أحسن قول الشاعر :

إذا المرء كانت له فكرة
ففي كل شيء له عبرة

فأصبحت صلاتنا كعادة الماكينة تدور وتمشي وتروح وما تدري ماذا تفعل ؟ وأن الذهاب إلى المسجد والعود منه والوقوف بين يدي الله والرُّكوع والسُّجود كل ذلك صار أمراً عاديا ، لا لذَّة للنفس في الركوع والسجود ، ولا حسَّ لها في القيام والقعود .

ينبغي للمؤمن أن يصلى صلاة يناجي فيها ربه ويستلذ بحضوره بين يدي ربه وإذا فرغ منها يكون قلبه مربوطاً بها ، وذاكراً لتلك اللَّذة التي نالها ، ومنتظرا لوقت الصلاة الأخرى ، ولأجل هذه اللذة الروحية يهُونُ على الانسان ترك الفراش الناعم والنَّوم الهادىء ، كما قال تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ . وقال جلت عظمته : ﴿ يبيتون لربِّهم سجدا وقياما ﴾ ، وقال جل شأنه : ﴿ وبالاسحار هم يستغفرون ﴾ .

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن عبيد بن عمير أنه قال لعائشة : أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﴿ﷺ﴾ ؟ قال : فسكتت ثم قالت : لمَّا كانت ليلة من الليالي قال : ياعائشة ! ذريني أتعبَّد الليلة لربِّي ، قلت : والله إني أحب قربك وأحب مايسرك ، قالت : فقام فتطهَّر ثم قام يصلي ، قالت : فلم يزل يبكي ﴿ﷺ﴾ حتى بلَّ حِجْره ، قالت : وكان جالسا فلم يزل يبكي ﴿ﷺ﴾ حتى بلَّ لحيته ، قالت : ثم بكى حتى بل الأرض ، فجاء بلال يُؤْذنه بالصلاة — أي يعلمه بها — فلمَّا رآه يبكي قال : يارسول الله تبكي وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخَّر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكوراً ؟ لقد أنزلتْ عليَّ الليلة آية ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾الآية كلها[1] .

---

(١) راجع الترغيب : ٣ / ٣٢ . والآية من سورة آل عمران : ١٩٠ .

ولما ننظر إلى أنفسنا وصلواتنا فكأنها ثقل على أكتافنا ، ولا يحضر قلوبنا إلى مانفعل ونقول فيها ، فمنًا من يُسرِّح لحيته ، ومنهم مَن يحاسب تجارته أو يرتِّب كيده وأكاذيبه ليعرضها أمام المسئول ، ومنهم من يلعب بثوبه وغير ذلك مما يفعله السَّاهون اللَّاهون ، هذا مايتعلق بالمصلين .

أما التاركون لها والمعرضون عنها فيجدون الفرصة لتجميل صورهم أمام المرايا الطويلة وتزيين الثياب ، ولقاء الأحباب ، لكن لا يجدون فرصة واحدة ليقوموا بين يدي ربِّهم عابدين ساجدين ، يستجيبون للشيطان ، ويحضرون الملاهي ولا تكتحل عيونهم بالنوم طول الليل لأجل اللهو واللعب والنَّظر إلى ماتشتهيه النفس ، ولا يحبون بيوت الله التي ترفع ويذكر فيها اسمه وقد قال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : «المرء مع من أحبَّ» .

أيها الغافل ! وأنت مشتغل بشتَّى ألوان اللهو والعبث وتحبُّها حبا لا يعدله حب ، ولا تقدر أن تتركها لأن الشيطان يزيِّنها لك ويقول : حيّ على صبأ ونسيم وهي صرصر وسموم ، ويقول : حيّ على ضياء ونور ، وهي ظلمة وثبور ، وأنت تلبِّي تلبية العاشق الأعمى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القُلوب التي في الصدور ، اللهم اهدنا الصراط المستقيم .

وأرجع إلى موضوع الصلاة فأقول سائلا : هل الصلوات الخمس في اليوم والليلة ، والركوع والسجود والجلسة والقعدة مناسك الشهور والأعوام تنتهى إلى وقت خاص أم يدوم أداؤها إلى آخر أعمارنا ، فإذا كانت هي عبادة عمر كله لا بد أن نتفكر كيف نؤديها ، فهل نؤديها كما ينبغي أداؤها أم نؤديها بدون وعي وشعور إلى أن نزور القبور ، ويحصل ما في الصدور . ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم

---

(١) سورة الحديد : ١٦

في غفلة معرضون ، ماياتيهم من ذِكر من ربِّهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم[1] ﴾ الآية .

وهل الشوق والرغبة غير مطلوبة ؟ ثم كيف يرغب عن الصلاة مع أنها أفضل الأعمال والعبادات ، ولها مكانة رفيعة في الدين ، فإنها حمد وثناء وتمجيد وتعظيم وتكبير وإجلال ، قيام ثم ركوع ثم سجود وتتبعه القعدة ، ولا يميل إلى جانب آخر ولا يلتفت ، وهذا الذي بيَّنه النبي ﴿ﷺ﴾ بقوله : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، هذا هو الاحسان والاخلاص .

إن المصلى لا يكلم أحدا ولا يستمع إلى الناس ، بل هو يناجي ربه ، فمرة تراه يعتذر ويستغفر ربه ومرة يركع ، ومرة يسجد على الأرض ، وهو كما قال النبيُّ ﴿ﷺ﴾ «الساجد يسجد على قدمي الله تعالى» والحديث بتمامه .

عن أبي عمار مرسلا : «إذا قام العبد في صلاته ذرأ البرّ على رأسه حتى يركع ، فإذا ركع علته رحمة الله ، حتى يسجد ، والساجد يسجد على قدمي الله ، فليسأل وليَرغب[2]» .

فالحاصل أن الصلاة عبادة عجيبة لذيذة جامعة ، فكيف يؤدي المسلم هذه العبادة المكيفة بالراحة[3] والسكون بدون رغبة وشوق مع أن أداء العبادة

---

(١) سورة الأنبياء : ١ - ٢ .

(٢) راجع الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي : ١ /٣٢ . ورقم له بالضعف .

(٣) قلت : لا شــك في هذا القول بأن الصلاة فيها الراحة والسكون ، وتصديق ذلك في قول سيد الرسل ﷺ كما في المشكاة في باب «القصد في العمل» عن سالم بن أبي الجعد قال قال رجل من بني خزاعة : ليتني صلَّيت فاسترحت ، فكأنهم عابوا عليه ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أقم الصلاة يابلال أرحْنا بها» رواه أبو داود . وفي لفظ لأحمد رحمه الله : «يابلال ! أرحنا بالصلاة» =

بالشوق والاخلاص يزكّي النفوس وينشط الأرواح ، والصلاة دواء مجرب لقلع العادات السيئة كلها كما قال جل وعلا : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

= وقال الامام أحمد ثنا عبدالرحمن بن مهدي ثنا إسرائيل عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد أن محمد بن الحنفية قال : دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار ، فحضرت الصلاة ، فقال : ياجارية ! ائتني بوضوء لعلي أصلي فأستريح ، فرآنا أنكرنا عليه ذلك ، فقال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : «قم يابلال ! فأرحنا بالصلاة» كما في التفسير لابن كثير ٣ /٢٣٩ .

قوله «فكأنهم عابوا عليه» لما تبادر إلى إفهامهم من طريان الكسل والثقل كأنه قال : ياليتني ! صليت فاسترحت ونمت ، فإني لم أطق انتظارها ، فقال الرجل : لست أريد مافهمتم حاشا ذلك ، بل أردت ماأراده رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يابلال أرحنا بها ، فسكتوا .

فاعلم أنه قد ذكر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم «أرحنا بها يابلال» وجهان : أحدهما أن أذّن بالصلاة حتى نستريح بأدائها ، وشغل القلب فيها . وثانيهما : أنه كان اشتغاله ﷺ بها راحة فإنه كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا ، وكان يستريح بها لما فيها من مناجاة الحق ، ولذا قال ﷺ : «جعلت قرة عيني في الصلاة» . رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه . وهذان المعنيان مذكوران في النهاية .

قلت : إذا توضأ المسلم للصلاة فأحسن الوضوء ، يجد الراحة والخفة في الجسد .

فياصاحب الطبع السليم : ما ظنك في عبد إذا قام فصلى ، كيف لا يجد الرّاحة والسكون والحلاوة في الصلاة وهو يؤدى إحدى الأمانات الكبيرة إلى الله سبحانه ، ويتمثل بأمر الرب جل وعلا ﴿أن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها﴾ ولأن الله تعالى يقول : ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السّموات والأرض والجبال فأبين أن يحمِلْنها وأشْفقْنَ منها وحملها الانسانُ إنه كان ظلوما جهولا﴾ ، ومعلوم أن الصلاة من إحدى الأمانات التي عرضها الله على الخلق فما حملها ولا أداها مثل مايؤديها الإنسان وبالخصوص أمة سيِّدنا ونبينا محمد ﷺ ، لأن طريقة أداء الصلاة التي وُهبت لهذه الأمة الأمّية ، ماوهبت لأية أمة من الأمم السابقة حتى الملائكة المقربون . انظر قول دانيال عليه الصلاة والسلام في صفة صلاة هذه الأمة ص (٧٥) من هذا الكتاب .

والمنكر ﴾ فيصبح المصلي بطاعته ولي الله وحبيبه ثم ينفق حياته في رضاء الله سبحانه وطاعة نبيه ﴿ﷺ﴾ وذلك هو مراد المؤمن ﴿ والله ورسوله أحقُّ أن يُرضُوه إن كانوا مؤمنين ﴾ وقال جلَّت عظمته : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾.

وخلاصة الباب أنه يلزمه أداء الصلاة خاشعاً خاضعاً لينال الثواب كاملًا ، ويحاسب نفسه على ضياع الخشوع ويخاف أن يحاسب على الصَّلاة الَّتي أدَّاها خالية عن الخشوع والخضوع .

عن أبي أيوب الأنصاري قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : عظني وأوجز : فقال : «إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاة مُودِّعٍ ولا تكلم بكلام تعتذر منه غداً وأجمِعِ الإياس ممَّا في أيدي النَّاس»[1] .

وللديلمي في مسند الفردوس عن أم سلمة : «إذا صلى أحدكم فليصل صلاة مُودِّع ، صلاة من لا يظن أنه يرجع إليها أبداً[2]» .

---

(١) رواه الإمام أحمد كذا في المشكاة المصابيح (كتاب الرقاق) .

(٢) راجع الجامع الصغير للسيوطي ص ٣٠ ورقم له بالضعف .

ومعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم «صل صلاة مودّع» : أي تارك نفسه وجميع ماسوى الله تعالى ، وأقبل بكلك إلى جناب الحق بتوجه تام وإخلاص كلي ، ويحتمل أن يكون معناه مودّع حياته أي كن كأنها آخر صلاتك وهذا الوقت آخر حياتك . مرقاة .

المشي إلى الصلاة بالسكينة والوقار

بوَّب البخاري في صحيحه «باب قول الرجل فاتتنا الصلاة» وسرد الحديث عن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه قال : بينما نحن نصلى مع النبى ﴿ﷺ﴾ إذ سمع جَلَبَة[*] رجالٍ فلما صلى قال : ماشأنكم ؟ قالوا : استعجلنا إلى الصلاة ، قال : فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة[١] فما أدركتم فصلّوا وما فاتكم فأتموا»

وعن أبي هريرة عن النبـي ﴿ﷺ﴾ قال : «إذا سمعتم الإقامـة فامشُوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تُسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا[٢] .

وعن أبي هريـرة قال سمعت رسول اللـه ﴿ﷺ﴾ يقـول : إذا أقيـمت[٣] الصلاة فلاتأتوها تسعون وأتوها تمشُون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا[٤] .

(*) قوله «جلبة رجال» بالفتحات أى أصواتهم وكان ذلك بسبب حركتهم وكلامهم واستعجالهم . قاله الكرماني .

(١) قوله «فعليكم السكينة» أي الزموا السكينة ، وهى عبارة عن التأنى فى الحركات مع الخضوع والخشوع وإنما أمرهم بالسكينة لأنه فى الصلاة مادام قاصدا لها ، فإنه أخرج مسلم فى صحيحه «إذا كان أحدكم يعمد إلى الصلاة فهو فى صلاة يعنى إذا لم يقصر فى التأخير (راجع التعليق المحمود على سنن أبى داود) .

(٢) رواه البخاري في «باب ماأدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» .

(٣) قوله «إذا أقيمت الصلاة الخ» هذا ليس بقيد بل إنما ذكر لأنه محل توهم جواز الإسراع لإدراك أول الصلاة مع الإمام فإذا لم يجز الإسراع مع وجود هذه المصلحة فعند انتفائها بالأولى ففي هذا التقييد إفادة أن الإسراع لا يجوز حتى إذا أقيمت الصلاة أيضا ، والمراد بالسعي هنا الإسراع وقد يطلق على مطلق المشي أيضا كما في قوله تعالى ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ راجع التعليق المحمود على سنن أبي داود .

(٤) الحديث رواه أبو داود في باب «السعي إلى الصلاة» .

فصلوا ماأدركتم واقضوا ماسبقكم[1]».

حدثنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن فى قوله تعالى : ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ قال أما والله ماهو بالسعى على الأقدام ، وقد نُهُو أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والثبات والخشوع[2].

قال الخازن فى تفسيره : وليس المراد من السعى فى الآية الإسراع فى المشى ، وإنما المراد منه العمل ، وكان عمر يقرأ فامضوا[3] ، وقال الحسن أما والله ماهو بالسعى على الأقدام ، وقد نهو أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والخشوع ، وعن قتادة فى هذه الآية قال: السعي أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو المشي إليها ، وكان يتأول قوله تعالى : ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ بقوله : فلما مشي معه انتهى ماقاله الخازن[4].

---

(١) راجع السنن لأبي داود «باب السعي إلى الصلاة» .

(٢) راجع المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة باب «السعى إلى الصلاة يوم الجمعة من فعله ومن لم يفعله» رقم الحديث : ٥٥٢٧ .

(٣) قلت : وهى قراءة عمر رضى الله عنه كما فى الموطأ «باب ماجاء فى السعى يوم الجمعة» مالك ، أنه سأل ابن شهاب عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ فقال ابن شهاب : كان عمر بن الخطاب يقرأها «إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله» وأيضا عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال : «كان عبدالله يقرأها : فامضوا إلى ذكر الله ، ويقول : «لو قرأتها فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائى» كما فى المصنف باب «السعى إلى الصلاة يوم الجمعة من فعله ومن لم يفعله» رقم الحديث ٥٥٢٨.

(٤) راجع «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» باب ماجاء في السعي يوم الجمعة .

قال يحيى : قال مالك وإنما السعى فى كتاب الله عزوجل العمل والفعل ، يقول الله تعالى : ﴿وإذا تولى سعى فى الأرض﴾، وقال تعالى : ﴿وأما من جاءك يسعى وهو يخشى﴾ ، وقال عزوجل : ﴿ثم أدبر يسعى﴾ ، وقال عزوجل : ﴿إن سعيكم لشتى﴾[٢].

والآثار الواردة فى المصنف فى باب «من كرهه» أى الإسراع إلى الصلاة ٤ /٧٣ منها :

عن أبى ذر قال : إذا أقيمت الصلاة فامش إليها كما كنت تمشى ، فصلِّ ماأدركت واقض ماسبقك .

وعن أبى هريرة قال : إذا ثوِّب بالصلاة فامشوا وعليكم السكينة والوقار ، فصلوا ماأدركتم واقضوا ماسبقكم .

وعن أبى عبيدة عن عبدالله قال : امشوا إلى الصلاة وقاربوا بين الخُطى ، واذكروا الله .

وعن أنس بن مالك قال : خرجت مع زيد ابن ثابت إلى المسجد فأسرعت المشى فحبسنى .

وعن داود بن فراهيج قال : حدثنى مولاى سفيان بن زياد أنه كان ينطلق إلى المسجد وهو يستعجل ، قال : فلحقنى الزبير بن العوام فقال : اقصد فى مشيك فإنك فى صلاة ، لن تخطو خطوة إلا رفع الله لك بها درجة ، وحطّ عنك بها خطيئة .

وعن بُهيسة حاضنة بنى عَبْدالله قالت سمعت الإقامة فأسرعت فمررت بعلي ابن الحسين وأنا مسرعة، فجذب ثوبي وقال : امشي على رسلك .

وعن عثمان بن الأسود قال : عدنا مجاهدا أنا وصاحب لى ، فحضرت الصلاة فقال : انطلقوا فصلوا وامشوا على هيئتكم ، فما أدركتم مع الإمام فصلوا ، وما فاتكم فأتموا .

وعن أبى سنان عن محمد بن زيد بن خليدة قال : كنت أمشى مع ابن عمر إلى الصلاة فلو مشت معه نملة لرأيت أن لايستبقها .

وعن ثابت قال : أخذ بيدى أنس فجعل يمشى رويدا إلى الصلاة ، ثم التفت إلىَّ فقال : هكذا كان يصنع زيد بن ثابت لتكثر خطاه . انتهى ماذكره صاحب المصنف .

الاحتراز من الروائح الكريهة

فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس

أخرج الإمام مسلم في صحيحه باباً في «نهي من أكل ثوماً أو بصلًا أو كراثاً أو نحوها» :

عن جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عن أكل البصل والكراث فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها فقال : «من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربنَّ مسجدنا فإن الملائكة تتأذَّى مما يتأذَّى منه الإنس .

وبوَّب البخاري في صحيحه «باب ماجاء في الثُّوم النيِّ والبصل والكُراثّ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «من أكل الثوم أو البَصَل من الجوع أو غيره فلا يقربن مسجدنا» وسرد الأحاديث منها :

عن جابر بن عبدالله قال قال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : «مَن أكل مِن هذه الشجرة يريد الثُّوم فلا يغشانا في مسجدنا» قلت : مايعنى به ؟ قال : ماأراه يعنى إلا نَيئه ، وقال مخلد بن يزيد عن ابن جريج : إلا نتنَه» .

وعن ابن عمر أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال في غزوة خيبر : «من أكل من هذه الشجرة يعني الثُّوم فلا يقربنَّ مسجدنا» .

وعن ابن شهاب قال زعم عطاء أن جابر بن عبدالله زعم أن النبيَّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال : «من أكل ثوماً أو بصلًا فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا وليقعُد في بيته وأن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أتى بقِدر فيه خضروات من بُقول فوجد لها ريحاً فسأل فأخبر بما فيها من البقول فقال : «قرِّبوها إلى بعض أصحابه كان معه فلما رآه كره أكلها فقال : «كل إنِّي أناجي من لا تناجي» .

وعن عبدالعزيز قال سأل رجل أنس بن مالك ماسمعتَ النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الثوم ؟ فقال : قال النبيُّ ﴿ﷺ﴾ : «مَن أكل من هذه الشجرة فلا يقربنَّا ولا يصلِّيَنَّ معنا» .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنَّ مسجدنا ولا يوذيَنَّا» الحديث[1] .

وعن جابر بن عبدالله عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : من أكل من هذه البقلة الثوم وقال مرة : من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذي مما يتأذَّى منه بنو آدم[2]» .

وعن عديٍّ بن ثابت عن زر بن حبيش عن حذيفة ظنه عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «من تفل تُجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه ، ومن أكل من هذه البقلة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا ثلاثاً[3]» .

وعن ابن عمر أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن المساجد»[4] .

وعن المغيرة بن شعبة قال : أكلت ثوماً فأتيت مصلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وقد سبقت بركعة فلما دخلت المسجد وجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ ريح الثوم فلما قضى رسول الله ﴿ﷺ﴾ صلاته قال : «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا حتى يذهب ريحُها أو ريحه فلما قضيت الصلاة جئت إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقلت : يارسول الله ! لتعطيني يدك قال : فأدخلت يده في كمِّ قميصي إلى صدري فإذا أنا معصوب الصدر قال : إن لك عذراً[5]» .

(١،٢) أخرجه مسلم في باب «نهي من أكل ثوماً أو بصلًا أو كراثاً أو نحوها» .

(٣) راجع السنن لأبي داود «باب في أكل الثوم» (٤ ، ٥) المصدر السابق .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ذكر عند رسول الله ﴿ﷺ﴾ الثوم والبصل وقيل يارسول الله ! وأشد ذلك كله الثوم أفتحرمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «كلوه ومن أكله منكم فلا يقرب هذا المسجد حتى يذهب منه ريحه[1]» .

قال العلماء : ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها ، قال القاضي : ويلحق به من أكل فجلًا وكان يتجشأ به ، قال : وقال ابن المرابط : ويلحق به من به بخر في فيه أو به جرح له رائحة ، قال القاضي : وقاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد كمصلى العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات ، ولا يلحق بها الأسواق ونحوها اهـ .

فقد علمنا أن شريعتنا الغراء حثت على التآخي والتعاطف والتآلف ونهت عن كل مايسبب الفرقة ، وحثت على الغسل يوم الجمعة لازالة روائح العرق ، وهكذا نهت عن تناول البصل والثوم وغير ذلك لمن يقصد المسجد خشية من انبعاث بعض الروائح التي تسبب الفرقة وتؤذي المصلين .

فلما نظرنا إلى علة النهي وهو إيذاء الملائكة والمسلمين الحاضرين علمنا بذلك أن النهي ليس منحصراً في أكل الثوم والبصل والكراث بل كل ما كان سبباً لتولّد الرائحة الكريهة كالتدخين بالسيجارة أو الشيشة أو أكل التنباك أو وضعه في الفم كما يفعله بعض الناس فإن في كل ذلك إيذاء الملائكة والمسلمين لذا يجب على الرجل إذا أراد أن يأتي المسجد إزالة الرائحة الكريهة لئلا يتأذى الإنس والجن والملائكة .

وهذا ثابت بالنصوص بأن الملائكة لاتزال تقرب العبد في الصلاة وغيرها

---

(١) راجع السنن لأبي داود باب في أكل الثوم .

وتدعو له وتستغفر قال تعالى : ﴿ الذين يحملون العرشَ ومَن حوله يُسبِّحون بحمد ربِّهم ويؤمنون به ويستغفرون للَّذين آمنوا ربَّنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتَّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنَّات عدن الَّتي وعدتَّهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ﴾ الآية : .

وقال جلَّت عظمته : ﴿ والملائكة يسبِّحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ .

وقال جل جلاله : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ له معقِّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير ٢ /٥٠٤ في تفسير قوله تعالى : ﴿له معقبات﴾ أى للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه ، واحد من وراء ، وآخر من قدامه ، فهو بين أربعة أملاك بالنهار ، وأربعة آخرين بالليل حافظان وكاتبان كما جاء في الصحيح «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين يأتون فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون» وفي الحديث «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع **فاستحيوهم وأكرموهم**»

قال مجاهد : مامن عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال له الملك وراءك إلا شي أذن الله فيه فيصيبه انتهى .

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً تركناها للإختصار .

انظر إلى مكانة الملائكة الصالحين واجتماعهم عند العباد حيث جعلهم الله تعالى حفظة للعباد من كل ضار يصيبهم وهم قائمون بحفظ الإنسان يميناً وشمالًا وخلفاً وأماماً ، ويدعون له ويستغفرون له ، ويعتبر الأمر مستقبحاً لو لم يشعر الإنسان بهذه الخدمة والاحترام له .

فعلينا الاجتناب من أن نقوم بإيذاء الملائكة المقربين وإخواننا المسلمين برائحة كريهة تولدت من شيء من الأشياء لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس .

ومن أكبر القبائح هو تخلفنا وخسراننا وعدم ظفرنا بالثمرات اللّازمة والمترتبة على أداء الصلاة ، وذلك نتيجة لعدم الاهتمام بالخشوع في الصلاة ، فلو وقف بجانبك مصل ولكن النتنة في فمه لا تسمح لك أن تستقر بجانبه فمن أين يبقى الخشوع ؟ ويمكن أن نكون غير خاشعين ولا خاضعين ولكن نضايق جارنا المصلي الذي يناجي ربه بغاية التضرع والخشوع فتقطع عليه الرائحة الكريهة هذه الكيفية الروحية .

كثيرًما ترى الناس في لباس نظيف ولكن تنفر النفس من الوقوف بجانبهم وذلك لتعفن فمهم ، والطبيعة الحاسة لا تستطيع أن تقف معهم في صلاة الجماعة لمدة ما بل ربما يترك الإنسان محله وهو في الصلاة .

وهناك حل لهذه المشكلة وهو إزالة الرائحة الكريهة التي تتأذى منها الملائكة والإنس ، وذلك الذي أرشد إليه نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم فإنه أمرنا بالسواك قبل الصلاة .

فعلينا الاهتـمام بالسـواك لننـال فضـائله وعـدم الإيـذاء بالملائكة والمسلمين.

أهمية السواك وفضائله

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «لولا أن أشُقَّ على أمَّتى – أو لو لا أن أشقَّ على الناس – لأمرتُهم[(١)] بالسواك عند كلِّ صلاة[(٢)]».

وعن أنس قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «أكثرت عليكم فى السواك[(٣)]» .

وعن عائشة رضى الله عنها دخل عبدالرحمن بن أبى بكر ومعه سواك يستنُّ به فنظر إليه رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقلت له أعطنى هذا السواك ياعبدالرحمن فأعطانيه فقصمتُه ثم مضغتُه فأعطيتُه رسولَ الله ﴿ﷺ﴾ فاستَنَّ به وهو مستند إلى صدرى[(٤)] .

وعن حذيفة – رضى الله عنه – قال كان النبى ﴿ﷺ﴾ إذا قام من الليل يشوص[(٥)] فاه .

---

(١) قوله «لأمرتهم» أى أمر إيجاب لكثرة مافيه من الفضيلة ، وفى مسند أحمد «لفرضت عليهم السواك كما فرضت عليهم الوضوء» وفى حجة الله البالغة معناه : لولا خوف الحرج جعلت السواك شرطا للصلاة كالوضوء ، وقد ورد بهذا الأسلوب أحاديث كثيرة جدا وهى دلائل واضحة على أن لاجتهاد النبى ﴿ﷺ﴾ مدخلا فى الحدود الشرعية وأنها منوطة بالمقاصد وأن رفع الحرج من الأصول التى بنى عليه الشرائع انتهى .

(٢) راجع الصحيح للإمام البخارى «باب السواك يوم الجمعة» .

(٣) قوله «أكثرت عليكم في السواك» أى بالغت معكم فى أمر السواك ، وقال ويروى بصيغة المجهول من الماضى أى بولغت من عندالله ، وفى التوضيح معناه : حقيق أن أفعل وحقيق عليكم أن تسمعوا وتطيعوا . كما فى عمدة القارى ، والحديث أخرجه البخارى فى «باب السواك يوم الجمعة» .

(٤) صحيح البخاري «باب من تسوك بسواك غيره» .

(٥) صحيح البخاري «باب السواك يوم الجمعة» .

عن أبي موسى قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وطرف السواك على لسانه[1] .

وعن عائشة أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان لايرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا يتَسوَّك قبل أن يتوضأ[2] .

كتب عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد أن أرفعوا إليَّ كل من حمل القرآن وفيه : واعلموا أن العبد إذا قام من الليل فتسوَّك وتوضأ ثم كبَّر وقرأ وضع الملك فاه على فيه ويقول : أتل أتل فقد طبت وطاب لك ، وإن توضأ ولم يستك حفظ عليه ولم يعدُ ذلك ، ألا وإن قراءة القرآن مع الصلاة كنز مكنون وخير موضوع فاستكثروا منه ما استطعتم ..... الخ[3] .

قالت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﴿ﷺ﴾ : «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب[4]» .

(عليّ) رضي الله عنه رفعه : إن العبد إذا تسوَّك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه

---

(١) أخرجه مسلم فى «باب السواك» .

(٢) راجع السنن لأبى داود «باب السواك لمن قام بالليل» .

(٣) راجع الكنز : ١ / ٢١٧ .

(٤) ذكره البخاري بلا إسناد في كتاب الصوم (باب السواك الرطب واليابس للصائم) ورواه الإمام الشافعي عن عائشة رضي الله عنها كما في ترتيب مسنده لمحمد عابد الأنصاري ١ / ٣٠ وأخرجه الدارمي ١ / ١٤٠ والنسائي «باب الترغيب في السواك» .
قال ابن الملك : ورد الاقتصار على الخصلتين مع أن له فوائد أخر لأنهما أفضلهما أو لكونهما شملتا غيرهما ، فإنها منحصرة في تحصيل الطهارة الظاهرية والباطنية والحسية والمعنوية في الدنيا وفي تكميل رضا الرب الذي هو المقصود الأعلى في العقبى اهـ من المرقاة .

فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار فى جوف الملك فطهّروا أفواهكم للقرآن . للبزار[1] .

(أبو أيوب) رفعه : حبذا المتخللون من أمتى فى الوضوء والطعام . لأحمد والكبير بضعف .

(وله) : قالوا : وما المتخللون يارسول الله ؟ قال : أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع ، وأما تخليل الطعام فمن الطعام أنه ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعام وهو قائم يصلي[2] .

عن عائشة قالت قال النبى «ﷺ» تفضُلُ الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لايستاك لها سبعين ضعفاً[3] .

(وعنها) رضى الله عنها رفعته : فضل الصلاة بسواك على الصلاة بغير سواك سبعون صلاة[4] .

قال ابن دقيق العيد : الحكمة فى استحباب الاستياك عند القيام إلى الصلاة كونها حال تقرب إلى الله تعالى فاقتضى أن تكون حال كمال ونظافة .

وقد ورد من حديث علي رضي الله عنه عند البزار مايدل على أنه لأمر يتعلق بالملك الذي يستمع القرآن من المصلي فلا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه .

وروى أبو نعيم من حديث جابر برواة ثقات : إذا قام أحدكم من الليل يصلي

---

(١) جمع الفوائد باب «التخليل والسواك وغسل اليدين» .

(٢) نفس المرجع . (٣) الحديث أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان كما عزاه إليه صاحب المشكاة في «باب السواك».

(٤) لأحمد والموصلي والبزار كما في جمع الفوائد باب «التخليل والسواك وغسل اليدين».

فليستك فإنه إذا قام يصلى أتاه ملك فيضع فاه على فيه فلا يخرج شى من فيه إلا وقع فى فى الملك .

وروى القشيرى بلا إسناد عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال عليكم بالسواك فإن فى السواك أربعا وعشرين خصلة أفضلها أن يرضى الرحمن وتضاعف صلاته سبعا وسبعين ضعفا ويورث الصحة والغنى ويطيب النكهة ويشيّد اللثة ويسكن الصداع ويذهب وجع الضرس وتصافحه الملائكة لنور وجهه وبرق أسنانه[١].

قد ظهر من الباب أهمية السواك وفضائله وحب الرسول ﴿ﷺ﴾ إياه وأصحابه رضى الله عنهم ، فعلينا استعمال السواك لدفع أذى الملائكة المقربين والمؤمنين ولننال فضائل السواك وأكبرها مرضاة الله تعالى كما ثبت فى الحديث الصحيح ورضوان من الله أكبر .

---

(١) قاله العيني في عمدة القاري ٦ /١٨٢ (باب السواك يوم الجمعة) .

كراهية الصلاة في بيت فيه تماثيل

حدثنا أبو الأحوص عن خصيف عن مقسم قال : قال ابن عباس : لا تصلّ فى بيت فيه تماثيل(١) .

وعن صفية أم منصور قالت : أخبرتنى امرأة من أهل الدار من بنى سليم ، قالت : قلت لعثمان بن طلحة : لِم دعاك رسول الله «ﷺ» حين خرج من البيت ؟ قال قال : «إنى رأيت قرنَىْ الكبش فنسيت أن آمرك أن تُخمِّرها، وإنه لا ينبغي أن يكون فى البيت شيء يشغل المصلى(٣) .

حدثنا أبو معمر عبدالله بن عمرو قال نا عبدالوارث قال نا عبدالعزيز بن صُهيب عن أنس قال : كان قرام لعائشة سترتْ جانب بيتها ، فقال النبى ﷺ : أميطى عنا قِرامكِ هذا فإنه لا تزال تصاويره تَعرِض فى صلاتى(٤) .

---

(١) أخرجه عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان أبى بكر العبسى المعروف بابن أبى شيبة فى مصنفه رقم الحديث : ٤٥٥٢ طبع المدينة المنورة .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى التهذيب أنها عمته ، ومنصور ابن عمته ، لكن الحديث رواه أبو داود عن ابن السرح وسعيد بن منصور ومسدد قالوا : حدثنا سفيان عن منصور وفى حديثهم جميعا أن مسافعا خال منصور . قاله الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى حفظه الله فى تعليقه على المصنف ، طبع المدينة المنورة .

(٣) راجع جمع الفوائد رقم الحديث : ٣٤٥٦ .
والمصنف لأبى بكر بن أبى شيبة رقم الحديث : ٤٥٥٤ .
قلت : راجعت كتاب المناسك من السنن لأبى داود فوجدت هذا الحديث مذكور في «باب الصلاة فى الكعبة» .

(٤) رواه البخارى فى صحيحه فى «باب إن صلى فى ثوب مصلّب أو تصاوير هل تفسد صلاته وما ينهى من ذلك». =

وعطاء الخراسانى قال : لما بُنى المسجد فى عهد عثمان جعلوا فى سقفه أُترجَّةً فكان الداخل إذا دخل المسجد يسمُو بصرُه إليها ، فبلغ ذلك عثمان فأمربها فنُزعت[١] .

حدثنا وكيع عن عيسى بن حميد قال : سأل عقبةُ الحسنَ قال : فى مسجدنا ساحة فيها تصاوير ، فقال : امحوها[٢] .

حدثنا ابن مهدى عن خالد عن أبى عثمان قال : حدثنى لبابة عن أمها – وكانت تخدم عثمان بن عفان – أن عثمان بن عفان كان يصلى إلى تابوت فيه تمثال ، فأمربه فحُكَّ[٣] .

(ابن عباس) أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبىٰ أن يدخل البيت

= قلت : لم يرض النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرض له في صلاته شيء يشغله ولم يكن هذا خاصا بالصلاة بل لم يكن يستأنس بأ شياء تشغله عن ذكر الله وعن نعماء الآخرة وكان لايرضاها خارج الصلاة أيضا كما فى الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان لنا سترٌ فيه تماثيل طير (أى تصاوير طير) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعائشة ! حوِّليه فإنِّى إذا رأيته ذكرتُ الدنيا . كذا فى المشكاة (كتاب الرقاق) .

قوله صلى الله عليه وسلم «فإنى إذا رأيته الخ» لم يعلله صلى الله عليه وسلم ههنا بحرمة التماثيل ومنعها عن دخول الملائكة إما لأنه كان قبل النهى أو لأنها كانت دقيقة فلا تبدو للناظر أو لينبه أهل بيته على ترك الترفُّه والتنعم حتى لا يأخذوا ستراً آخر ولو غير مصور . من اللمعات .

(١) راجع المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة باب «الصلاة فى البيت فيه تماثيل .

(٢) المصدر السابق . (٣) المصدر السابق .

وفيه الآلهة فأمربها فأخرجت فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل وفى أيديهما الأزلام فقال قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط فدخل البيت فكبر فى نواحيه ولم يصل فيه . للبخارى[1] .

وفى رواية : دخل النبى ﴿ﷺ﴾ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال : أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة[2] وهذا إبراهيم مصوَّراً فما باله يستقسم .

وقد مرَّ فى حديث قبله «أبىٰ أن يدخل البيت وفيه الآلهة الخ» وقد بوّب البخارى «باب من لم يدخل الكعبة» وروى عن عبدالله بن أبى أوفى قال : اعتمر رسول الله ﴿ﷺ﴾ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس فقال له رجل : أدَخَل رسول الله ﴿ﷺ﴾ الكعبة؟ قال لا . أى لم يدخل فى هذه العمرة . (من القسطلاني) .

---

(١) انظر جمع الفوائد رقم الحديث : ٣٤٥٠ ، طبع المدينة المنورة .

قلت : راجعت الصحيح للإمام البخارى فوجدت هذا الحديث فى كتاب المناسك «باب من كبَّر فى نواحى الكعبة» .

(٢) قوله ﴿ﷺ﴾ «لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة» أى ملائكة الرحمة لا الحفظة وملائكة الموت ، وفيه إشارة إلى كراهتهم ذلك أيضا لكنهم مأمورون ويفعلون مايؤمرون . (من المرقاة) .

وفى رواية للبخارى ومسلم : «لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير» .

قال النووى : الأظهر أنه عام فى كل كلب وفى كل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لاطلاق الأحاديث وقال العلماء سبب امتناعهم من الدخول في بيت فيه صور كونها معصية فاحشة وفيها المضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة يعبد من دون الله ، ومن الدخول في بيت فيه كلب كونه يأكل النجاسة ولأن بعضه يسمى شيطانا والملائكة ضد الشيطان وهؤلاء الملائكة غير الحفظة لأنهم لايفارقون المكلفين . كذا في الطيبي والمرقاة .

قال النووى رحمه الله : سبب ترك دخوله ماكان فى البيت من الأصنام والصور ولم يكن المشركون يتركونه ليغيرها ، فلما كان الفتح أمر بإزالة الصور ثم دخلها .

وروى أحمد في مسنده عن جابر قال : كان في الكعبة صور فأمر النبي ﴿ﷺ﴾ عمر بن الخطاب أن يمحوها فبلَّ عمر ثوباً فمحاها به فدخلها ﴿ﷺ﴾ وما فيها شيء . انتهى .

وقوله «فبلَّ عمر ثوباً فمحاها به» فيه إشارة إلى أن الصُّور كانت مصوَّرة برسم اليد على الجدران وهي غير صور الأصنام الآلهة المصنوعة من الأحجار ، فثبت أن كليهما معصية مانعة من دخول ملائكة الرحمة حيث كانت من البيوت أو المكاتب .

وقد ثبت أن سيِّد الرسل ﴿ﷺ﴾ لم يدخل[1] ولم يصلّ داخل الكعبة حتى

---

(١) قوله : «لم يدخل» أى لم يدخل فى بيت الله الحرام حتى أزال الصور .

قلت : هكذا لم يدخل رسول الله صلى الله في بيت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كما فى الحديث الآتى الذي رواه الشيخان :

عن عائشة رضى الله عنها أنها اشترت نُمْرقَةً فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت في وجهه الكراهية قالت فقلت : يارسول الله ! أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبتُ ؟ فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : مابال هذه النُّمرقة ؟ قلت : اشتريتُها لك لتقعُد عليها وتوسِّدها ، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : إن أصحاب هذه الصور يُعذَّبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ماخلقتم ، وقال : إن البيت الذى فيه الصورة لاتدخله الملائكة .

قلنا : أين فُقد فى هذا العهد بعل الزوج الذى لا يدخل البيت الذي فيه تصاوير حتى يأمر بإزالتها فيدخل ؟ .

وفي الصحيح للإمام البخاري «باب الصلاة في البِيْعة» وقال عمر رضي الله عنه : إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصُّور ، وكان ابن عباس يصلِّي في البيعة إلا بِيعة فيها تماثيل .

وهذا الأثر وصله عبدالرزاق من طريق أسلم مولى عمر رضي الله عنه قال : لما قدم عمر الشام صنع له رجل من النصارى طعاماً وكان من عظمائهم ، وقال : أحب أن تجيئني وتكرمني ، فقال له عمر : إنا لا ندخل كنائسكم من أجل الصور التي فيها يعني التماثيل اهـ .

فاذكروا قول رب العالمين أيها الناس : ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ و ﴿ماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ =

أزال الصُّور ، فأين نحن من هذا أيها المصلون وبيوتنا مملوءة من التصاوير الحديثة والخبيثة مثل بيوت اليهود والنصارى – إلا من يوفقه الله تعالى لأسوة نبيِّه صلى الله عليه وسلم وهم قليل وقليل جداً – حتَّى نرى في بعض بيوت المسلمين تصاويرَ النساء الخليعة المعلقة على الجدران بمختلف الألوان وهن اللاتى يشتغلن فى الأفلام ويرقصن أمام العوام الذين هم مثلهن في عدم المبالاة بشؤون الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات[1]﴾ – ويبذّر النَّاس فى شراء المجلات الملونة والمزينة بتصاوير بنات المسلمين كاسيات عاريات فى دول المسلمين ، وهذا الوباء والمرض نجده بالخصوص فى شبيبة[2] أوطاننا من البنات والبنين المتعلمين الذين سيكونون قادة أوطاننا في المستقبل – اللهم احفظنا من شرور أنفسنا – وهكذا نرى في بعض بيوت المسلمين التماثيل المصنوعة

= وقد عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القصة فقال إن البيت الذي فيه الصورة والكلب لاتدخله الملائكة ولم يدخل جبريل عليه السلام فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم حسب الوعد كما ثبت فى الحديث الذى رواه مسلم كما فى المشكاة باب التصاوير .

عن ابن عباس عن ميمونة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوما واجما (أى ساكتا حزينا) وقال إن جبريل كان وعدنى أن يلقانى الليلة فلم يلقنى أمَ والله ماأخلفنى ثم وقع فى نفسه جِرْوُ كلبٍ تحت فُسطاطٍ له فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه ، فلما أمسى لقيه جبريل فقال : لقد كنت وعدتنى أن تلقانى البارحة قال : أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فأصبح رسول الله ﷺ يومئذ فأمر بقتل الكلاب حتى انه يأمر بقتل كلب الحائط الصغير ويترك كلب الحائط الكبير .

(١) سورة النور : ٢٦ .

(٢) ياأيُّها الشُّبَّان ! : يوصيكم ونفسه هذا الشاب المؤلف : بأن تُوبوا إلى بارئكم وارجعو إليه جل وعلا في عهد هذا الشباب الفاني لأن التوبة والعبادة في الشباب لها شأن عظيم =

من الأحجار وغير ذلك ونعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

فالناس يزيِّنون بها غرفهم ومحلاتهم ويفتخرون باقتنائها كأنهم لايخافون العذاب في الدنيا والآخرة – نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا – وكأنهم مستغنون عن دخول ملائكة الرحمة إلى بيوتهم ومحلّاتهم ، قال تعالى : ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾ الآية .

ولم يكتف عدونا المبين اليهود والنصارى – ﴿لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا[1] ﴾ الآية – بوضع الصور في البيوت بل جعلوا الصور على كل شيء يستعمل في البيوت مثل الأواني والكراسي والمخدات والستائر والمفروشات الناعمة والسجادات والبطانيات الصغار منها والكبار وغير ذلك من النعال واللباس نزين به أولادنا وأنفسنا فاقتدينا بهم في ذلك كله واستعملنا الأشياء التي فيها مشابهة اليهود والنصارى فأغلقنا أبواب الرحمة بعدم دخول ملائكة الرحمة إلى بيوتنا بهذا السبب الشنيع ، ثم نصلي في هذه الغرف والمحلات فندعوا الرحمن بدعاء عريض فأنّىٰ يستجاب لنا ؟

= ومكانة سَنِيّة وشعار الأنبياء والصالحين ألا ترى كيف أثنى ربُّنا تعالى على هؤلاء الفِتية الذين أووا إلى الكهف فقال : ﴿أم حسبتَ أنَّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . إذا أوَى الفِتية إلى الكهف فقالوا ربَّنا آتنا من لَّدُنك رَحمةً وَّهَيِّىءْ لنا من أمرنا رشداً ..... ﴾ ، وقال تعالى : ﴿نحن نقُصُّ عليك نبأهم بالحق إنهم فِتْيَةٌ آمنوا بربِّهم وَزِدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السموات والأرض لن ندعو من دونه إلٰها لقد قلنا إذا شَطَطاً﴾ الخ .

فأقول إن تنتظروا الشيخوخة التي تعضُّكم بأنيابها ويتقوَّس الظهر من الهرم فتتوبون إلى الله وتعبدونه حق عبادته ؟

ألا فاسمعوني : إنه لا قيمة لهذه العبادة إلا قليل لأن الذئب المفترس متى ماعضته الشيخوخة بأنيابها وذهبت بقواه يصير تقيّاً غير واثب على مايهواه ، فلا كمال في هذا التقوى وترك ماتهوى النفس لأن الآن لا طاقة له بأن يرتكب المعصية فلا يقال براً وتقياً . (١) سورة المائدة : ٨٢ .

فكيف لايكون خراب العمران ودمار العالم الإسلامي مادمنا اقتدينا باليهود والنصارى وتركنا ماقاله إله الأرض والسموات الذي أمر بالإقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ الانعام : ٩٠ .

هيهات هيهات لما فات ! ﴿ ولقد أضلَّ[1] منكم جِبِلًا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾ . سورة يس : ٦٢ .

فنسينا ماذُكِّرنا وتركنا ماأمرنا به المصطفى ﴿ﷺ﴾ أن نتمسك به ونعضَّ عليه بالنَّواجذ وفقدنا ماحصلناه من ميراث آباءنا وتفرقنا بعد أن اعتصمنا بحبل الله المتين ونقضنا ماعاهدنا عليه في الأيام السالفة وضيَّعنا فضلنا وكياننا الذي قد شهدت به أعداؤنا من قبل .

فياليت لنا مثل هذه الأيام الماضية فتكون لنا عيشة راضية والبعد من الأم الهاوية ، آمين يارب العالمين .

ويالله ؟ نعوذ بك من هؤلاء اليهود والنصارى المغضوب عليهم والضالين ، واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . آمين .

---

(١) قوله ﴿ولقد أضلَّ منكم جبلا كثيراً﴾ الآية : أي أضل الشيطان منكم خلقا كثيراً . قلت أما ترى أن الشيطان للإنسان عدو مبين كما قال تعالى : ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ ويأمر الإنسان بالفحشاء والمنكر وترك عبادة الخالق الرازق الضار النافع إلى عبادة من لا يضر ولا ينفع وترك اتباع النبي – الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم – الناصح المؤيد بالمعجزات إلى اتباع هوى النفس الذي يجلب الذل والهوان في الدنيا والآخرة ، فلماذا لا يعقل الإنسان عداوته مع وضوحها ؟! فأعدوا له ما استطعتم أيُّها المسلمون فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً .

وأخيرا أوصيكم ونفسي كما أوصانا ربُّنا تعالى :

﴿ يأيها الذين آمَنوا آمِنُوا[1] باللّه ورسوله والكتاب الَّذي نَزَّل على رسوله ﴾ سورة النساء : ١٣٦ .

وقال جلت عظمته : ﴿ ياأيُّها الَّذين آمنوا ادخلوا فى السِّلم كافّة ﴾ الآية سورة البقرة : ٢٠٨ .

---

(١) قوله : «ياأيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله» الآية

قال ابن كثير ١ /٥٦٧ : يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول فى جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه كما يقول المؤمن فى كل صلاة : ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ أى بصرنا فيه وزودنا هدى وثبتا عليه فأمرهم بالإيمان به وبرسوله . انتهى .

وقال صاحب التفسير المظهرى ٢ /٢٦٠ فى قوله تعالى المذكور : أى آمِنوا حقيقة الإيمان وكمال الإيمان ... قال بعد قليل فى نفس الصفحة : فلا يبقى لقلبه علاقة علمى ولا حبى إلا به تعالى ويكون نفسه بعلاقة الحب به تعالى مجبُولا على إتيان مأمره الله وانتهاء مانهى الله عنه حتى يكره صدور المعصية منه أشدّ مما يكره أن يقع في النار .

قال البغوي قال أبو العالية وجماعة : هذا خطاب للمؤمنين فقال : ﴿ياأيُّها الَّذين آمنوا آمِنوا﴾ أى أقيموا واثبتوا على الإيمان . ومرجع هذا التفسير إلى ماقلتُ إن شاء الله تعالى . انتهى .

قال الراقم : لايبلغ العبد حقية الإيمان والتقوى والثبات عليه حتى يكون الله ورسوله احبَّ إليه مما سواهما كما فى صحيح البخارى «باب حب الرسول من الإيمان» :

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكونَ أحب إليه من والده وولده .

وفى رواية بعده : عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين .

والمراد ههنا من قوله ﷺ : «لايؤمن أحدكم» أى إيمانا كاملا .

. . . .

= وعلامة هذا الإيمان الكامل والأكمل هو حلاوته أى الاستلذاذ بالطاعات ولا يصيب أحد هذه الحلاوة إلا بثلاث بيَّنه صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى «باب حلاوة الإيمان» عن أنس عن النبى ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله وأن يكرَه أن يعود فى الكفر كما يَكرَه أن يُقذَف فى النار .

فهلمُّوا أبناء الإسلام

إلى هذه الحلاوة الإيمانية في هذه الحياة الفانية وذوقوا حلاوة الإيمان حسيا كما ذاقها سيدنا بلال وغيره من الصحابة رضى الله عنهم حينما آذاه المشركون ماآذوه ، فمازال يقول فى جواب شدائدهم ومطالبتهم : أحد أحَد أحَد أى هو الله أحد لا إله غيره ولا رب سواه .

أو كما قال صاحب يٓس حبيب النجار : ﴿ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ءأتخِذ من دونه ءالهةً إن يُرِدْنِى الرحمنُ بضرٍّ لَّا تُغنِ عنِّى شفاعتُهم شيئاً ولا يُنقِذُون إنِّى إذا لَّفى ضلالٍ مُّبين إنِّى آمنتُ بربِّكُم فاسمعون﴾ فقال تعالى : ﴿ادخل الجَنَّة﴾ فقال حبيب النجار : ﴿ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربِّى وجعلنى من المكرَمين﴾ .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنهم – أى أهل القرية – وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره .

ونعم ماقال قائل :

خذ من الألف واحداً

واطرح الكل من بعده

اللهم ارزقنا حلاوة الإيمان في السراء والضراء آمين يارب العالمين .

كراهية تشبيك الأصابع[1] في الصلاة وغيرها

أخرج أبوداود عن أبي ثمامة الحنّاط أن كعب بن عجرة أدركه وهو يريد المسجدَ أدرك أحدهما صاحبه قال : فوجدني وأنا مشبِّك[2] بيديّ فنهاني عن ذلك وقال : إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : إذا توضأ أحدكم فأحسن[3] وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبِّكن يديه فإنه في صلاة[4] .

---

(١) قوله «تشبيك الأصابع» قال الخطابى تشبيك اليد إدخال الأصابع بعضها فى بعض ويفعل تارة عبثا وتارة ليفرقع أصابعه عندما يجد من التمدد فيها وتارة يريد به الاستراحة عند الاحتباء وربما جلب النوم فيكون ذلك سببا لانتقاض طُهره فقيل لمن تطهر وخرج متوجها إلى الصلاة لاتشبك بين أصابعك لأن جميع هذه الوجوه لايلائم شيء منها الصلاة ولا يشاكل حال المصلى . قال النووى رحمه الله فى شرحه بعد أن حكاه : ولا يخالف هذا ماثبت فى صحيح البخارى وغيره أن رسول الله ﷺ شبَّك بين أصابعه فى المسجد بعد ماسلم من الصلاة من ركعتين فى قصة ذى اليدين وشبك فى غيره لأن النهى والكراهة إنما هى فى حق المصلى وقاصد الصلاة ، وتشبيك النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة ذى اليدين كان بعد سلامه وقيامه إلى ناحية المسجد وهو يعتقد أنه ليس فى صلاة انتهى .

(٢) قوله «وأنا مشبّك» قال السندى : التشبيك والنهى عنه لمن كان فى الصلاة انتهى ، وقال استاذ الاساتذة العلامة محمد إسحاق الدهلوى : التشبيك فى العرب علامة الخصومة فحالة الخصومة مناف لحالة الصلاة فنهى عنه .

(٣) قوله «فأحسن وضوءه» أي بمراعاة السنن وحضور القلب وتصحيح النية .
وقوله «عامداً إلى المسجد» إى قاصدا إلى نفسه لايكون له قصد فاسد في ما أتاه .

(٤) أخرجه أبوداود في «باب ماجاء في الهدوء في المشي إلى الصلاة» وأيضا أخرجه الترمذي عن كعب بن عجرة رفعه : إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن يديه في صلاة . من جمع الفوائد باب المساجد .

وعن مولى لأبي سعيد الخدري أنه كان مع أبي سعيد الخدري وهو مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ جالس ، قال : فدخل النبي ﴿ﷺ﴾ المسجد فرأى رجلاً جالساً وسط المسجد مشبِّكاً أصابعه يحدث نفسه ، قال : فأومأ إليه النبيُّ فلم يفطن ، فالتفت إلى أبي سعيد الخدري فقال : إذا صلى أحدكم فلا يشبِّكن بين أصابعه ، فإن التشبيك من الشيطان ، فإن أحدكم لايزال في الصلاة مادام في المسجد حتى يخرج منه[1] .

وعن أبي ثمامة القماح قال : لقيت كعباً وأنا بالبلاط قد أدخلت بعض أصابعي في بعض ، فضرب يدي ضرباً شديداً ، وقال : نُهينا أن نشبِّك بين أصابعنا في الصلاة ، قال : قلت : يرحمك الله تراني في الصلاة !؟ فقال : من توضأ فعمد إلى المسجد فهو في صلاة[2] .

وعن النعمان بن أبي عياش قال : كانوا ينهون عن تشبيك الأصابع ، يعنى في الصلاة[3] .

---

(١) راجع المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة باب «من كره أن يشبك الأُصابع في الصلاة في المسجد» .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

كراهية التثاؤب في الصلاة

ونسبته إلى الشيطان الرجيم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إذا تثاؤب[1] أحدكم في الصلاة فليكظم ماستطاع ، فإن الشيطان يدخل[2]».

وفي رواية البخاري عن أبي هريرة قال : إذا تثاؤب أحدكم في الصلاة فليكظم ماستطاع ولا يقل هاء ، فإنما ذلكم من الشيطان يضحك منه[3] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إن الله يحب العطاس ويَكره التثاؤب فإذا عطس فحمدالله فحقٌ على كل مسلم سمعه أن يشمِّته ،

---

(١) قوله «التثاؤب» هى تفاعل من الثوباء وهى فترة مِن ثقل النعاس يفتح لها فاه ، والتثاؤب ينشأ من امتلاء وثقل وكدورة الحواس وهو يورث الغفلة والكسالة وسوء الفهم ويمنع من النشاط فى الطاعة فيرضى به الشيطان ومن هذا نسبه إلى الشيطان . وورد ماتثاؤب النبى ﷺ قط نقله في شرح المشارق . كذا قال في اللمعات .

قال الراقم : التثاؤب فعل مكروه ، وفيه فرحة للشيطان عدو الإنسان ، وأمرنا بكظم الفم عند التثاؤب حسب الاستطاعة فى الصلاة وغيرها ، وطريقة تكظيم التثاؤب وضع اليد على الفم ، وطريقة سمعناها من بعض الاساتذة هو أن يتفكر الإنسان حينما يحس بوقوعه بأن الأنبياء عليهم السلام لايتثاؤبون فهذا التصور يمنع التثاؤب إن شاء الله ، جربناه مراراً . انتهى .

ثم رأيته فى حاشية ابن عابدين الشامى على الدر المختار فقال : (فائدة) رأيت فى شرح تحفة الملوك المسمى بهدية الصعلوك مانصه قال الزاهدى : الطريق فى دفع التثاؤب أن يخطر بباله أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ماتثاءبوا قط ، قال القدورى : جربناه مراراً فوجدناه كذلك اهـ قلت : وقد جربته أيضا فوجدته كذلك انتهى . راجع رد المحتار على الدر المختار ص ٣٢٢ طبع بيروت . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخاري كذا في المشكاة باب «مالايجوز من العمل في الصلاة ومايباح منه» .

وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليردّه ماا ستطاع ، فإذا قال هاء[1] ضحك منه الشيطان[2] .

وعن أبي هريرة عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال : إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاؤب أحدكم فليردّه ماا ستطاع فإن أحدكم إذا تثاؤب ضحك منه الشيطان[3] .

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : التثاؤب فى الصلاة من الشيطان فإذا تثاؤب أحدكم فليكظم ماا ستطاع[4] .

وفي رواية لمسلم : إن أحدكم إذا قال : هاء ضحك الشطان منه .

---

(١) قوله «إذا قال ها» وهو حكاية صوت المتثائب يعنى إذا بالغ فى الثوباء ضحك الشيطان منه فرحا بذلك فإن قلت الضحك ههنا حقيقة أو مجاز عن الرضاء به ؟ قال العلماء : الأصل الحقيقة ولا ضرورة تدعوا إلى العدول عنها والله أعلم .

قلت : وقد بوّب أبوبكر بن أبي شيبة فى مصنّفه «من قال ها فى الصلاة» وأورد الآثار منها : حدثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن الشعبى فى رجل قال هاه فى الصلاة قال يعيده .

أبو خالد الأحمر عن ابن سالم عن الشعبى أنه كره الوفدَ فى الصلاة قال : يشبه بالكلام . قوله الوفد فى نسخة الزفر وفى أخرى الرفد ولعل الصواب (الزفر) وهو إخراج نفسه بعد مدّه إياه . قاله الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى فى تعليقه على المصنف طبع المدينة المنورة .

(٢) رواه البخارى فى باب «مايُستحَبُّ من العطاس ومايُكره من التثاؤب» .

(٣) راجع البخارى «باب إذا تثاوَبَ فليضع يده في فيه» .

(٤) رواه الترمذى وفى أخرى له ولابن ماجه «فليضع يده على فيه» كما فى المشكاة باب «مالايجوز من العمل في الصلاة وما يباح منه» .

وأخرج الترمذي عن عدي بن أبي ثابت عن أبيه عن جده رفعه : العطاس[١] والنعاس والتثاؤب في الصلاة والحيض والقيء والرعاف من الشيطان.

فقد بوَّب أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف «في التثاؤب في الصلاة» وأورد الأحاديث والآثار منها :

عن ابن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ إذا تثاءب أحدكم فى الصلاة فليكظم ماستطاع فإن الشيطان يدخل .

وعن يزيد بن الأصم قال : ماتثاوب رسول الله ﷺ فى صلاة قط .

وعن ابن عباس قال : إذا تثاءب أحدكم فى الصلاة فليضع يده على فيه .

وعن علي قال : التثاؤب فى الصلاة من الشيطان وشدة العطاس والنعاس عند الموعظة .

وعن مغيرة عن إبراهيم قال : إنى لأدفع التثاؤب فى الصلاة بالتنحنح .

و عن إبراهيم قال : إذا تثاءب فى الصلاة ضمّ شفتيه ومسح أنفه .

وعن عبدالرحمن بن يزيد قال : نُبِّئتُ أن للشيطان قارورة يشمها القوم في الصلاة كى يتثاؤبوا .

عن أبي معشر عن إبراهيم قال : يردّ[٢] الرجل التثاؤب في الصلاة ماستطاع فإن غُلب عليه وضع يده على فيه .

---

(١) قوله : «العطاس» إن قال قائل : إن هذا اللفظ خلاف لما رواه البخاري في صحيحه كما مر قبل قليل بـ«أن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب» ؟

قلنا : المراد بالعطاس ههنا شدته أى شدة العطاس في الصلاة من الشيطان . والله أعلم .

(٢) قوله «يرد الرجل التثاؤب في الصلاة ماستطاع» قلت : هذا لايمكن إلا بإقبال كلي وتوجه تام في الصلاة بأن يعلم حركاته وسكناته وأن يصلي مودّعا لصلاته فيسهل عليه حينئذ الانتباه على الأمور التي تخل بالخشوع في الصلاة إن شاء الله .

تشميت[1] العاطس في الصلوة

عن معاوية بن حكم السُلمى[2] قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطس رجل من القوم فقلت[3] يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثُكْلَ[4] أمِّياه ماشأنكم تنظرون إليَّ ؟ قال : فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فعرفت أنهم يصمِّتوني لكني سكتُّ ، قال : فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي ماضربني ولا كهرني ولا سبني ، ثم قال :

---

(١) قوله «تشميت» أى أن يقال : «يرحمك الله» يقال : شمته ، وسمته ، قال ابن الأنبارى : والشين أفصح والتشميت الدعاء ، فمعنى شمته أى دعا له .
قال الباجى : وقال المجد فى القاموس : التسميت : ذكر الله تعالى على شيء والدعاء للعاطس ، وقال فى الشمت : التشميت والتسميت ، وفى المجمع هو بشين وسين : الدعاء بالخير والبركة انتهى .

(٢) قوله «معاوية بن الحكم السُلمى» أى من بنى سليم ، كان يسكن فيهم ، ونزل المدينة وعداده فى أهل الحجاز ، ذكره الطيبى فى المفاتيح ، قيل لايروي غير هذا الحديث .

(٣) قوله : «فقلت يرحمك الله» أى وأنا فى الصلاة ، ظاهره أنه فى جواب قوله «الحمد لله» .
قال النووى : إذا قال : «يرحمك الله» بطلت صلاته ، لأنه خاطبه ، ولو قال : «يرحمه الله» فلا .
وقال ابن الهمام : لو قال لنفسه : «يرحمك الله» ، فلا تفسد ، كقوله «يرحمنى الله» .
وعن أبى يوسف لاتفسد فى قوله لغيره ذلك لأنه دعاء بالمغفرة والرحمة ، ولهما هذا الحديث اهـ .
راجع التعليق المحمود على سنن أبى داود

(٤) قوله «واثكل أمّياه» في القاموس الثكل بالضم الموت والهلاك وفقدان الحبيب والولد .

«إن هذه الصلاة لا يحلّ[1] فيها شيء من كلام الناس ، هذا إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، قلت : يارسول الله ! إنَّا قومٌ حديث عهدٍ بجاهلية ، وقد جاءنا الله بالاسلام ، ومنَّا رجال يأتون الكهان[2] قال : فلا تأتهم[3] ، قال : وقلت : منَّا رجال يتطيَّرون[4] ، قال : ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم ، قال : قلت : ومنا رجال يخُطون،

---

(١) قوله «لايحلّ فيها شيء من كلام الناس» قال القاضي : أضاف الكلام إلى الناس ليخرج منه الدعاء والتسبيح والذكر ، فإنه لا يراد بها خطاب الناس وإفهامهم ، وقال النووي رحمه الله : وفيه أن من حلف أن لا يتكلم فسبَّح أو كبَّر أو قرأ القرآن لا يحنث ، وفي شرح السنة : لايجوز تشميت العاطس في الصلاة فمن فعل بطلت صلاته انتهى .

(٢) قوله «يأتون الكهان» : جمع كاهن وهو من يتعاطى الخبر عن كون مايستقبل ويدعى معرفة الأسرار ، ومن الكهنة من يزعم أن له تابعا من الجن يلقى عليه الأخبار ، ومنهم من يدعى معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فِعله أو حاله ، وهذا القسم يسمّى عرافا كمن يدعى معرفة المسروق ومكان السرقة والضالة ونحوها ، وحديث «من أتى كاهنا» – سنذكره بكامله فى الهامش الآتى إن شاء الله – . يشمل الكاهن والعراف والمنجم وإتيانهم حرام بإجماع المسلمين . لمعات .

(٣) قوله «فلا تأتهم اهـ» قال ﴿ﷺ﴾ : «من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» رواه الإمام أحمد بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه كما فى الجامع الصغير للسيوطى اهـ راجع التعليق المحمود على سنن أبى داود .

(٤) قوله «منا رجال يتطيّرون» قال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام : الفرق بين التطير والطيرة أن التطير هو الظن السيّ الذي يقع فى النفس ، والطيرة هى الفعل المرتب على الظن السئ ، قال : وإنما حرم التطير والطيرة لأنهما من باب سوء الظن بالله وحسن الفأل لأنه من باب حسن الظن بالله ، وقال قال تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء ، وفى رواية : فليظن بى خيرا ، قال وسأل رجل بعض العلماء فقال إنى إن ظننت الخير وقع بى وإن ظننت الشر حل بى ، هل يشهد لذلك شىء من الشريعة قال نعم ، قوله ﷺ حكاية عن الله عزوجل «أنا عند ظن عبدى بى» اهـ نفس المرجع المذكور .

قال كان نبيّ من الأنبياء يخط[1] فمن وافق خطّه فذاك[2] ، قال قلت : إن جارية لى كانت ترعىٰ غُنيمات قِبَلِ أُحدٍ[3] والجوانية – اسم موضع – إذ

---

(١) إشارة إلى علم الرمل كما فى التعليق المحمود .

(٢) قوله «فذاك» أى فذاك مصيب أو يصيب أو يعرف الحال بالفراسة كذاك النبى وهو كالتعليق بالمحال ، قال الخطابى : إنما قال عليه الصلاة والسلام : من وافق خطّه ، فذاك على سبيل الزجر ، ومعناه : لايوافق أحد خطه ذلك النبى حتى يعرف الموافقة من المخالفة ، لأن خطه كان علما لنبوته وقد انقضت ، والشيء إذا علق بأمر ممتنع فهو ممتنع ، قال ابن حجر : ولم يصرح بالنهى عن الاشتغال بالخط لنسبته لبعض الأنبياء لئلا يتطرق الوهم إلى ما لايليق بكمالهم وإن كانت فروع الأحكام مختلفة باختلاف الشرائع ، ومن ثم قال المحرمون لعلم الرمل وهم أكثر العلماء: لايستدل بهذا الحديث على الاباحة لتعليق الإذن فيه بالممتنع .
راجع التعليق المحمود على سنن أبى داود

(٣) قوله «أُحـد» قلت : هو أعظم الجبال فى المدينة وله شأن عظيم أخبرنا به المعصوم الذى لاينطق عن الهوى ﴿إن هو إلا وحى يوحى﴾ ﷺ كما فى صحيح البخارى فى «باب أُحد يحبّنا» عن قتادة قال : سمعت أنسا أن النبى ﷺ قال : هذا جبل يحبنا ونحبه .
وعن أنس بن مالك أن النبى ﷺ طلع له أحد فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه اللهم إن إبراهيم حرّم مكة وإنى حرّمت مابين لابتيها .
وقال السهيلي سمى به لتوحده وانقطاعه من جبل أخرى هنا ، وقال أيضا هو مشتق من الأحدية.
وقوله «يحبنا» أي يحبنا أهلُه ، وهم أهل المدينة ، ويحتمل أن يسند المحبة إليه حقيقة بأن يخلقها الله فيه والله على كل شيء قدير ، قال الكرماني : قال السيوطي في التوشيح : لامانع من حمله علىٰ الحقيقة وإمكان المحبة من الجبل كإمكان التسبيح .
وقال في اللمعات : «هذا جبل يحبنا ونحبه» قيل : هذا باعتبار محبته أهلها وهم المؤمنون وأهل التوحيد من الأنصار ، ولذا قال في مقابله : «وعير جبل يبغضنا ونبغضه» لكون ساكنيه المنافقون .
والحق أنه محمول على ظاهر لايداع العلم والفهم ولوازمها من المحبة والعداوة في الجمادات =

طلعتُ عليها إطلاعة ، فإذا الذئب قد ذهب بشاة منها ، وأنا من بني آدم آسفُ كما يأسفون لكني صككتها صكة فعظم ذلك على رسول اللـه «ﷺ» ، فقلت : أفلا أعتقُها ؟ قال : ائتني بها ، فجئت بها فقـال : أيـن اللـه ؟ قالت : في السماء ، قال : مَن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتِقْهَا فإنَّها مؤمنة»[1] .

عن معاوية بن الحكم السُلمي أيضاً قال : لما قدمت على رسول الله «ﷺ» علمت أموراً من أمور الإسلام ، فكان فيما علمت أن قيل لي : إذا عطست فاحمد الله ، وإذا عطس العاطس فحَمِدالله فقل : يرحمك الله ، قال : فبينا أنا قائم مع رسول الله «ﷺ» في الصلاة ، إذ عطس رجل فحمدالله فقلت : يرحمك الله رافعا بها صوتي ، فرماني القوم بأبصارهم

= مما لايليق بشأنها خصوصا مع الأنبياء والأولياء خصوصا سيد الأنبياء كان محبوب العالمين لكونه محبوب رب العالمين ، ومن أحبه الله أحبه كل شيء إذ كل شيء خلقه ومحكومه ، وحنين الجذع لمفارقته (ﷺ) أدل دليل على ذلك وهو حديث مشهور بلغ حد التواتر اهـ .

وقال في مرقاة المفاتيح : لعل وجه تخصيصه بالذكر لتحركه به سروراً لما أتى عليه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الثلاثة فقال له : أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان اهـ.

قلت : وتصديق ذلك في الحديث الذي رواه البخاري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أُحُداً وأبوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله فقال : أثبت أُحُد فإنما عليك نبي وشهيدان . من مشكاة المصابيح «باب مناقب هؤلاء الثلاثة» .

ومن المعلوم أن من يحبه الإنسان يكرر ذكره ويكثر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ذكر هذا الجبل .

(١) الحديث رواه أبو داود في «باب تشميت العاطس في الصلاة ، وأيضا رواه مسلم كما في المشكاة في «باب مالايجوز من العمل في الصلاة ومايباح منه» وليست فيه قصة جارية .

حتى احتملني ذلك فقلت : مالكم تنظرون إليَّ بأعيُن شزر ؟ قال : فسبَّحوا ، فلما قضى النبي ﴿ﷺ﴾ الصلاة ، قال من المتكلم ؟ قيل : هذا الأعرابي ، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما الصلاة لقراءة القرآن وذكر الله ، فإذا كنت فيها فليكن ذلك شأنك ، فما رأيت معلماً قط أرفق من رسول الله صلى الله عليه وسلم[(١)] .

هذا ماقيل فى تشميت العاطس فى الصلاة ، وأريد أن أبيّن حكم الكلام وتشميت العاطس والإمام يخطب يوم الجمعة ، لأن كثيراً من الناس غافلون عن هذا الحكم وهم مشغولون فى أمور شتى والإمام يخطب . وهذا ماينبغى لهم .

قال الإمام مالك رحمه الله فى الموطأ فى باب «ماجاء فى الإنصات والإمام يخطب» .

مالك أنه بلغه أن رجلا عطس يوم الجمعة والإمام يخطب فشمته إنسان إلى جنبه – وفى نسخة عن جنبه – فسأل عن ذلك سعيد بن المسيّب فنهاه عن ذلك وقال : لا تعد .

قال صاحب أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك شارحا لهذا الأثر : قوله (فسأل) أى ذاك المشمت أو رجل آخر (عن ذلك) الفعل (سعيدَ المسيب) مفعول لسأل (فنهاه) سعيدٌ (عن ذلك وقال : لاتعد) نهى من العود يعنى لاتفعل مرة أخرى ويحتمل أن يكون النهى عن إعادة الصلاة ، والمعنى أن صلاته تامة بخلاف مايتوهم بظاهر النصوص أن من لغا فلا جمعة له ،

---

(١) رواه أبو داود في باب «تشميت العاطس في الصلاة» .

ويؤيد ظاهر لفظ ابن أبى شيبة هذا المعنى الثانى ، والظاهر أنه سأل بعد الفراغ عن الصلاة . وقال بعد قليل :

وفى المدوّنة قال الإمام مالك فيمن عطس والإمام يخطب ، فقال يحمد الله فى نفسه سراً ، ولا يشمت أحد العاطس ، وفى الدر المختار : وكل ماحرم فى الصلاة حرم فى الخطبة ، فيحرم أكل وشرب ، وكلام ولو تسبيحاً ، أو ردّ سلام أو أمرٌ بمعروف ، والأصح أنه لابأس بأن يشير برأسه أو يده عند رؤية منكر ، ولا يجب تشميت ولا ردّ سلام ، به يفتى . انتهى ماقاله في الأوجز(١).

وقد بوَّب الإمام أبوبكر بن أبى شيبة في مصنَّفه «في الكلام إذا صعد الإمام المنبر وخطب» وأورد في ذلك الأحاديث والآثار منها :

حدثنا جرير بن عبدالحميد عن الركين عن أبيه عن عبدالله قال : كفىٰ لـغوا إذا صعد الإمام المنبر أن تقول لصاحبك : انصت .

عن عبيدالله بن عبدالله أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : من قال لصاحبه يوم الجمعة انصت والإمام يخطب فقد لغا(٢) .

وعن علقمة بن عبدالله قال : قدمنا المدينة يوم الجمعة ، فأمرت أصحابي أن يرتحلوا ، ثم أتيت المسجد فجلست قريباً من ابن عمر ، فجاء رجل من أصحابي فجعل يحدثني والإمام يخطب ، فقلنا : كذا وكذا ، فلما أكثر قلت له : اسكت ، فلما قضينا الصلاة ذكرت ذلك لابن عمر ، فقال : أما أنت فلا جمعة لك ، وأما صاحبك فحمار .

عن منصور عن إبراهيم قال : قلت لعلقمة : متى يكره الكلام يوم الجمعة ؟ قال : إذا صعد الإمام المنبر ، وإذا خطب الإمام ، وإذا تكلم الإمام(٣) .

---

(١) راجع أوجز المسالك ٢ / ٢٣٢ . (٢) أخرجه عبدالرزاق عن معمر ٣ /٢٢٣ كما في حاشية المصنف لأبي بكر ابن أبي شيبة طبع المدينة المنورة . (٣) أخرجه عبدالرزاق ٣ /٤٠٨ .

وعن أبي هريرة قال : إذا قلت لصاحبك : انصت ، فقد لغوت[1] .

وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال : أدركت عمر وعثمان فكان الإمام إذا خرج يوم الجمعة تركنا الصلاة ، فإذا تكلم تركنا الكلام .

وعن ابن عباس وابن عمر أنهما كانا يكرهان الصلاة والكلام يوم الجمعة بعد خروج الإمام .

وعن سعيد بن المسيب قال : خروج الإمام يقطع الصلاة ، وكلامه يقطع الكلام .

وعن الزهري قال : خروج الإمام يقطع الصلاة ، وكلامه يقطع الكلام .

وعن حميد بن عبدالرحمن قال : إذا قال الرجل يوم الجمعة والإمام يخطب : انصت ، فقد لغا .

عن الشعبي أن أباذر أو الزبير بن العوام سمع أحدهما من النبي ﴿ﷺ﴾ آية يقرأها وهو على المنبر يوم الجمعة ، قال : فقال لصاحبه : متى أنزلت هذه الآية ؟ قال : فلما قضى صلاته قال له عمر بن الخطاب : لا جمعة لك ، فأتى النبي ﴿ﷺ﴾ فذكر ذلك له ، قال فقال : صدق عمر .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً ، والذي يقول له : انصت ، ليست له جمعة .

وعن جابر قال : قال سعد لرجل يوم الجمعة : لا صلاة لك ، قال : فذكر ذلك الرجل للنبيِّ ﴿ﷺ﴾ فقال : يارسول الله إن سعدا قال : لاصلاة لك ، فقال النبيُّ ﴿ﷺ﴾ : لمَ ياسعد ؟! قال : إنه تكلم وأنت تخطب ، فقال : صدق سعد .

وعن أبي هريرة قال : إذا قال يوم الجمعة والإمام يخطب : صه ، فقد لغا.

انتهى ماذكره ابن أبي شيبة في المصنف .

---

(١) أخرجه الشيخان من حديث ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً ، وأخرجه عبدالرزاق من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعا ٣ /٢٢٣ كما في حاشية المصنف طبع المدينة.

كراهية العبث في الصلاة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أُمر النبيُّ أن يسجد على سبعة أعظم ولا يكفَّ شعره ولا ثوبه[1].

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : أمرتُ[2] أن أسجد على سبعة أعظم لا أكُفَّ شعرا ولا ثوبا[3].

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : أمرتُ أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين

---

(١) راجع الصحيح للإمام البخارى «باب لا يكفُّ شعرا» .

(٢) قوله «أمرتُ أن أسجد على سبعة أعظم» جمع عظم ، أى أمرتُ أن أضع هذه الأعضاء السبعة على الأرض إذا سجدت .

قال القاضى : قوله أمرت : يدل عرفا على أن الآمر هو الله تعالى ، وذلك يقتضى وجوب وضع هذه الأعضاء فى السجود على الأرض ، وللعلماء فيه أقوال: فأحد قولى الشافعى وأحمد رحمهما الله أن الواجب وضع جميعها ، أخذا بظاهر الحديث ، والقول الآخر : أن الواجب وضع الجبهة وحده ، لأنه عليه السلام اقتصر عليه فى قصة رفاعة قال فليمكّن جبهته من الأرض ووضع الأعظم الستة الباقية سنة ، والأمر محمول على الأمر المشترك بين الواجب والندب ، توفيقا بينهما ، ولأن المعطوف على أسجد وهو قوله : ولا نكفت ، ليس بواجب وفاقا ومعناه : أن يرسل الشعر والثوب ولا يضمّهما إلى نفسه وقاية لهما من التراب قلت : والأظهر أن يكون الأمر للاستحباب ، ووجوب مايجب علم من دليل آخر ، ثم قال : وعند أبى حنيفة يجب وضع أحد العضوين من الجبهة والأنف ، لوقع اسم السجود عليه، ولأن عظم الأنف متصل بعظم الجبهة متحد به ، فوضعه كوضع جزء من الجبهة ، وعند مالك والأوزاعى والثورى رحمهم الله وجوب وضعهما معا لما روى أن النبى ﷺ رأى رجلا مايصيب أنفه بشىء من الأرض فقال : «لاصلاة لمن لايصيب أنفه من الأرض مايصيب الجبين» انتهى ماقال في المرقاة .

ولا نَكفت الثياب والشعر[1] .

وبوب أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه باب «الرجل يصلى وهو شعره معقوص» وأورد في ذلك الأحاديث والآثار منها :

عن أبي رافع قال : مرَّ بي النبي ﴿ﷺ﴾ وأنا ساجد قد عقصت شعري فحلَّه أو قال : فنهاني عنه .

عن زيد بن وهب عن عبدالله أنه دخل المسجد فإذا فيه رجل يصلى عاقصا شعره ، فلما انصرف قال عبدالله : إذا صليت فلا تعقص شعرك فإن شعرك يسجد معك ولك بكل شعرة أجر ، فقال الرجل : إني أخاف أن يتترَّب [فقال تترِّبه] خير لك .

عن أبان بن عثمان قال : رأى عثمان رجلا يصلى وقد عقد شعره ، فقال : ياابن أخى ! مثل الذى يصلى وقد عقص شعره مثل الذى يصلى وهو مكتوف .

كان ابن عباس إذا صلى وقع شعره الأرض – وفى نسخة – على الأرض .

عن أبى فروة قال : كان عبدالرحمن بن أبى ليلى يضفر شعره فإذا صلى نشره .

عن الحارث عن علي قال : لايصلى الرجل وهو عاقص شعره .

عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ولا أكف شعرا ولا ثوبا .

عن ابن عباس قال : أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يسجد على سبعة وأمر أن لا يكف شعرا ولا ثوبا[2] .

وعن أبي وائل عن عبدالله قال : كنا لا نتوضأ من موطئ ولا نكف شعراً ولا ثوبا في الصلاة . انتهى ماذكره في المصنف .

---

(١) رواه الشيخان كما في المشكاة «باب السجود وفضلها» .

(٢) حديث عمرو عن طاؤس أخرجه الترمذى (١ /٢٣٢) . كما في حاشية المصنف طبع المدينة المنورة .

عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى يحدث عن أبيه أنه رأى أبا رافع مولى النبى ﴿ﷺ﴾ مرّ بحسن بن عليّ رضى الله عنهما وهو يصلى قائما وقد غَرَضَ[1] ضفره فى قفاه فحلها أبو رافع ، فالتفت الحسن إليه مُغضِباً ، فقال أبو رافع أقبل على صلاتك ولا تغضب ، فإنى سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : ذلك كِفل الشيطان[2] يعنى مقعد الشيطان يعنى مَغرَزَ ضِفره[3] .

---

(١) قوله «غرض» أى لوى شعره وأدخل أطرافه في أصوله .

(٢) قوله «كفل الشيطان» : وأصل الكفل الكساء يدار حول سنام البعير حفظا للراكب عن السقوط ، وههنا بمعنى الحظ والنصيب ، ومعنى الحديث : أن من استرسل شعره سقط على الأرض عند السجود فيثاب عليه ، والمعقوص لم يسجد شعره ، فينقص الثواب ، فيسرّ به الشيطان ، فيكون نصيبا له ، وفيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن ذلك لا يؤخر إذ لم يؤخره أبو رافع وابن عباس حتى يفرغ من الصلاة ، وإن المكروه يُنكَر كما يُنكَر المحرَّم وإن من قدر على تغيير المنكر بيده يغيره بها.

وقال السيوطى رحمه الله كفله : مقعده ، وهو خاص بالرجال دون النساء لأن شعورهن عورة ، يجب ستره فى الصلاة ، فإذا نقضته ربما استرسل وتعذّر ستره (من التعليق المحمود) .

(٣) رواه أبو داود فى باب «الرجل يصلى عاقصا شعره» .

قوله «معقوص» : العقص هو أن يجمع شعره على هامته ويشده بخيط أوبصمغ ليتلبد كذا قال العلماء وقال السندى : جمع الشعر وسط رأسه أو لف ذوائبه حول رأسه كفعل النساء انتهى ، وفى القاموس عقص شعره يعقصه ضفره وفتله . (من التعليق المحمود) .

أقول : – القائل صاحب التعليق المحمود – اتفق العلماء على النهى عن الصلاة وثوبه مشمر أو كمه و نحوه أو رأسه معقوص أو مردود شعره تحت عمامته أو نحو ذلك فكل هذا منهى عنه .

قال النووى : وهو كراهة تنزيه ، فلو صلى كذلك فقد أساء وصحت صلاته .

واحتج فى ذلك ابن جرير الطبرى بإجماع العلماء ، وحكى ابن المنذر الإعادة فيه عن الحسن البصرى ، ثم مذهب الجمهور : أن النهى مطلقا لمن صلى كذلك سواء تعمده للصلاة أم كان قبلها كذلك لا لها بل لمعنى آخر .

وقال الداودى : يختص النهى بمن فعل ذلك للصلاة ، والمختار الصحيح هو الأول وهو المنقول عن الصحابة (رضى الله عنهم) ومن بعدهم ، ويدل عليه فعل ابن عباس وأبى رافع ، والحكمة فى النهى عنه : أن الشعر يسجد معه ، ولهذا مثله بالذى يصلى وهو مكتوف . انتهى ، نفس المرجع المذكور.

تنبيه لابد منه

نرى كثيراً من الناس أنهم يضعون العمائم أو الشمغ – جمع شماغ – على قصاص الشعر أو الجبين بشكل خاص ، ثم إنهم يحرصون على بقائه كذلك في الركوع والسجود ، ويرون تغيير تلك الهيئة نقصاً في المظهر فيعيدون ذلك الترتيب مراراً في الصلاة ولا ينظرون إلى أن ذلك مخلٌّ بالخشوع والتوجه إلى الرب المعبود المسجود له وإلى مخاطَبهم : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ .

فإذا قام الرجل إلى الصلاة وهو ملتفتٌ إلى شعره وثوبه وشماغه وعباءته ومنظاره وساعاته أنَّى يحصل له الخشوع والخضوع .

أيها القارئ ! هذا الذي يعبث بشيء من جسده أو بلحيته أو بثوبه في الصلاة قد فقد الخشوع وضيّعه كما قال عطاء فى معنى ﴿ الخاشعون ﴾ : «هو أن لايعبث بشيء من جسده فى الصلاة» .

قال أبوبكر بن أبى شيبة فى مصنَّفه باب «الرجل يسترخى إزاره فى الصلاة»

عن وكيع عن ربيع بن صبيح عن أبى معشر عن إبراهيم أنه كره أن يحدث الرجل فى الصَّلاة شيئاً حتى زرّ القميص .

وحدثنا ابن فضيل عن مغيرة عن إبراهيم أنه كره أن يتوشح أو يرتدى وهو فى الصَّلاة . انتهى .

فالمقصود من أحاديث الباب والآثار أن لا نكفَّ شعرنا ولا ثوبنا ولا نعبث بشيء من جسدنا ونتركها على حالها ، ولا تصدر منَّا هذه الحركات الَّتى لاتليق بشأن الصَّلاة ؟ .

أيُّها المصلِّى ! اغتنم هذا الوقت الميسَّر للصَّلاة بتوفيقه جل وعلا وصلِّ صلاة مودِّع كما قال سيِّد الأبرار ﴿ﷺ﴾ في موعظته لأحد أصحابه : «إذا قمت

إلى الصلاة فصلِّ صلاة مودِّع[1]» وما أحسن قول القائل :

متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وما فيها

وهذا الوقت وقت المناجاة مع ربك وخالقك الذي خلقك فسوَّاك فعدلك وهو الذي وفقك لأداء الصلاة ودعاك في بيته لكي تناجيه وتسأله فيما ترغب قائما وراكعاً أمامه ، قاعدا على بابه ساجداً على قدميه فأنت فقير وهو الغني تقرع بابه ولا تبرح حتى يستجاب لك ﴿ والله الغني وأنتم الفقراء ﴾ هذا هو المقصود من قوله ﴿ﷺ﴾ : «أن تعبدالله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»

فعلينا أن نصلى صلاة تعجز الألسنة عن بيان صفاتها وتكون بحيث يباهي بها ربنا جل شأنه كما بين الله تعالى حالة ركوع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسجودهم قائلا : ﴿ تراهم ركَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلًا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى :

﴿ تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلًا من الله ورضواناًسيماهم فى وُجوههم من أثر السُّجُود ﴾ : وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهى خير الأعمال ووصَفَهم بالإخلاص فيها لله عزوجل والاحتساب عندالله تعالى جزيل الثواب ، وهو الجنة المشتملة على فضل الله عزوجل ، وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول كما قال جل وعلا : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ وقوله جل وعلا : ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ سيماهم فى وجوههم ﴾ :

---

(١) قد مر شرح هذا الحديث مع تخريجه .

يعنى السمت الحسن ، وقال مجاهد وغير واحد : يعنى الخشوع والتواضع ، وعن مجاهد : ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ قال : الخشوع ، وقال السدى : الصلاة تحسن وجوههم .

وقال بعد قليل : «إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النُّبُوَّة» .

وقال مالك : بلغنى أنَّ النَّصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام ، يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا .

وصدقوا فى ذلك فإن هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نوّه الله تعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل ﴾ . انتهى .

وقال الله تعالى فى شأن صلاة نبيِّه ﴿ﷺ﴾ ﴿وتوكَّل على العزيز الرَّحيم الَّذي يراك حين تقوم وتقَلُّبَك فى السَّاجدين ﴾ .

قال صاحب التفسير المظهرى ٧ /٨٩ فى تفسير هذه الآية الكريمة : ﴿وتوكَّل ﴾ والتوكل تفويض أمره إلى غيره ، وذا لايجوز عقلًا وشرعاً إلا على من كان قادراً على نفعه ودفع الضرر عنه ، سميعاً بأقواله بصيراً بأحواله عليما بعاقبة أمره رقيباً عليه ، ولذلك قال : ﴿على العزيز ﴾أى الغالب الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه ﴿ الرحيم ﴾ الذي يرحم عليك وعلى اتباعك ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ داعيا للناس إلى التوحيد ومجاهدا فى سبيل الله ، أو المراد حين تقوم إلى الصلاة كذا قال المفسرون ﴿ وتَقَلُّبَكَ فى الساجدين ﴾ عطف على الضمير المنصوب فى يراك يعنى يَرىٰ تقلّبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك أو فى محل تقوم يعنى يراك حين تقوم أى ومع المصلين فى الجماعة .

قال عطية وعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿فى الساجدين﴾ أى فى المصلين . وقال مجاهد : يرى تقلب بصرك فى المصلين ، فإنه يبصر من خلفه كما كان يبصر من أمامه .

روى البغوى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : هل ترون قبلتى ههنا فوالله لا يخفى عليّ خضوعكم ، إنى لأراكم من وراء ظهرى[1] .

وقال سعيد بن جبير : يعنى تصرفك فى أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك ، والساجدون هم الأنبياء ، وقيل : ترددك فى تصفُّح أحوال المتهجدين .

قال البيضاوى : وروى أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر مايصنعون حرصاً على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة . انتهى .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى أراكة يقول : صليتُ مع عليّ رضى الله عنه صلاة الفجر فلما انفَتَل عن يمينه مكث كأنَّ عليه كآبةً ، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قِيْدَ رُمْح صلَّى ركعتين ثم قَلَب يده فقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﴿ﷺ﴾ فما أرى اليوم شيئاً يُشبههم !! لقد كانوا يُصبحون صُفُراً شُعثاً غُبراً بين أعينهم كأمثال رُكَب المِعزى[2] قد باتوا لله سُجداً وقياماً ، يتلون كتاب الله ، يتراوحون[3] بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا ذكروا الله مادُوا[4] كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبتل

---

(١) وروى البخارى حديثا آخر فى هذا الموضوع فى «باب الخشوع فى الصلاة» عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال :هل ترون قبلتى ههنا والله مايخفى عليَّ ركوعكم ولا خشوعكم وإنى لأراكم من وراء ظهرى . انتهى .

(٢) رُكب : جمع ركبة ، ويقال : فلان بين عينيه مثل ركبة العنز من أثر السجود .

(٣) وفي الكنز ٨ /٢١٩ يراوحون . (٤) أى تحركوا .

ثيابهم ، والله لكأنَّ القومَ باتوا غافلين ، ثم نهض فما رُئِيَ بعد ذلك مفترًّا يضحك حتى قتله ابن مُلجَم عدوُّ الله الفاسق[٥] .

طوبىٰ لكم أيُّها المُؤمنُون حقّا وهم إخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان وسبقونا بالخيرات – أعنى به أصحاب الرسول ﴿ﷺ﴾ والله أنتم أحقّ وأولى بميراث النَّبيِّ ﴿ﷺ﴾ من العلم وعبادة الله في سهر الليالي بالصلاة والذكر وتلاوة كلامه الخاص الذي أنزله الله على قلب سيد الرسل محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأنتم قال الله تعالى في شأنكم : ﴿ يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ و ﴿ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وقال : ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ .

اللهم حبب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان آمين يارب العالمين .

---

(١) كذا في البداية ٨ /٦ ، وأخرجه أيضا أبو نعيم في الحلية ١ /٧٦ والدينوري والعسكري وابن عساكر كما في الكنز ٨ /١٢٩ .

لا يمسح الجبهة والأنف في الصلاة

بوَّب البخارى فى صحيحه : باب من لم يمسح جبهته وأنفه حتى صلى .

وروى عن أبي سلمة قال : سألت أبا سعيد الخدرى فقال : رأيت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يسجد فى الماء والطين حتى رأيت أثَرَ الطين فى جبهته .

وبوَّب أيضا فى صحيحه «باب السجود على الأنف فى الطين» وقال حدثنا موسى ثنا همام عن يحيى عن أبى سلمة قال : انطلقت إلى أبى سعيد الخدرى فقلت : ألا تخرُج بنا إلى النخل نتحدَّث ؟ فخرج قال قلت : حدِّثنى ماسمعتَ النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فى ليلة القدر ؟ قال : اعتكف النبيُّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال : إن الذي تطلُب أمامَك فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذي تطلب أمامك فقام النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان فقال : من كان اعتكف مع النبى فليرجع فإنى أريتُ ليلة القدر وإنّى نسيتها وإنها فى العشر الأواخر فى وترٍ وإنى رأيت كأنى أسجد فى طين وماءٍ وكان سقف المسجد جريد النخل ومانرى فى السماء شيئا فجاءت قَزَعَةٌ فأمطرنا فصلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرنَبَتِه تصديق رؤياه انتهى .

وقد بوّب أبو بكر بن أبي شيبة فى مصنَّفه «الرجل يمسح جبهته فى الصلاة» وأورد في ذلك الآثار منها :

عن ابن عباس قال : إذا كنت فى الصلاة فلا تمسح جبهتك ولا تنفخ ولا تحرك الحصباء .

وعن سعيد بن جبير قال : هو من الجفاء .

عن ابن بريدة قال : كان يقال : أربع من الجفاء أن يمسح جبهته قبل أن ينصرف ، أو يبول قائما، أويسمع المنادى ثم لا يجيبه، أوينفخ فى سجوده .

وعن مكحول أنه كان يكره أن يمسح جبهته فى الصلاة ، ويقول : هو من الجفاء .

وعن الحسن أنه كان يكره أن يمسح جبهته قبل أن ينصرف .

وعن الشعبى فى الرجل يمسح جبهته قبل أن ينصرف ، قال : هو جفاء ، وقال الحكم لا بأس به .

وعن المسيب بن رافع قال : قال عبدالله : أربع من الجفاء : أن يصلى الرجل إلى غير سُترة ، وأن يمسح جبهته قبل أن ينصرف ، أو يبول قائما ، أو يسمع المنادى ثم لايجيبه . انتهى ماذكره أبوبكر ابن أبى شيبة فى مصنَّفه .

فعلينا الاحتراز عن مسح الجبهة والأنف فى الصلاة لأن الاحتراز منه من باب التواضع لله عزوجل ، وأمر مستحب وأحلى وألذ ، وفى ذلك اقتداء لنبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم فاقتدوا بهدى نبيكم ﴿ﷺ﴾ فإنه أفضل الهَدْى واستنوا بسنته فإنه أفضل السنن ، وقال تعالى : ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم آمين يارب العالمين .

مسح الحصى وتسوية التراب وغير ذلك في الصلاة

عن أبي سلمة قال حدثني مُعَيْقِيبٌ أن النبي «ﷺ» قال في الرجل يسوى الترابَ حيث يسجد قال : إن كنتَ فاعلا فواحدة[1].

عن الزهرى عن أبي الأحوص شيخ من أهل المدينة أنه سمع أبا ذر يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يمسح الحصى[2].

وقد بوَّب أبوبكر بن أبي شيبة في مصنَّفه «في تحريك الحصى» وأورد الآثار في ذلك كما يلي :

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا كنت في الصلاة فلا تحرك الحصى .

---

(١) راجع البخارى «باب مسح الحصى فى الصلاة» وأيضا أخرجه مسلم فى «باب كراهية المسح وتسوية التراب فى الصلاة» بلفظ : عن أبى سلمة عن معيقيب قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم المسح فى المسجد يعنى الحصى قال : إن كنت لابد فاعلا فواحدة. وفى رواية أنهم سألوا النبى (ﷺ) عن المسح فى الصلاة فقال واحدة .
قال النووى : معناه لاتفعل فإن فعلت فافعل واحدة ولا تزدد ، هذا نهى كراهة تنزيه ، واتفق العلماء على كراهة المسح لأنه ينافى التواضع ، ولأنه يشغل المصلى ، قال القاضى وكره السلف مسح الجبهة فى الصلاة وقبل الانصراف يعنى من المسجد مما يتعلق بها من تراب ونحوه انتهي .

(٢) قوله «فلا يمسح الحصى» قال العراق فى شرح الترمذى : تعليل النهى عن مسح الحصى بكون الرحمة تواجهه يدل على أن حكمته أن لايشغل خاطره بشىء يلهيه عن الرحمة المواجهة له فيفوته حظه من تلك الرحمة .
والحديث أخرجه أبو داود فى «باب مسح الحصى فى الصلاة» .

عن مسلم بن أبى مريم قال : رأى ابن عمر رجلا يقلب الحصى فى الصلاة ، فقال : لا تقلب الحصاة فى الصلاة ، فإن ذلك من الشيطان .

عن طلحة قال : تقليب الحصى أذى للملك .

عن علي بن الأقمر قال : صليت إلى جنب مسروق فمسست الحصى فضرب بيدى .

عن علي قال : إذا صليت فلا تعبث بالحصى .

عن عمران بن حُدير مولى عطية قال : صليت إلى جنب قيس بن عباد فأخذت عودا فرفعت – وفي نسخة فرفعته – إلى فمى فضرب ذقنى ، فلما صلى قلت له : ما حملك وقد أعجبنى ، فقال : كان يقال من عبث بشىء فى صلاته كان حَظَّه من صلاته .

عن الحسن أنه كان يكره أن يعبث الرجل بشىء فى صلاته .

عن معمر بن عبد الرحمن قال : صليت إلى جنب رجل من أصحاب عبد الله فمسست الحصى فلما صلى قال : قال عبد الله : لا يسألن أحدكم ربه شيئا من الخير وفى يديه الحجر .

عن مغيرة عن إبراهيم أنه كره العبث بالحصى فى الصلاة .

وبوَّب فى مصنَّفه أيضا «فى مسح الحصى وتسويته فى الصلاة» وسرد الآحاديث والآثار كما يلى :

عن أبى الزبير عن جابر أنه كان يكره مس الحصى .

عن ابن عطية عن أبي صالح قال : إذا سجدت فلا تمسح الحصى فإن كل حصاة تحب أن يسجد عليها .

وعن شرحبيل أبي سعد عن أبي الدرداء قال : ماأحب أن لي حمر النعم

وأنى مسحت جبيني من الحصى إلا أن يغلبني فأمسح مسحة .

وعن شرحبيل أبي سعد عن أبي الدرداء قال : ماأحب أن لى حمر النعم وأنى مسحت جبينى من الحصى إلا أن يغلبنى فأمسح مسحة .

عن سالم بن عبدالله عن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب أنه صلى إلى جنب عمر فمسح الحصى فمسك بيده .

عن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن أشياء حتى سألته عن مسح الحصى ، قال : مرة واحدة وإلا فدع[1] .

وعن ابن أبي ليلى عن شيخ يقال له هلال عن حذيفة قال : سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن كل شيء حتى مسح الحصى ، فقال : واحدة أو دع[2] .

عن شرحبيل أبي سعد عن جابر بن عبدالله قال : سألت النبى ﴿ﷺ﴾ عن مسح الحصى في الصلاة ، فقال : واحدة ، ولأن تُمسك عنها خير لك من مائة ناقة كلها سوداء الحَدَق[3] .

وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن معيقيب قال : ذكر النبي ﴿ﷺ﴾ مسح الحصى فقال : إن كنت لا بد فاعلًا فواحدة[4] .

---

(١) أخرج الترمذى حديث أبى ذر من طريق أبى الأحوص . كما في حاشية المصنف طبع المدينة المنورة .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده . كما في حاشية المصنف .

(٣) أخرجه الترمذي (١ /٢٩٦) بل أخرجه الجماعة كما في حاشية المصنف .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده كما في حاشية المصنف .

وعن أبي هريرة أنه كان يرخص أن يسوى الحصى فى الصلاة مرة واحدة ، قال : ومن لم يفعل فهو أحب إليَّ . انتهى ماذكره ابن أبي شيبة فى مصنَّفه

ذكر الإمام مالك في موطأه في «مسح الحصباء في الصلاة» عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن أباذر كان يقول : مسح الحصباء مسحة واحدة ، وتركها خير من حمر النعم .

قال صاحب «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» ٣ /١٦٢ :

وحكى النووي في شرح مسلم اتفاق العلماء على كراهته لأنه ينافى التواضع ويشغل قلب المصلى .

قال العينى : وفى حكاية الاتفاق نظر ، فإن مالكا لم ير به بأسا وكان يفعله وذهب أهل الظاهر إلى تحريم مازاد على المرة ، وقال ابن حزم : فرض عليه أن لا يمسح الحصى ومايسجد عليه إلا مرة واحدة وتركها أفضل لكن يسوى موضع سجوده قبل الدخول فى الصلاة ، وتعليل النهى فى الحديث بكون الرحمة تواجهه يدل على أن الحكمة أن لايشغل خواطره بشيء يلهيه عن المواجهة له فيفوته حظه .

وقال الباجى من المالكية : مسح الحصباء (الحصى) فى الصلاة ممنوع لوجهين : أحدهما الاشتغال عن الصلاة ، والثانى ترك التواضع لله عزوجل اهـ

قال القارىء: وفى شرح المنية: ويكره أن يقلب الحصى إلا أن لايمكنه الحصى من السجود بأن اختلف ارتفاعه وانخفاضه كثيرا فلا يستقر عليه قدر الفرض من الجبهة ، وفى أظهر الروايتين أنه يسويه مرة ولا يزيد عليها اهـ .

وفى مكروهات الدر المختار : قلب الحصى منهى إلا لسجوده التام ، فيرخص مرة وتركها أولى .

قال ابن عابدين : قوله التام : بأن لايمكن تمكين جبهته على وجه السنة إلا بذلك ، قيد بالتام لأنه لو كان لايمكنه وضع القدر الواجب من الجبهة إلا به تعين ولو أكثر من مرة .

وقال الحافظ فى «الفتح» الأولى أن يفعل ذلك قبل الدخول فيها حتى لا يشغل باله وهو فى الصلاة به اهـ .

مالك عن أبى جعفر أنه قال : رأيت عبدالله بن عمر إذا أهوى ليسجد مسح الحصباء (الحصى) لموضع جبهته مسحا خفيفا[1].

قوله (لموضع جبهته مسحا خفيفا) أى لزيل شغله عن الصلاة بما يتأذى به قال فى البدائع بعد ماذكر حديث أبى ذر وغيره من ترك المسح إلا مرة : رخص مرة واحدة إذا كانت الحصباء لايمكن السجود لحاجته إلى السجود المسنون ، وهو وضع الجبهة والأنف ، وتركه أولى لما روينا وهو أقرب إلى الخشوع ، فيحتمل أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يمسح الحصباء لما أنه لا يمكنه السجود المفروض بدونه .

مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن أباذر كان يقول مسح الحصباء مسحة واحدة وتركها خير من حُمر النعم[2].

قوله «كان يقول مسح الحصباء» قال فى أوجز المسالك : أى في الصلاة يعنى تسوية الموضع الذي يسجد عليه ، والتقييد بالحصى وبالتراب في الروايات

(١،٢) راجع الموطأ للإمام مالك باب «مسح الحصباء في الصلاة» .

خرج مخرج الغالب لكونه كان الموجود في فرش المساجد إذ ذاك ، فلا يدل تعليق الحكم به على نفيه عن غيره مما يصلى عليه .

قوله «وتركها خير من حُمر النعم» أى تلك المسحة والإقبال على الصلاة ، قال الزرقانى : هى الحمر من الإبل وهى أحسن ألوانها ، وفى المجمع أى أقواها وأجلدها ، والنَّعَم بفتحتين واحد الأنعام ، وهى الأموال الراعية ، وأكثر مايقع على الإبل ، قال فى المجمع : الإبل الحمر هى أنفَسُ أموال العرب ، فجعلت كناية عن خير الدنيا كلها اهـ .

والمعنى أن تركَه أعظم أجرا مما لو كانت له حمر النعم فتصدق بها أو عمل عليها فى سبيل الله ، وقيل : الثواب الذي يحصل له بتركه أشد سروراً منه بحمر النعم لو كانت مِلكاً له دائما .

وقد أخرج أحمد والترمذى وأبوداود والنسائى وابن ماجه عن أبى ذر مرفوعا : إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه .

قال القارىء : أى تنزل عليه وتُقبِل إليه ، فلا يليق لعاقل تَلَقِّى شكر تلك النعمة الخطيرة بهذه الفعلة الحقيرة ، أو لاينبغى فوت تلك النعمة والرحمة بمزاولة هذه الفعلة والزلة إلا حالة الضرورة . انتهى ماذكره صاحب «أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك» رحمهما الله تعالى .

الإهتمام بترتيب الصفوف

إنَّ كثيراً من النَّاس لغافلون عن الإهتمام بتسوية الصفوف وإتمامها وسد الفرج بين الصفوف فلا يهتم به الإمام ولا الناس يسوُّون ، ومن المصلين الذين لايسوّون الصفوف مَن يؤذى جاره المصلى الذي يريد تسوية الصفّ وإتمامها ولا يزال يشوش قلبه حتى لايكاد يؤدى صلاته بالخشوع بفعلته ، ومنهم من إذا قيل له عليك أن تسوى الصف لا يتحرك كأنه حجرٌ ، ويظن أنه أعلم منه بمسائل الصلاة ، هذا هو حالنا وأفعالنا فى داخل المسجد عند أداء الصلاة التى تدعوهم إلى الانقياد الكلى أمام رب العالمين من حيث الظاهر والباطن ، وقس أحوالهم خارج المسجد .

وإليك حال الصحابة – رضى الله عنهم – عند أداء الصلاة وربِّ جبريل كان الصحابة يحافظون على كل فعل فعله النَّبىُّ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ويعملون به ويبيِّنونه أمام إخوانهم إذا رأوا المنكر خلاف هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم .

انظر إلى أنس بن مالك رضى الله عنه فإنه لما رجع من البصرة وجاءه أصحابه الذين كانوا يسألونه عن أفعال أنفسهم المنكرة وماكان خلاف هدى المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ نبههم على عدم تسوية الصفوف كما أورد البخارى فى صحيحه فى «باب إثـم من لم يُتـمَّ الصفوف» حيث قال :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قدم المدينة فقيل له : ماأنكرت منا (أى أيّ شيء أنكرت) منذ يوم عهِدتَّ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال : ماأنكرتُ شيئا إلا أنَّكم لا تقيمون الصفوف .

وهذا أنس يبكى – وهو بدمشق – على أن الحجاج أخَّر الصلاة عن وقتها

المسنون وكان خلاف هدى المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كما فى رواية البخارى «باب فى تضييع الصلاة عن وقتها» بلفظ :

عن عثمان بن أبى روَّاد أخى عبدالعزيز قال سمعت الزُّهرى يقول دخلتُ على أنس بن مالك بِدِمَشْقَ وهو يبكى ، فقلت : مايبكيك ؟ فقال : لا أعرف شيئا مما أدركت (أى فى عهده صلى الله عليه وسلم) إلا هذه الصلاةَ وهذه الصلاة قد ضيِّعت .

وهذا دحية بن خليفة رضى الله عنه لما رأى أصحابه الذين رغبوا عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصيام في السفر قال : «والله لقد رأيت اليوم أمراً ماكنت أظن أنى أراه أن قوما رغبوا عن هدى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وأصحابه ، يقول ذلك للذين صاموا ثم قال عند ذلك : «اللهم اقبضنى إليك»[1] .

وقد ورد فى ذلك ماينبئ عن الاعتناء التام بتسوية الصفوف رواية البخارى «باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها» :

عن النعمان بن بشير قال : قال النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لَتُسَوُّنَّ صُفوفكم أو ليخالفنَّ[2] اللهُ بين وُجوهكم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنما

---

(١) قطعة من الحديث الذى رواه أبوداود فى كتاب الصوم «باب مسيرة مايفطر فيه الصائم» فمن شاء فليرجع إلى كامل الحديث .

(٢) قوله «أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم» أى يكون الواقع أحد الأمرين يريد أن كلا يصرف وجهه عن الآخر ويوقع بينهم التباغض فإن إقبال الوجه على الوجه من أثر المودة والألفة وقيل : أراد بها تحويلها إلى الأدبار ، وقيل : تغيير صورة إلى صورة أخرى . كما فى مجمع البحار . قال الراقم : وأيضا أخرج أبو داود فى هذا المعنى وزاد فيه : قال فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه .

جعل الإمام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا وإذا قال سمع الله لمن حمد فقولوا ربنا لك الحمد وإذا سجد فاسجدوا[1] وإذا صلى جالساً فصلُّوا جلوسا أجمعون وأقيموا الصف فى الصلاة فإن إقامة الصف من حُسْن الصلاة .

وعن أنس عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال سوُّوا صُفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة[2].

أنس رضى الله عنه قال : أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﴿ﷺ﴾ بوجهه فقال : أقيموا صفوفكم وتراصُّوا فإنى أراكم من وراء ظهرى[3].

---

(١) قوله «إذا سجد فاسجدوا» بحث هام جداً ونفيس نبيِّنه فى آخر هذا الكتاب بعنوان «فضل السجدة في الصلاة وغيرها» . إن شاء الله .

والحديث رواه البخارى فى صحيحه «باب إقامة الصف من تمام الصلاة» . (٢) المصدر السابق .

(٣) رواه البخارى «باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف» .

قوله «إنى أراكم من وراء ظهرى» وفى رواية (خلف ظهرى) الفاء فى قوله «فإنى أراكم» للسببية وأشار به إلى أن سبب الأمر بذلك إنما هو تحقيقى منكم خلافه ولا يخفى ذلك علىّ لأنى أرى من خلف ظهرى كما أرى من بين يدى ، ثم إن هذا يجوز أن يكون إدراكا خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم محققا انخرقت له العادة أو خلق له عين وراءه فيرى بها كما ذكر أنه (ﷺ) كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط فكان يبصر بهما ولا يحجبها الثيابُ ، وذكر بعض أهل العلم أن ذلك راجع إلى العلم وأن معناه لأعلم ، وهذا تأويل لا حاجة إليه بل حَملُ ذلك على ظاهره أولى كما قاله أحمد وجمهور العلماء ولا مانع له من العقل وورد به الشرع فوجب القول به . قاله العينى .

وقال شيخنا المحدث الفقيه المفتى محمد عاشق إلٰهى البرني : وليس من الضروري أن تكون العينان هما الناظرتان فقد يجوز أن يكون النظر بغير العينين ، لأن الله تعالى قادر على أن يخلق النظر فى أيّ عضو شاء وهو على كل شيء قدير ، وجاز أيضا أن يكون النبى (ﷺ) ينظر خلفه بعينيه اللتين فى وجهه كما ينظر بهما أمامه بإحداث الأشعة التى من الله تعالى وصارت سببا للنظر من خلف وقدام فاحفظ هذا . انتهى .

وعن أنس عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : أقيموا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري ، وكان أحدُنا يُلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه[1] .

وعن أبي مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول : «استووا ولا تختلفوا فتختلف[2] قلوبكم لِيَلِيني منكم أولو الاحلام والنُّهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافا[3]» .

وقد بوَّب أبو داود فى سننه «باب تسوية الصفوف» وأورد في ذلك الأحاديث كما يلى :

عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : ألا تصفُّون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال : يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون[4] في الصف .

---

(١) راجع الصحيح للإمام البخاري «باب الزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم الخ».

(٢) قوله «فتختلف قلوبكم» قال الطيّبى : فتختلف بالنصب أى على جواب النهى ، وفى الحديث أن القلب تابع للأعضاء فإذا اختلفت اختلف وإذا اختلفت فسد ففسدت الأعضاء لأنه رئيسها ، قلت : القلب مطاع ورئيس مُتبَع والأعضاء كلّها تبع له فإذا صلح المتبوع صلح التبع ويبين ذلك الحديث المشهور : «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلُحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» .
فالتحقيق فى هذا المقام أن بين القلب والأعضاء تعلقاً عجيباً بحيث يسرى مخالفة كل الى الآخر وإن كان القلب مدار الأمر عليه ، ألا ترى أن تبريد الظاهر يؤثر فى الباطن وكذا بالعكس وهو أقوى . كما فى المرقات .

(٣) قوله «وأنتم اليوم أشد اختلافا» أى فى الكلمة حتى فشت فيكم الفتن وذلك لعدم تسويتكم الصفوف كذا فسروا ، ذكره الشيخ الدهلوى .
والحديث رواه مسلم كذا فى المشكاة باب «تسوية الصفوف» .

(٤) قوله «يتراصون» قال في مجمع بحار الأنوار : «رصص» فيه : «تراصوا» في الصفوف أي تلاصقوا حتى لايكون بينكم فرج ، من رص البناء إذا ألصق بعضه ببعض اهـ .

النعمان بن بشير يقول : كان النبي ﴿ﷺ﴾ يسوّينا في الصفوف كما يقوم القدح حتى إذا ظن أن قد أخذنا ذلك عنه وفقهنا أقبل ذات يوم بوجهه إذا رجل منتبذ[١] فقال : لتسوُّن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم[٢] .

عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا ويقول : لاتختلفوا فتختلف قلوبكم وكان يقول : إن الله عزوجل وملائكته يصلون على الصفوف الأول .

النعمان بن بشير قال : كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يسوّى يعنى صفوفنا إذا قمنا للصلاة فإذا استوينا كبَّر .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولِينوا بأيدى إخوانكم ..... ولا تذروا فرجات للشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله .

عن أنس بن مالك عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : رصُّوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق فوالذي نفسى بيده إنى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحَذَفُ[٣].

عن محمد بن مسلم ابن السائب صاحب المقصورة قال : صليت إلى جنب أنس بن مالك يوما فقال : هل تدرى لم صنع هذا العود ؟ قلت : لاوالله ، قال كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يَضَعُ عليه يده فيقول استووا واعدلوا صفوفكم ..

---

(١) قوله «منتبذ» في الصحاح انتبذ فلان جلس ناحية ، وقال السندي : منتبذ أى منفرد بتقدم صدره ، ومنه قوله تعالى ﴿إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ .

(٢) قوله «أو ليخالفن الله بين وجوهكم» أى يمسخها أويحولها عن صورها أو يغير صفاتها والأول أظهر لقوله ﷺ : يجعل الله صورته صورة حمار . من التعليق المحمود .

(٣) قوله «الحذف» أى ولد الغنم .

وعن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن فى الصف المؤخر .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ خياركم ألينكم مناكب فى الصلاة . انتهى ماذكره أبو داود فى سننه فى باب تسوية الصفوف فى الصلاة .

وقال صاحب «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» (٣ : ١٦٤) باب «ماجاء فى تسوية الصفوف» .

قال العينى : هو اعتدال القائمين للصلاة على سمت واحد ويرادبها أيضا سد الخلل الذى فى الصف ، قال ابن عبدالبر فى الاستذكار : والآثار فيها متواترة من طرق شتى فى أمره ﷺ بتسوية الصفوف وعمل الخلفاء الراشدين بعده ، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء اهـ .

وقال أحمد وأبو ثور : من صلّى خلف الصف وحده بطلت صلاته وقال العينى : تسوية الصفوف من سنة الصلاة عند أبى حنيفة والشافعى ومالك ، وزعم ابن حزم أنه فرض ، لأن إقامة الصلاة فرض ، وما كان من الفرض هو فرض ، وقال صلى الله عليه وسلم : «فإن تسوية الصف من تمام الصلاة» فإن قلت : الأصل فى الأمر الوجوب ، ولا سيما فيه الوعيد على تركه يجاب بأن الوعيد من باب التغليظ والتشديد ، تأكيدا وتحريضا على فعلها ، قاله الكرمانى .

وقال الحافظ فى «الفتح» : ومع القول بالوجوب فصلاة من خالف ولم يسو صحيحة ، وأفرط ابن حزم فجزم بالبطلان ونازع من ادعى الاجماع على عدم الوجوب بما صح عن عمر رضى الله عنه أنه ضرب قدم أبى عثمان النهدى لإقامة الصف ، وبما صح عن سويد بن غفلة قال : كان بلال يسوى مناكبنا

ويضرب أقدامنا فى الصلاة ، فقال : ماكان عمر وبلال يضربان أحدا على ترك غير الواجب ، وفيه نظر لجواز أنهما كانا يريان التعزير على ترك السنة اهـ .

مالك عن نافع أن عمر بن الخطاب كان يأمر بتسوية الصفوف ، فإذا جاؤوه أخبروه أن قد استوت كبَّر[1] .

مالك عن عمه أبى سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال كنت مع عثمان بن عفان فقامت الصلاة وأنا أكلِّمه فى أن يفرض لى فلم أزل أكلمه وهو يسوى الحصباء بنعليه حتى جاءه رجال قد كان وكَّلهم فأخبروه أن الصفوف قد استوت فقال لى استو فى الصف ، ثم كبَّر[2] .

يظهر مما ذكر مكانة تسوية الصفوف في الشريعة حتى يوكَّل رجل أو رجال لتسوية الصفوف فيخبرونهم بأن الصفوف قد استوت فيكبر بعد ذلك ، فعلينا العمل بسنن النبي صلى الله عليه وسلم لأن فيها نجاحاً ورباحاً وفلاحاً في الدنيا والآخرة ، اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه .

(١،٢) راجع الموطأ للإمام مالك باب «ماجاء فى تسوية الصفوف» .

التأخر عن الصفوف الأولى

عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : رأى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى أصحابه تأخراً فقال لهم : تقدَّموا وأتمُّوا بي وليأتمَّ بكم من بعدَكم ، لايزال قوم يتأخرون[1] حتى يؤخرهم الله[2] فى النار[3].

وعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : لايزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتّى يؤخرهم الله فى النار[4].

قوله «حتى يؤخرهم الله فى النار» قال السندى : يعنى لايخرجهم من النار فى الأولين أو يؤخرهم عن الداخلين فى الجنة أولا بإدخالهم النار وحبسهم فيها أو يؤخرهم فى النار أن يوقعهم فى أسفل ماللمؤمنين من درك النار انتهى اللهم احفظنا من هذا الخزى آمين .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : خيرُ صفوف الرجال أوَّلها وشرُّها آخرها وخيرُ صفوف النساء آخرها وشرُّها أولها[1].

قوله «خيرُ صفوف الرجال» أى خير صفوف الرجال أوّلها لقربهم من الإمام وبُعدهم من النساء ، وشرُها آخرها لقربهم من النساء وبُعدهم من الإمام ، والمراد بالخير كثرة الثواب فإن الصف الأول أعلم بحال الإمام فيكون متابعته أكثرَ وثوابه أوفر ، وخير صفوف النساء آخرها لبعدهن من الرجال وشرُّها أولها لقربهن من الرجال .

---

(١) قوله «يتأخرون» أى عن الصف . (٢) قوله «يؤخرهم الله» أى فى دخول الجنة ، وقال النووى: من رحمة الله أو عظم فضله .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه وأيضا أخرجه أبوداود فى سننه «باب صف النساء والتأخر عن الصف الأول» . (٤) راجع السنن لأبى داود «باب صف النساء والتأخر عن الصف الأول».

وقال ابن مالك لأن مرتبة النساء متأخرة عن مرتبة الذكور فيكون آخر الصفوف أليق بمرتبتهن .

وفى الكاشف : الرجال مأمورون بالتقدم فمن كان أكثر تقدما فهو أشد تعظيما لأمر الشرع فيحصل له من الفضيلة مالَا يحصل لغيره ، وأما النساء فمأمورات بالاحتجاب .

وقال ابن سيد الناس قوله «خير صفوف الرجال أولها» أى أكثرها أجرا ، وشرها آخرها أى أقلُّها أجرا ، وكذا المعنى فى صفوف النساء وإنما كان ذلك لأن الصف الأول من صفوف الرجال مختص بكمال الأوصاف ومختص بكمال الضبط عن الإمام والاقتداء به والتبليغ عنه ، وكل ذلك معدوم فى النساء فاقتضى ذلك تأخيرهن ، وأما الصف الأول من صفوف النساء فإنما كان شرا من آخرها لما فيه من مقاربة أنفس الرجال النساء فقد يخاف أن تشوّش المرأة على الرجل والرجل على المرأة ، وهذا القول فى تفضيل التقديم فى حق الرجال على إطلاقه .

وأما القول فى صفوف النساء فليس على إطلاقه ، وإنما هو حيث يكن مع الرجال ، فأما صفوف النساء إذا لم يكن مع رجال فأوّلها خيرها والقول فيها كالقول فى صفوف الرجال سواء انتهى .

وقال عياض فى معنى قوله «وشر صفوف الرجال آخرها» : قد يكون سماه شرا لمخالفة أمره فيها وتحذيرا من فعل المنافقين بتأخرهم عنه وعن سماع مايأتى به . انتهى .

فائدة مهمة

فإذا كان ابتعاد الرجال من النساء وابتعاد النساء من الرجال محبوباً ومحموداً في صفوف الصلاة مع أن الصلاة تمنع الإنسان عن التوجه إلى المعاصى وتكفه عن النظر السوء فكيف لايكون هذا الابتعاد محموداً في غير الصلاة ؟ وكيف لايكون الاختلاط بين الرجال والنساء مذموما ، وإنا نرى النساء فى الأسواق خائضات فى جماعة الرجال وجالساتٍ على مقاعد التعليم فى الجوامع والكليات من غير حجاب وإنَّهن يطلبن التوظيف فى الشعب الحكومية ليعملن مع الرجال سواءً بسواء وهذا ليس من الإسلام فى شيء .

وقد أشاع أهل أوروبا أن النساء مساوياتٌ للرجال فى كل شيء وهذا جهل منهم ، وإنما قالوا ذلك لحظوظ أنفسهم وجعلوا المرأة لعبة ، والمرأة تظنّ لسفاهتها أنهم صعدوها مدارج الكمال مع أنهم أنزلوها عن رتبة الإنسانية وجعلوها كالبهيمة يستمتع بها فى الأسواق والطرق أعاذنا الله تعالى من ذلك .

وحكى لنا قصةً أحد شيوخنا فى أثناء محاضرته التى ألقاها على عامة الناس حيث قال : كنا في سفر مع الأحباب بالقطار إذ طلع رجل شديد بياض اللون وشديد بياض القميص والقلادة والبنطلون ، وجلس أمام مقعدى ، وكنت فى مطالعة كتابى وهو ينظر إلىَّ مرة بعد أخرى ، فإذاً ألقيت عليه النظر كأنه منتظر نظرى فقال لى : أيها الشيخ أظن أنك من أهل العلم والدين أريد سؤالك فهل تسمح لى أن أسأل ؟ قلت : أبشر ولا تخف ، فقال : هل لا يسمح الإسلام أن تخالط النساء مع الرجال في التعليم والوظائف ؟ قلت : لا ، قال : لماذا ؟ قلت : لأنه ممنوع فى الإسلام ، وبيَّنت له النصوص الشرعية

فى هذا المجال حتى طال قيل وقال ، ثم قال لى فى الأخير : على الإنسان ضبط نفسه فإذا وجد الضبط فلا مانع من مخالطة النساء مع الرجال إذاً . ومازال يكرر هذه الكلمة – أى الضبط – مرة بعد أخرى فقلت فى نفسى : هذا من الذين قال الله تعالى فى حقهم : ﴿لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ فلا يستقيم بالنصوص الشرعية أبداً ، فاخترت طريقة أخرى وأخرجت الليمون الذى كان فى زنبيلي معي والسكين وقطعته قطعتين فقلت له : عليك بالصدق ولا تقل إلا بالحق ، هل حصل الماء فى فيك من عمل عملته أمامك ؟ قال : نعم ، قلت : أين الضبط على نفسك وتكرره مراراً ؟ الليمون في يدى والسكين ، وقطعته بنفسي فلماذا الماء في فيك ؟ قال : لابد من حصول الماء فى الفم حينما ينظر أحد إلى شيء حامض وهو يقطع أمامه ، فقلت : هكذا إذا كانت العيون أربعة لابد من الفساد فى العالم لأن الشيطان يجرى فى الإنسان مجرى الدم . ﴿فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ . انتهى .

فضل الصفوف الأولى

عن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – قال قال النبى ﴿ﷺ﴾ : «الشهداء الغَرِق[1] والمبطونُ والمطعونُ والهَدِم وقال : لو يعلمون ما فى التهجير لاستَبَقُوا إليه ، ولو يعلمون مافى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً ، ولو يعلمون مافى الصفِّ المقدَّم لاستهَموا[2]» .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : لو يعلم الناس مافى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون مافى التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما[3] ولو حبوا[4] .

---

(١) قوله «الغرق» بفتح المعجمة وكسر الراء بمعنى الغريق ، والمبطون : أى صاحب الاسهال أو من به استقاء أو انتفاخ أو من يموت بداء بطنه مطلقا أقوال ، والمطعون أى صاحب الطاعون أصابه فى وباء عام ، والهَدِم : هو من يموت تحت الهدم . من مجمع البحار .

(٢) راجع البخاري «باب الصف الأول» .

(٣) قوله «لأتوهما» أى لكثرة أجرهما .

(٤) راجع الموطأ للإمام مالك «ماجاء فى النداء للصلاة» .

قوله «ولو حبواً» قال النووى : يحتاج إلى ضبطه – لأنى رأيت من الكبار من صحفه أى مشيا على اليدين والركبتين ، أو على مقعدته اهـ قال العينى لأتوهما ولو حبوا : أى ولو كانوا حابين من حبى الصبى إذا مشى على أربع قال صاحب المجمل : ويقال إذا مشى على يديه وركبتيه أو استه اهـ .

وفى التنوير عن الشيخ أكمل الحبو : هو المشى على اليدين والركبتين ، ولابن أبى شيبة من حديث أبى الدرداء موقوفا ولو حبوا على المرافق والركب يعنى يزحفون إليهما إذا منعهم مانع من المشى كما يزحف الصغير (من أوجز المسالك إلى موطأ مالك ج٢ ص ١١).

وبوَّب أبوبكر بن أبي شيبة فى مصنَّفه باب «فى فضل الصف المقدَّم» وأورد الأحاديث والآثار كما يلى :

عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إن الله وملائكته يصلّون على الصف الأول» .

عن البراء بن عازب قال : إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدَّم .

حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه قال : كان يقال إن الله وملائكته يصلّون على الذين يصلون فى الصفوف الأولى .

حدثنا هشيم قال : نا داود بن أبي هند قال : حُدّثت أنّ رجلا جاء إلى النبى ﴿ﷺ﴾ فقال يارسول الله! دُلّنى على عمل أعمله قال : «كن إمام قومك ، قال : فإن لم أستطع ؟ قال : كن مؤذنهم، قال فإن لم أستطع ؟ قال: فكن فى الصف الأول» .

حدثنا ابن فضيل عن حصين قال : كنت مع عبدالله بن شداد فأقيمت الصلاة ، قال فجعل يقول : تقدَّموا تقدَّموا ، فإنه كان يقال : إن الله وملائكته يصلّون على الذين يصلون فى الصفوف المقدّمة .

عن عامر بن مسعود القرشى قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «لويعلم الناس مافى الصف الأول ماصفّوا فيه إلا بقرعة» .

عن العرباض بن سارية حدثه – وكان العرباض من أصحاب الصُّفة – قال : كان النبى ﴿ﷺ﴾ يصلى على الصف المقدم ثلاثا وعلى الثانى واحدة .

عن أبي بصير قال : قال أبيّ بن كعب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الصف الأول لعلى مثل صفّ الملائكة ولو تعلمون لأبدرتموه» .

عن يزيد عن مجاهد قال : رأى رسول الله ﴿ﷺ﴾ في الصف المقدم رقَّة ، فقال : «إن الله وملائكته يصلون على الصفوف الأول فازدحم الناس» اهـ.

وبوّب أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنَّفه «فى سدّ الفرج فى الصف» وأورد الأحاديث والآثار كما يلى :

عن سعيد بن المسيب عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – أنه سمع النبى «ﷺ» يقول : «إذا قمتم إلى الصلاة فاعدلوا صفوفكم ، وسدُّوا الفُرج[1] فإنى أراكم من وراء ظهرى[2]» .

عن عبدالرحمن بن سابط قال : ماتغبَّرت الأقدام فى شىء أحبّ إلىَّ من رفع صف[3] .

عن خيثمة قال : رأى ابن عمر رجلا يصلى وأمامه فُرْجة فى الصف فدفعه إليها .

حدثنا وكيع عن الأعمش عن خيثمة قال : صليت إلى جنب ابن عمر فرأى في الصف فرجة ، فأومىٰ إليّ فلم أتقدم ، قال : فتقدم هو فسدَّها .

وعن عروة بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سدَّ فرجة في صفٍّ رفعه الله بها درجة ، أو بنى له بيتاً في الجنة .

وعن ابن عمر قال : لأن يسقط ثيابي أحب إليَّ من أن أرى في الصف خَلَلًا لا أسده .

---

(١) قوله «الفُرج» جمع الفُرجة ، وهى الخلل بين الشيئين .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده كما في حاشية المصنف طبع المدينة المنورة .

(٣) وفى نسخة لفظ الحديث هكذا : «ماتغبرت الأقدام فى شىء أحب إلى الله من رفع صف» كما في المصنف .

خطر المرور أمام المصلين

بوَّب البخارى فى صحيحه «لِيَرُدَّ المصلى مَن مرَّ بين يديه» وردَّ ابن عمر فى التشهد وفى الكعبة ، وقال : إن أبىٰ إلا أن يقاتله قاتله . وأورد الحديث بعده كما يلى :

عن أبي صالح السَّمان قال رأيت أباسعيد الخدريَّ فى يوم جمعة يصلى إلى شيء يستره من الناس ، فأراد شاب من بنى أبى مُعَيط أن يجتاز بين يديه فدفعه أبو سعيد فى صدره ، فنظر الشابّ فلم يجد مساغا إلا بين يديه فعاد ليجتاز ، فدفعه أبو سعيد أشدَّ من الأولى ، فنال من أبى سعيد ، ثم دخل على مروان ، فشكا إليه مالقى من أبى سعيد ، ودخَل أبو سعيد خلفه على مروان ، فقال : مالَكَ ولابن أخيك ياأبا سعيد ؟ قال : سمعت النبى ﴿ﷺ﴾ يقول : «إذا صلى أحدكم إلى شئ يستُره مِنَ الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه ، فإن أبىٰ فليُقاتلْه ، فإنما هو شيطان . انتهى .

وفى رواية أخرى كما فى جمع الفوائد باب «الأفعال الممتنعة فى الصلاة والجائزة» أنه كان يصلى فأراد ابن لمروان أن يمر بين يديه فدرأه فلم يرجع فضربه فخرج الغلام يبكى حتى أتى مروان وأخبره ، فقال مروان لأبى سعيد : لمَ ضربت ابن أخيك ؟ قال : ماضربتُه وإنما ضربت الشيطان ، ، سمعت النبى ﴿ﷺ﴾ يقول بنحوه . انتهى مافي جمع الفوائد .

حدثناأحمد بن أبى سريج الرازى ثنا أبو الزبيرى أنا مسرَّة بن معبد اللخمى لقيته بالكوفة قال حدثنى أبو عبيد حاجبُ سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلى فذهبتُ أمرُّ بين يديه فردَّنى ثم قال حدثنى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : من استطاع منكم أن لايحول بينه وبين

قبلته أحد فليفعل[1] .

عن بُسر بن سعيد أن زيد بن خالد أرسله إلى أبى جهيم يسأله ماذا سمع من رسول الله «ﷺ» لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه ؟ فقال أبو جهيم : قال رسول الله «ﷺ» : «لو يَعلمُ المارُّ بين يدى المصلى ماذا عليه ، لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يَمُرَّ بين يديه» قال أبو نضر : لا أدرى قال أربعين يوما أو شهرا أوسَنَةً[2] .

وللترمذى : لأن يقف أحدكم مائة عام .

ولمالك عن كعب الأحبار موقوفا : لكان أن يخسف به خيرا له .... الحديث .

عن يزيد ابن نمران قال رأيت رجلا بتبوك مقعدا فقال مررت بين يدى النبى «ﷺ» وأنا على حمار وهو يصلى فقال : اللهم اقطع أثره فما مشيتُ عليها بعدُ[3].

وفى رواية : .... فقال : قطع صلاتنا قطع الله أثره فما قمت إليها إلى يومى هذا[4] .

قال الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى فى «أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك» ٣ /١٤٣ :

قال ابن رشد : اتفق الجمهور على كراهية المرور بين يدى المصلى لما جاء فيه من الوعيد اهـ . وصرحت كتب الشافعية كلها بأن المرور أمامه حرام ،

---

(١) رواه أبو داود في سننه «باب مايؤمر المصلي أن يدرأ عن الممرّ بين يديه» .

(٢) صحيح البخاري «باب إثم المار بين يدي المصلي» . (٣) راجع السنن لأبي داود «باب مايقطع الصلاة . (٤) نفس المرجع .

وصرحت كتب الحنفية والمالكية بالإثم على المار ، إلا أنهم قسموا أحوال المار والمصلى باعتبار الإثم وعدمه على أربعة أنحاء :

يأثم المار دون المصلى وعكسه ، ويأثمان وعكسه ، قال الزرقانى : الأولى إذا صلى إلى سترة ، وللمار مندوحة ، فيأثم المار دون المصلى ، والثانية إذا صلى فى مشروع مسلوك بلا سترة أو متباعدا عنها ، ولا يجد المار مندوحة فيأثم المصلى دون المار ، والثالثة مثل الثانية لكن يجد المار مندوحة فيأثمان ، والرابعة مثل الأولى لكن لا يجد المار مندوحة ، فلا يأثمان انتهى .

وقال الشيخ رحمه الله بعد قليل شارحا لحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه :

(أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : إذا كان أحدكم يصلى) إلى شئ يستره كما زاده الشيخان بطريق أبى صالح عن أبى سعيد (فلا يدع) أى لا يترك (أحدا يمر بين يديه) أى بينه وبين السترة وإلا فلا فائدة فى السترة ، قال ابن رسلان : ظاهر النهى والوعيد مختص بمن مرّ ، لا بمن وقف مثلا بين يدى المصلى أو قعد لكن إن كانت العلة فيه التشويش على المصلى فهى فى معنى المار ، وظاهر الحديث عموم النهى فى كل مصل ، وخصه بعض المالكية بالإمام والمنفرد انتهى . (وليدرأه) بسكون الدال المهملة قال المجد : درأه كجعله درأ ، ودراءة دفعه انتهى . والمعنى: ليدفعه ، قال ابن رسلان : الأمر وإن كان ظاهره الوجوب لكن هنا للندب إجماعا انتهى .

وقال النووى : لا أعلم أحداً من الفقهاء ، قال بوجوب هذا الدفع بل صرح أصحابنا أنه مندوب اهـ قال الزرقانى : صرح أهل الظاهر بوجوبه ، وكأن النووى لم يراجع كلامهم أو لم يعتد بخلافهم انتهى . وكذا حكاه العينى ،

وقال فى الدر المختار عن البدائع : هو رخصة فتركه أفضل ، (ماستطاع) أى على قدر طاقته بأسهل الوجوه ، قاله ابن رسلان ، قال القرطبى : يدفع بالإشارة ولطيف المنع ، وذكر ابن عبدالبر فى الاستذكار والزرقانى عن ابن بطال الإجماع على أنه لا يجوز له المشى من مكانه ليدفعه ، ولا العمل الكثير فى مدافعته لأنه أشد فى الصلاة من المرور (فإن أبىٰ) إلا أن يمر (فليقاتله) بكسر اللام الجازمة وسكونها أى يزيد فى دفعه أشد من الأول .

قال الزرقانى وابن رسلان : أجمعوا على أنه لايلزمه أن يقاتله بالسلاح لمخالفة ذلك لقاعدة الإقبال على الصلاة والاشتغال بها والخشوع فيها — انتهى .

وقال بعد قليل : (فإنما هو) أى المار (شيطان) من باب التشبيه حذف منه أداة التشبيه للمبالغة ، يعنى فِعله فعل الشيطان لأنه أبىٰ إلا التشويش على المصلى ، أو المراد شيطان الإنس ، وإطلاق الشيطان على المارد من الإنس سائغ وقال ابن بطال : فيه إطلاق لفظ الشيطان على من يفتن فى الدين ، وقال ابن رسلان : فيه جواز إطلاق الشيطان على المسلم إذا فعل معصية انتهى . وقيل المعنى : الحامل له على ذلك شيطان ويؤيده رواية الإسماعيلى بلفظ : «فإن معه شيطان» ، ولمسلم من حديث ابن عمر : «فإن معه القرين» واستنبط ابن أبى جمرة بقوله : «فإنما هو الشيطان» أن المراد المدافعة لاحقيقة القتال ، لأن مقاتلة الشيطان بالاستعاذة لا بالسيف .

قلت : – هو صاحب أوجز المسالك – ويخالف حديث المقاتلة ، حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﴿ﷺ﴾ يصلى فى حجرته فمرّ بين يديه عبدالله أو عمر بن أبى سلمة ، فقال عليه السلام : بيده هكذا ، فرجع فمرت زينب بنت أم سلمة ، فقال : بيده هكذا فمضت ، فلما صلّى عليه الصلاة والسلام قال : «هن أغلب» رواه أحمد وابن ماجه .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : صلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ الجمعة فلما قعد أراد الكلب أن يمر بين يديه ، فقلت : سبحانك اللهم لاإله إلا أنت ياحنّان يامنّان ياذا الجلال والإكرام ، اللهم اقتل هذا الكلب ، فخرّ الكلب ميتاً قبل أن يضع رجليه موضع يديه ، فلما فرغ رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الصلاة فقال : «من الداعى على الكلب ؟» فقلت : أنا ، فقال : «دعوت عليه فى ساعة لو دعوت على أهل الأرض أن يهلكوا لهلكوا» ثم قال : «ماحملك على هذا الدعاء ؟» قلت : خشيت أن يمرّ بين يديك فيقطع صلاتك ، قال : «لايقطع الصلاة مرور شئ ، وادرأوا ماستطعتم» انتهى ماذكره صاحب أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك رحمهما الله تعالى .

وسوسة الشيطان في الصلاة

وطريقة دفع الوساوس فيها

عن أبي هريرة قال قال رسول الله «ﷺ» : إذا أذِّن بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراطٌ[1] حتى لا يسمع التأذين فإذا سكت المؤذن أقبل فإذا ثوِّبَ أدبر فإذا سكت أقبل فلا يزال بالمرء يقول له : أذكر كذا أذكر كذا مالم يكن يذكر حتى لا يدرى كم صلى ..... الخ»[2] .

وفى أخرى للبخارى رحمه الله – «حتى لا يدرى أثلاثا صلى أم أربعا ؟» .

وأخرج هذا الحديث أيضا الإمام مالك فى الموطأ باب «ماجاء فى النداء للصلاة» وفيه : «حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يقول له : أذكر كذا أو أذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لايدرى كم صلى ؟

قوله «حتى يخطر بين المرء ونفسه» أى قلبه يعنى يحول بين المرء وبين مايريده

---

(١) قوله «له ضُراطٌ» قال فى الأوجز ٢ /١٧ : هذا محمول على الحقيقة لأنهم أجسام يأكلون ويشربون فيصح منهم خروجه ، فقيل يخرج من شدة الخوف والثقل عليه كما للحمار من ثقل الحمل أو يكون الفرار من غيظه عن إعلان الإسلام وإظهار شعاره والضراط لازم لشدة الجرى ، وقيل يتعمد إخراجه إما لأن يشتغل بسماع الصوت عن سماع الأذان أو استخفافا للأذان كما يفعله السفهاء أو لئلا يضطر إلى الشهادة فى القيامة إذاسمعه أو ليقابل مايناسب الصلاة من الطهارة بالحدث ، وقيل محمول على التشبيه شبه اشتغال الشيطان بنفسه وغفلته عن السماع بالصوت الذي يملأ السمع ويمنعه عن الاستماع ثم سماه ضراطا تقبيحا له انتهى .

(٢) صحيح الإمام البخاري «باب تفكر الرجل الشيءَ في الصلاة» .

من الإقبال على الصلاة ويحجز بينهما بالوسوسة وحديث النفس ، وهذا لاينافى إسناد الحيلولة إليه سبحانه وتعالى فى قوله عز وجل ﴿ إن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ لأن إسناده إليه تعالى حقيقى وهذا بإعتبار أن الله عزوجل مكّنه منها حتى يتم الإبتلاء ، وقيل غير ذلك . من الأوجز ٢ /١٧.

قوله «يقول له أذكر كذا أو أذكر كذا لما لم يكن يذكر» كناية عن أشياء لم تتعلق بالصلاة (لما لم يكن يذكر) أى لأشياء لم يذكرها المصلى قبل الشروع فى الصلاة ، وفى رواية : «ذكره من حاجاته لم يكن يذكره».

ومن ثم استنبط أبو حنيفة رحمه الله للذى شكا إليه أنه دفن مالًا ثم لم يهتد لمكانه أن يصلى ويحرص على أن لايحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا ، ففعل فذكر مكان المال فى الحال قاله الزرقانى تبعا للحافظ ، وقال أيضا وهذا أعم من أن يكون فى أمور الدنيا أو أمور الدين كالعلم ، حتى يشمل التفكر فى معانى الآيات لأن غرضه نقص خشوعه بأى وجه كان . من أوجز المسالك إلى موطأ مالك ٢ /١٨ .

حدثنا محمود قال حدثنا شبابة قال حدثنا شعبة عن محمد ابن زياد عن أبى هريرة عن النبى ﴿ﷺ﴾ أنه صلى صلاة فقال : إن الشيطان عرض لى فشدَّ علىَّ ليقطع الصلاة عليَّ فامكنَنِيَ الله منه فَذَعَتُّه[٢]، ولقد هممتُ أن أوثِقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرتُ قول سليمان ﴿ ربِّ هبْ لى مُلْكاً لَاينبغى لِأحدٍ مِن بَعدى ﴾ فردَّه الله خاسئا[٣].

---

(١) قوله «فأمكننى الله منه» لكونه مشخصا فى صورة يمكن أخذه معها وهى صورة الهر قاله القسطلانى . (٢) قوله «فذَعَتُّه» أى غمزته غمزا شديدا .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه «باب مايجوز من العمل فى الصلاة» .

مالك عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن أحدكم إذا قام يصلى جاءه الشيطان[1] فلبس عليه حتى لا يدرى كم صلى ، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين[2] وهو جالس[3]» .

مالك أنه بلغه أن رجلا سأل القاسم بن محمد فقال : إنى أهِمُ فى صلاتى فيكثر ذلك علىَّ ، فقال القاسم : امض فى صلاتك ، فإنه لن يذهب عنك حتى تنصرف وأنت تقول : ماأتممت صلاتى[4] .

---

(١) قوله «جاءه الشيطان» قال ابن رسلان : هذا يدل على أن شيطان الصلاة غير شيطان الآدمى (أى قرينه) ، وأما شيطان الصلاة فيسمى خنزب كما رواه مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص اهـ (من الأوجز ٢ /١٩٦) .

(٢) قوله «فليسجد سجدتين» للسهو ترغيما للشيطان للبسه عليه ، وليس شيىء أثقل على الشيطان من السجود لما لحقه مالحقه من الامتناع عن السجود لآدم كما فى الأوجز .
قال الراقم : قوله «ترغيما للشيطان» كما جاء مصرحا عند أبى داود فى «باب من قال يلقى الشك» وذكر الحديث بعده وفيه : «وكانت السجدتان مرغمتى الشيطان» أى مذللتين له ، وفى رواية بعده : «عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سمى سجدتى السهو المرغمتين» وفى أخرى له وفيه : «فالسجدتان ترغيم للشيطان» .
قوله «ترغيم للشيطان» قال النووى رحمه الله : أى إذلال له مأخوذ من الرغام وهو التراب ومنه أرغم الله أنفه ، والمعنى : أن الشيطان لبس عليه صلاته وتعرض لإفسادها ونقصها فجعل الله تعالى للمصلى طريقا إلى جبر صلاته وتدارك مالبسه عليه وإرغام الشيطان وردّه خاسئا مبعدا عن مراده وكملت صلاة ابن آدم ، وامتثل امر الله تعالى الذي عصى به إبليس من امتناعه من السجود والله أعلم انتهى .

(٣) أخرجه مالك باب «العمل فى السهو» .

(٤) قوله «ماأتممت صلاتى» قال في المرقاة : لكن ماأقبل قولك ولا أتمها ارغاما لك ونقضاً لما أردته منى ، وهذا أصل عظيم لدفع وساوس الشيطان في سائر الطاعات ، والحاصل أن الخلاص من الشيطان إنما هو بعون الرحمن والاعتصام بظواهر الشريعة وعدم الالتفات إلى الخطرات والوساوس الذميمة ولاحول ولا قوة إلا بالله انتهى .

قال فى الأوجز ٢ / ٢٠٠ شارحا لهذا الأثر : (مالك أنه بلغه أن رجلا سأل القاسم بن محمد) بن أبى بكر الصديق (فقال) السائل (إنى أهم فى صلاتى) يعنى أتوهم أنى نقصتها مثلا (فيكثر ذلك) الوهم (عليَّ) (فقال القاسم) بن محمد فى جوابه (امض فى صلاتك) ولا تقطعها ولا تعمل على هذا الوهم (فإنه) أى الوهم (لن يذهب عنك حتى تنصرف) عن الصلاة (وأنت تقول) للوسواس نعم (ماأتممتُ صلاتى) وهذا دواء للوساوس بأنه لايلتفت إليه أصلا انتهى .

(عثمان بن أبى العاص) قلت : يارسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها عليَّ فقال : «ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى» رواه مسلم .

قوله «قلت يارسول الله إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى» قال فى المرقاة : أى يمنعنى عن الدخول فى الصلاة أو من الشروع فى القراءة بدليل تثليث التفل وإن كان فى الصلاة وليتفل ثلاث مرات غير متواليات ، ويمكن حمل التفل والتعود على مابعد الصلاة .

والمعنى جعل بينى وبين كمالها حاجزا من وسوسته المانعة من روح العبادة وسرّها وهو الخشوع والخضوع . انتهى .

قوله «يلبسها عليّ» أى يخلطنى ويشككنى فيها ، أى فى الصلاة والقراءة أو كل واحدة . من المرقاة .

قوله «ذاك شيطان» أى الملبس أى خاص من الشياطين لا رئيسهم «يقال له خنزب فتعوّذ بالله منه» فإنه لا خلاص من وسوسته إلا بحول الله وقوته وحفظه ومعونته .

وقال النووي في كتابه «الأذكار» في «باب مايقوله من بُلي بالوسوسة» :

روينا بإسنادنا الصحيح في رسالة الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله عن أحمد بن عطاء الروذبادي السيد الجليل رضي الله عنه قال : كان لي استقصاء في أمر الطهارة وضاق صدري ليلة لكثرة ماصببت من الماء ولم يسكن قلبي ، فقلت : يارب عفوك عفوك ، فسمعت هاتفاً يقول : العفو في العلم ، فزال عني ذلك .

وقال بعض العلماء : يستحب قول لا إله إلا الله لمن ابتلى بالوسوسة في الوضوء أو في الصلاة أو شبههما ، فإن الشيطان إذا سمع الذكر خنس أى تأخر وبَعُد ، ولا إله إلا الله رأس الذكر ، ولذلك اختار السادة الأجلة من صفوة هذه الأمة أهل تربية والسالكين وتأديب المريدين قول لا إله إلا الله لأهل الخلوة وأمروهم بالمداومة عليها وقالوا : أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله تعالى والاكثار منه ، وقال السيد الجليل أحمد بن أبي الحواري : شكوت إلى أبي سليمان الداراني الوسواس فقال : إذا أردت أن ينقطع عنك فأي وقت أحسست به فافرح فإنك إذا فرحت به انقطع عنك لأنه ليس شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمنين وإن اغتممت به زادك ، قلت : وهذا مما يؤيد ماقاله بعض الأئمة : إن الوسواس إنما يبتلى به من كَمُلَ إيمانه فإن اللص لايقصد بيتاً خرباً .

وبوَّب أبو داود في سننه «باب كراهية الوسوسة وحديث النفس في الصلاة» وأورد الحديث بعده عن زيد بن خالد الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من توضأ فأحسن وضوءه ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر له ماتقدم من ذنبه .

قوله «لايسهو فيهما» قال صاحب «بذل المجهود في حل سنن أبي داود» : أي لايعقل عن الصلاة لاشتغاله بأحاديث النفس والوساوس ، وفي مسلم من حديث عثمان بن عفان : «لايحدث فيهما نفسه» .

فإن قيل : الوساوس وأحاديث النفس غير اختيارية فكيف يتعلق بها الحكم ؟ قلنا : وقوعها في القلب غير اختياري ولكن إبقاء سلسلتها وقطعها اختياري ، وكذلك اشتغاله في الصلاة وأقباله إليها اختياري وهو يمنع وقوعها وحدوثها ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : «إن الله تجاوز عن أمتي ماوسوست به صدورها مالم تعمل به أو تتكلم» .

والمراد من الذنوب الصغائر . انتهى ماذكره في البذل .

وعن جبير بن نفير الحضرمي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال : مامن أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين يقبل بقلبه ووجهه[1] عليها إلا وجبت له الجنة .

---

(١) قوله «بقلبه وجهه» أى ظاهره وباطنه . والحديث أخرجه أبو داود في سننه .

مدافعة البول والغائط في الصلاة

بوّب أبوبكر بن أبي شيبة في مصنفه «في مدافعة البول والغائط في الصلاة» وأورد في ذلك الأحاديث والآثار منها :

عن يزيد بن شريح الحضرمي أنه سمع أباأمامة يقول : قال رسول الله ﷺ : «لايأتي أحدكم الصلاة وهو حاقن حتى يتخفف[(١)]» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لايقوم أحدكم إلى الصلاة وبه أذى» .

وعن يحيى بن جعدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لايقرب الصلاة الزّنّاء ، قيل يارسول الله وما الزّنّاء ؟ قال : «الذي يجد الرِّزَّ في بطنه.

عن ابن سيرين قال : يكره حبس الأذي مالم يخف فوت الصلاة .

حفص عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن الأرقم قال : خرج معتمرا مع أصحابه فأذن وأقام ، وقال لبعض أصحابه تقدّم ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا حضرت الصلاة وأحدكم يريد الخلاء فأبدؤا بالخلاء[(٢)] .

عن ابن عباس قال : لايصلى أحدكم وهو يدافع الطّوْف الغائط والبول .

ابن علية عن ابن عون قال : سئل نافع عن الرجل يجد النفخة في بطنه قال لايصلى وهو يجد النفخة .

---

(١) أخرجه أحمد وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي كما في حاشية المصنف .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي كما في حاشية المصنف .

حسين بن علي عن حوزة شيخ من أهل المدينة وأثنى عليه خيراً عن القاسم قال : دخل بعض بني أخي عائشة إليها فقام إلى المسجد ، فقالت له : اجلس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لايصلى أحدكم بحضرة الطعام ولا وهو يدافع الأخبثين» .

عن عكرمة قال : لأن أصرّه في عمامتي ثم أقوم إلى الصلاة أحب إليَّ من أن أدافعه وأنا أصلي يعنى الغائط والبول .

فَضْلُ السَّجْدَةِ فِى الصَّلاَةِ وَغَيْرِهَا

قد نرى بعض النَّاس ، لا بل أكثرهم عن هذه النعمة السَّنِيَّة محرومين ، وما هى النعمة ؟ الجواب : هى نعمة السجدة التى يصنعها الإنسان ويتركها حينما يلحق بالإمام وهو ساجد فينتظر رجوعه إلى القيام ثم يلحق به كأنه ثقل عليه أن يسجد للذي يسجد له مافى السموات والأرض وكأنه لايدرى ماهى حقيقة السجدة ومكانتها وفضائلها :

إذا كنت لا تدرى فتلك مصيبة
وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

السجدة وما أدراك ماالسجدة ؟

ألا ترى قد خصَّها الله تعالى لنفسه فقط ولا يجوز لغيره تعالى ، وهى من إحدى الفرائض المفروضة فى الصلاة ، ومن عظمة شأنها ورفعة مكانتها أنه عبر عن الصلاة بالسجود – أفضل العبادات – وقد ساغ هذا الاطلاق فى كتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ كما قال تعالى : ﴿ومن الليل فسبِّحه وأدبار السجود[١] ﴾. وقال تعالى : ﴿ومن الليل فاسجد له وسبِّحه ليلًا طويلًا[٢] ﴾.

---

(١) سورة قٓ : ٤٠ ومعنى «أدبار السجود» قال مجاهد : هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات . التفسير المظهري ٩ /٧٧ .

(٢) سورة الإنسان : ٢٦ . قال الحافظ ابن كثير ٤ /٤٥٩ ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا﴾ كقوله تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربُّك مقاما محمودا﴾ وكقوله تعالى : ﴿ياأيها المزمل قم الليل إلّا قليلًا نصفه أو انقص منه قليلًا أو زد عليه ورتِّل القرآن ترتيلًا﴾

وقال فى التفسير المظهرى ١٠ /١٦٢ : ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ عبر ههنا عن الصلاة بالسجود وأراد به صلاة المغرب والعشاء . انتهى .

وقال جلت عظمته ﴿ كلا لا تطعه واسجد واقترب[1] ﴾ أى لا تطعه فى ترك الصلاة ، جملة مستأنفة كأنه فى جواب ماذا أصنع حين ينهى ﴿ واسجد ﴾ عطف على لاتطعه لفظاً وتأكيد معنى ﴿ واقترب ﴾ من الله بالصلاة (من التفسير المظهري) .

وقال جل شأنه : ﴿ولقد نعلم أنك يضيقُ صدرُك بما يقولون ، فسبِّح بحمد ربك وكن من الساجدين[2] ﴾

وقال جل جلاله : ﴿أَمَّنْ هُو قانِتٌ آناء اللَّيل ساجداً وقائماً يَحْذَرُ الآخرة ويرجو رحمةَ ربِّه [3] ﴾ الآية .

والآيات فى ذلك – أى فى التعبير عن الصلاة بالسجود كثيرة

---

(١) سورة العلق : ١٩ . قال ابن كثير : ٤ /٥٣٠ ﴿كلا لاتطعه﴾ يعنى يامحمد لاتطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصلِّ حيث شئت ولا تباله فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس ﴿واسجد واقترب﴾ كما ثبت فى الصحيح عند مسلم من طريق عبدالله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن سمى عن أبى صالح عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» اهـ .

(٢) سورة النحل : ٩٧ و ٩٨ . قال الحافظ ابن كثير ٢ /٥٦١ : أى وإنا لنعلم يامحمد أنه يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدرك وانقباض فلا يهيدنك ذلك ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله ، وتوكل على الله فإنه كافيك وناصرك عليهم ، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التى هى الصلاة . انتهى .

(٣) سورة الزمر : ٩ قال ابن كثير ٤ /٤٨ : أى فى حال سجوده وفى حال قيامه ، ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع فى الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون .

وقال بعد قليل ﴿أمن هو قانت .... الآية﴾ قال ابن عمرذاك عثمان بن عفان رضى الله عنه وإنما قال ابن عمر رضى الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن فى ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضى الله عنه . اهـ .

وهكذا دلت الأحاديث على التعبير عن الصلاة بالسجود كما فى الحديث الآتى:

أخرج أحمد عن ربيعة بن كعب رضى الله عنه قال : كنت أخدم رسول الله ﴿ﷺ﴾ نهاري أجمع حتى يصلى العشاء الآخرة فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول لعلّها أن تحدث لرسول الله ﴿ﷺ﴾ حاجة فما أزال أسمع رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : «سبحان الله وبحمده» حتى أمل فأرجع أو تغلبنى عيناي فأرقد فقال لي يوما لما يرى من حقى له وخدمتى إياه : «ياربيعة بن كعب سلنى أعطك» قال فقلت : أنظر في أمري يارسول الله ثم أعلمك ذلك ، قال : ففكرت فى نفسى فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيكفينى ويأتيني ، قال فقلت : أسأل رسول الله ﴿ﷺ﴾ لآخرتى فإنه من الله بالمنزل الذي هو به ، قال : فجئته ، فقال : «مافعلتَ ياربيعة ؟» قال فقلت : نعم يارسول الله ! أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقنى من النار ، قال فقال : «من أمرك بهذا ياربيعة ؟» قال فقلت : لا والذي بعثك بالحق ماأمرنى به أحد ولكنك لما قلت : سلنى أعطك وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنت به ، نظرت في أمري فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيأتينى فقلت : أسأل رسول الله ﴿ﷺ﴾ لآخرتى ، قال : فصمتَ رسول الله ﴿ﷺ﴾ طويلا ثم قال لي : إنى فاعل فأعني [1] على نفسك بكثرة السجود [2].

---

(١) قوله «فأعنى» أى أقدرنى على معاونتك وإصلاح نفسك بكثرة الصلاة التى هى سبب القرب والعروج إلى مقام الزلفى ، وهذا كقول الطبيب للمريض أعالجك بمايشفيك ولكن أعنى بالاحتماء وامتثال أمرى ، وفي قوله : «على نفسك» تنبيه على أن نيل المراتب العلية إنما يكون بمخالفة النفس . لمعات .

(٢) كما فى البداية (٥ : ٣٣٥) ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير من رواية ابن إسحاق نحوه ، وأخرجه مسلم وأبو داود مختصرا ولفظ مسلم :
كنت أبيت مع رسول الله (ﷺ) فآتيه بوَضوئه وحاجته فقال لي : سلنى فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة ، قال : أو غير ذلك ؟ قلت : هو ذاك قال : فأعنى بكثرة السجود» كما فى الترغيب (١ : ٢١٣) .

وعن معدان بن طلحة قال : لقيت ثوبان مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أخبرنى بعمل أعمله يدخلنى الله به الجنة ؟ فسكت ثم سالته فسكت ثم سألته الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال : عليك بكثرة السجود فإنك لاتسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ عنك بها خطيئة ، قال معدان : ثم لقيت أباالدرداء فسألته فقال لي مثل ماقال ثوبان . رواه مسلم .

ومن شأن السجدة أن الله تعالى قد أنزل سورتين باسم السجدة فى كتابه العزيز وهما (١) سورة السجدة (٢) وسورة حمٓ السجدة ، وهكذا أمِر القاريء والمستمع بالسجدة إذا مرَّ بآية السجدة وكره إذا مر بآية السجدة أن يجاوزها حتى يسجد[١] .

وقد ورد عدد السجدات فى كتاب الله ١٥ و١٤ و ١١ على حسب اختلاف الفقهاء فيها .

ولا يخلو كتب أهل الحديث من تبويب فضل السجود كما بوَّب البخاري في صحيحه «باب فضل السجود» وأورد الحديث وفيه :

... حتى إذا أراد الله رحمةَ مَن أراد من أهل النار أمرَ الله الملائكة

---

(١) كما بوَّب أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه باب «من كره إذا مرَّ بالسجدة أن يجاوزها حتى يسجد» وأورد الآثار بعده كما يلى :

حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب قال : دخلت المسجد فإذا أنا بشيخين ، فقرأ أحدهما على صاحبه القرآن ، فجلست إليهما ، فإذا أحدهما قيس بن السكن الأسدى وإذا الآخر يقرأ سورة مريم ، فلما بلغ السجدة قال له قيس بن سكن : دَعْها فإنا نكره أن يرانا أهل المسجد ، فتركها وقرأ مابعدها ، قال قيس : والله ماصرفَنا عنها إلا شيطان ، اقرأها فقرأها فسجد .

قال الشعبى : كانوا يكرهون إذا أتوا على السجدة أن يجاوزوها حتى يسجدوا . انتهى

أن يُخرجوا من كان يعبدُالله فيُخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرَّم الله على النار أن تأكل أثَرَ السجود فيُخرجون من النار ، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثَر السجود فيُخرجون من النار قد امتحشوا – أى احترقوا – الحديث

وروى البخارى رحمه الله فى كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما وعدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله أحد وحتى تكون السجدة خيرا له من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤْمِنَنَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ .

وكذا رواه مسلم عن الحسن الحلوانى وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب به اهـ كما فى التفسير لابن كثير ١ /٥٧٩ .

وعن أبي ذر رفعه : إنى أرى ما لاترون وأسمع مالا تسمعون ، أطت السماء وحق لها أن تئط ، مافيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله .

وفى رواية : أن أبا ذر قال : «لوددت أنى كنت شجرة تعضد» للترمذى كما فى جمع الفوائد «كتاب الخوف والرقائق والمواعظ».

قد اكتفينا بهذا القدر فى فضل السجدة ولها فضائل كثيرة تركناها للاختصار، فالآن نذكر حكم الرجل الذي يدرك الإمام ساجدا كيف يصنع؟

فقد بوَّب الترمذي في سننه «باب ماذكر في الرجل يدرك الإمام ساجداً كييف يصنع ؟» وأورد الحديث عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ :

«إذا أتى أحدكم الصلاة والإمام على حالٍ فليصنع كما يصنع الإمام» .

قال أبو عيسى – وهو الإمام الترمذى رحمه الله – : والعمل على هذا عند أهل العلم قالوا : إذا جاء الرجل والإمام ساجد فليسجد ولا تجزئه تلك الركعة إذا فاته الركوع مع الإمام .

واختار عبدالله بن المبارك أن يسجد مع الإمام وذكر عن بعضهم فقال : لعله لايرفع رأسه من تلك السجدة حتى يغفر له .

قوله «فليصنع كما يصنع الإمام» أى فليقتد به فى أفعاله بأن يشاركه فى الصلاة وهو فى تلك الحالة ، فلا ينتظر رجوعه إلى القيام إذا لم يكن فيه كما يفعله العوام .

وليس المراد أنه يقرأ كما يقرأ الإمام فإنه لم يقل به أحد لأن قراءة السورة عند جهر الإمام لم يقل به أحد وكذا القراءة جهراً والله تعالى أعلم .

وأيضا بوَّب أبو داود فى سننه «باب الرجل يدرك الإمام ساجدا كيف يصنع» وأورد الحديث عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدوها شيئا ومن أدرك الركعة – أى الركوع – فقد أدرك الصلاة .

وبوَّب البخارى فى صحيحه «باب ماأدركتم فصلّوا وما فاتكم فأتمُّوا» وأورد الحديث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا سمعتم الإقامة فامشُوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتمُّوا .

قوله «فما أدركتم فصلوا» صيغة أمر يدل على الوجوب اى ماأدركتم مع الإمام من الركوع والسجود والقيام والقعدة وغير ذلك من الأحوال التحقوا به

ولا تنتظروا شيئا فإن حالة الصلاة خير من عدمها فاحرص عليه لأن الحرص والاستباق على الخير مطلوب إذا كان على وفق الشرع ، فنعم الاستباق إلى السجدة لله تعالى لأنك ماتقول عند الالتحاق إلا كلمة طيِّبة و إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه .

ألا ترى كلمتك : «الله أكبر» تملأ الميزان وتملأ مابين السموات والأرض وهو خير من الدنيا وما فيها لأن الدنيا فانية والكلمة الطيبة ليست بفانية يبقى جزاؤها أبد الأباد .

وبوَّب أبوبكر بن أبى شيبة فى مصنفه باب «من قال : إذا دخلتَ والإمام ساجد فاسجد» وأورد الأحاديث والآثار منها :

عن عبدالعزيز بن رفيع عن رجل من أهل المدينة عن النبى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أنه سمع خفق نعلَيَّ وهو ساجد ، فلما فرغ من صلاته قال : من هذا الذي سمعت خفق نعله ؟ قال :أنا يارسول الله قال : فما صنعت ؟ قال : وجدتك ساجدا فسجدت ، قال : فهكذا فاصنعوا ولا تَعتَدُّوا بها ، مَن وجدنى راكعا أو ساجدا أو قائما فليكن معي على حالى – وفى نسخة على حالتى – التى أنا عليها .

عن ابن عمر وزيد بن ثابت قالا : إن وجدهم وقد رفعوا رؤسهم من الركوع كبَّر وسجد ، ولم يعتدّ بها .

وعن الحسن ومغيرة عن إبراهيم فى الرجل ينتهى إلى الإمام وهو ساجد، قالا:يتبعه ويسجد معه ولا يخالفه ولا يعتدّ بالسجود إلا أن يدرك الركوع .

وعن مغيرة عن إبراهيم قال : على أيّ حال أدركتَ الإمام فلا تخالفه .

عن قتادة قال : إذا أدركتهم وهم سجود فاسجد معهم ولا تعتدّبها .

وعن ابن عمر قال على أيّ حال وجدتَّ الإمام فاصنع كما يصنع .

حدثنا ابن علية عن داود عن الشعبى فى الرجل ينتهى إلى القوم وهو سجود ، قال : يسجد معهم .

حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن وابن سيرين قالا لايقوم الرجل قائما منتصبا والقوم قد وضعوا رؤسهم .

حدثنا زيد بن الحبحاب عن حماد بن سلمة عن هشام ابن عروة عن أبيه أنه كره للرجل إذا جاء والإمام ساجد أن يتمثّل قائما حتى يتّبعه .

فثبت من الأحاديث التى رويناها وبالخصوص روايات البخارى والترمذى وأبى داود أن المصلى يسجد مع الإمام إذا أدركه وهو ساجد ومن الشين أن لا يسجد للذى يسجد له من فى السموات والأرض كما قال تعالى :

﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض ﴾ .

قال تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ﴾ .

وقال جل جلاله : ﴿ إنَّ الذين عند ربِّك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ .

والإنسان لايمنعه من السجدة إلا الشيطان لأنه للإنسان عدو مبين ، ولأنه ليس شيء أثقل على الشيطان من السجود لما لحقه مالحقه من الامتناع عن السجود لآدم عليه السلام كما في الصحيح للإمام مسلم رحمه الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ويقول : ياويلتي أمِر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرتُ بالسجود فأبيتُ فلي النار» .

ولا يخفى على الإنسان أنه لايعمل عملا إلا إذا كان يعجبه ويحبه ويرى فيه فائدة له ، ومن هنا نرى المصلي كيف يجتهد ويسعى إلى الصلاة والإمام راكع لأنه يرى فيه حصول الركعة إذا أدرك الركعة - أى الركوع - مع الإمام فيسعى فى حصول الفائدة وهو إدراك الركعة أو فضل الجماعة أو غير ذلك مما لايخفى عليه ، ولكن لا يسعى حق السعى فى إدراك السجدة التى يتقرب بها العبد إلى خالقه جل وعلا .

ولا تنس قول ربِّك جل وعلا : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يره ﴾. فسعادة الإنسان أن يكون ساجدا له بالإخلاص جل شأنه ؟ .

ونقول فى الأخير : ولربِّك فاسجد طوعا أوكرها وأطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم شجَّع وحرَّض المصلي على هذه السجدة وعسى أن تقول في السجدة : «رب اغفرلي» فيغفر الله لك قبل أن ترفع رأسك من تلك السجدة .

ولا تنتظر الإمام أن يقوم أو يقعد فتلحق به لأنك لو تسجد فى هذا الحين تسجد لله الخالق الذي يراك حين تقوم وتقلُّبَك فى السَّاجدين ولا تكون سجدتك هذه للشمس ولا للقمر والأحجار أعاذنا الله من ذلك ، فأيّ شيء يمنعك عن هذا التواضع والافتقار أمام الغنيِّ الغفَّار جل شأنه ومن تواضع لله رفعه الله .

وقال تعالى : ﴿ ومن آياته اللَّيل والنَّهار والشَّمس والقمر لا تسجُدوا للشَّمس ولا للقمر واسجدُوا للّه الَّذي خلَقهنَّ إن كنتم إيَّاه تعبدُون ﴾ .

كيف كانت قراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة

ومن المعلوم أن الإنسان إذا أحب المرء حُبًّا سُماقاً يجتهد ويسعى فى أن يختار جميع خصاله ليكون أولى النَّاس بالمحبوب عزاً وشرفاً ووقارًا ، ولا نجد هذا الحب والتمنى فى اختيار جميع خصال المحبوب والتأسي به أكثر من السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ، وقال تعالى : ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ وفيهم أمِر النبىُ ﴿ واصْبِر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدْوة والعشيِّ يريدون وجهَهُ ولا تَعْدُ عينَاكَ عنهم ﴾ الآية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان الصحابة أحرص الناس على عمل النبى ﴿ﷺ﴾ بأن يعضُّوا عليه بالنواجذ ويعملوا به وقد كانوا يبيِّنونه أمام إخوانهم قولًا وعملًا ليعملوا مثل عمل سيد ولد آدم ﴿ﷺ﴾ ، وكانوا أحرص الناس على ذلك فمنهم من يقول : ألا أصلي بكم صلاة رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيصلى في غير وقت الصلاة مثل ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرفع يديه ويضعهما ويقرأ ويركع ويسجد ويجلس حسب مارأى النبي ﴿ﷺ﴾ ويقول : هذه صلاة نبيكم صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من إذا وجد أحداً يعمل عملا خلاف هدى المصطفى يكاد يجود بنفسه ويقول : اللهم اقبضني إليك ، فأنَّى لك هذا أيها المسلم !

ومن هدي المصطفى قراءته ﴿ﷺ﴾ في الصلوات ، فليحفظ الرجل المسلم السور عن ظهر قلب ويقرأها في صلواته كلها لتكون صلاته أشبه بصلاة سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة والتسليم من حيث القراءة ، وهكذا نحضُّكم على جميع آداب الصلاة والخشوع فيها كما بيَّناه مفصلا فيما سبق . اللهم اجعلنا من الخاشعين والخاشعات والعابدين والعابدات آمين يارب العالمين.

قـــراءتـــه ﷺ في الظهر والعصر

سورة الطلاق ، سورة البروج ، وفي روايات أخر أنه قرأ في الظهر قدر تنزيل السجدة ، وسورة الليل ، وسورة الأعلى ، كما في سنن أبي داود .

قـــراءتـــه ﷺ فـي المغرب

سورة المرسلات ، سورة الطور ، سورة الكافرون ، وسورة الاخلاص كما في صحيح البخاري ، والموطأ للإمام مالك ، وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه ، وسنن الترمذي .

قـراءتـه ﷺ فـي العشـاء

سورة الانشقاق ، سورة التين في إحدى الركعتين في العشاء ، وسورة الشمس ، وسورة الليل ، وسورة الأعلى ، كما في صحيح البخاري ، والموطأ للإمام مالك ، وصحيح الإمام مسلم رحمهم الله تعالى .

قـراءتـــه ﷺ في الـفجـر

وكان يقرأ ﷺ في الركعتين مابين الستين إلى المائة كما في رواية البخاري وأحيانا سورة الطور ، وسورة المؤمنون ، وسورة الكهف في الأولى وفي الثانية سورة يوسف أو سورة يونس ، كما في روايات البخاري وسورة الليل ، كما في رواية لمسلم رحمهما الله .

فضل القعود في المسجد وآدابه

أخرج البخاري في صحيحه في «باب فضل صلاة الجماعة» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «صلاة الرجل في الجماعة تُضعَّف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجُه إلا الصلاة لم يخطُ خُطوة إلا رفعت له بها درجة وحطَّ عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام في مصلاه : اللهم صلِّ عليه اللهم ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاة ماانتظر الصلاة .

وروى أبو داود في سننه في «باب فضل القعود في المسجد» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الملائكة تصلى على أحدكم مادام في مصلاه الذي يصلي فيه مالم يحدث أو يقم : اللهم اغفر له اللهم ارحمه .

وعنه رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لايزال العبد في الصلاة ماكان في مصلاه ينتظر الصلاة تقول الملائكة : «اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يُحدث فقيل : مايُحدِثُ ؟ قال : يَفسوا أو يَضرِّط . نفس المرجع المذكور .

وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أتى المسجد لشيء فهو حظه (أى نصيبه) المصدر السابق .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يُسبِّح له فيها بالغُدوِّ والآصال ﴾ .

لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل مثلا ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوته الذي يعبد فيها ويوحد فقال تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ أي أمر الله تعالى بتعاهُدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ﴾ قال : نهى الله تعالى عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبوصالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المفسرين .

وقال قتادة : هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها .

وقد ذُكر لنا أن كعبا كان يقول : مكتوب في التوراة إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر . رواه عبدالرحمن بن أبي حاتم في تفسيره ، اهـ .

وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج معاوية رضي الله عنه على حَلْقة في المسجد فقال : ماأجلسكم؟ قالوا : جلسنا نذكر الله قال : آلله ماأجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : ماأجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إني لم أستحلفكم تُهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﴿ﷺ﴾ أقلَّ عنه حديثا منِّي ، إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ خرج على حَلْقة من أصحابه فقال : «ماأجلسكم ؟» قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ماهدانا للإسلام ومَنَّ به علينا ، فقال : «آلله ماأجلسكم إلا ذاك ؟» قالوا : آلله ماأجلسنا إلا ذاك ،

قال : «أما إني لم استحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي - أي يفاخر - بكم الملائكة . أخرجه مسلم والترمذي والنسائي .

وأخرج الشيخان عن أبي واقد الحارث بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وذهب واحد فوقفا على رسول الله ﴿ﷺ﴾ ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ! أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه .

وأخرج ابن مندة عن أبي القمراء رضي الله عنه قال : كنا في مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ حِلَقاً نتحدث إذ خرج علينا رسول الله ﴿ﷺ﴾ من بعض حُجره فنظر إلى الحِلق ثم جلس إلى أصحاب القرآن فقال : «بهذا المجلس أمرتُ»[1] .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن كليب بن شهاب قال : سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضجة - أى صياحا وجلبة - في المسجد يقرؤون القرآن ويقرِئونه فقال : طوبىٰ لهؤلاء ! هولاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) كذا في الاصابة ٤ /١٦٠ وأخرجه ابن عبدالبر في الاستيعاب ٤ /١٦٤ وأخرجه أيضا أبوعمرو الداني في طبقات القراء كما في الكنز ١ /٢١٩ .

(٢) كذا في المجمع ٧ /١٦٦ ، وأخرجه ابن منيع بنحوه ، كما في الكنز ١ /٢١٩.

أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال : ياأهل السوق ! ماأعجزكم ؟ قالوا : وما ذاك يا أباهريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقسم وأنتم ههنا ! ألا تذهبون وتأخذون نصيبكم منه ؟ قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد ، فخرجوا سراعاً ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم : مالكم ؟ فقالوا : ياأبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يُقسم ، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحداً ؟ قالوا : بلى ، رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرؤون القرآن وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم . كما في الترغيب ١ /٦٦ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سبعة يُظلُّهم الله في ظِلَّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه : الإمام العادل ، وشابٌّ نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طَلَبتْه امرأة ذاتُ منصب وجمال فقال : إنِّي أخاف الله ، ورجل تصدق إخفاءً حتى لا تعلم شماله ماتُنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[1] .

قال القرطبي في تفسيره أحكام القرآن ١٢ /٢٧٦ :

قال حكيم بن زريق : قيل لسعيد بن المسيب أحضور الجنازة أحب إليك أم الجلوس في المسجد ؟ فقال : من صلى على جنازة فله قيراط ، ومن شهد دفنها فله قيراطان ، والجلوس في المسجد أحب إليَّ لأن الملائكة تقول : اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تب عليه .

وروى عن الحكم بن عمير صاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : قال

---

(١) صحيح البخاري «باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد» .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كونوا في الدنيا أضيافاً ، واتخذوا المساجد بيوتاً ، وعوّدوا قلوبكم الرقّة ، وأكثروا التفكير والبكاء ولا تختلف بكم الأهواء ، تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، وتؤمّلون ما لا تُدركون» .

قال أبو الدرداء لابنه : ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن المساجد بيوت المتقين ، ومن كانت المساجد بيته ضَيمَن الله تعالى له الرَّوح والراحة والجواز على الصراط» .

وكتب أبو صادق الأزدي إلى شعيب بن الجسحات : أن عليك بالمساجد فالزمها ، فإنه بلغني أنها كانت مجالس الأنبياء .

وقال أبو إدريس الخولاني : المساجد مجالس الكرام من الناس .

وقال مالك بن دينار : بلغني أن الله تبارك وتعالى يقول : إني أهمّ بعذاب عبادي فأنظر إلى عُمار المساجد وجُليساء القرآن ووُلدانِ الإسلام فيسكن غضبي .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «سيكون في آخر الزمان رجال يأتون المساجد فيقعدون فيها حِلَقا حلقاً ذكرهم الدنيا وحبها فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة» .

وقال ابن المسيب : من جلس في مسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيراً .

وقد جمع بعض العلماء في ذلك خمس عشرة خصلة فقال : مِن حرمة المسجد أن يسلم وقت الدخول إن كان القوم جلوسا وإن لم يكن في المسجد أحد قال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وأن يركع ركعتين قبل أن يجلس ، وألا يشتري فيه ولا يبيع ، ولا يَسُل فيه سهما ولا سيفا ولا يطلب فيه

ضالة ، ولا يرفع فيه صوتاً[1] بغير ذكر الله تعالى ولا يتكلم فيه بأحاديث الدنيا ولا يتخطى رقاب الناس ولا ينازع في المكان ولا يضيق على أحد في الصف ، ولا يمر بين يدي المصلي ، ولا يبصق ، ولا يتنخم ، ولا يتمخط فيه ، ولا يفرقع أصابعه ، ولا يعبث بشيء من جسده ، وأن يُنزّه عن النجاسات والصبيان والمجانين ، وإقامة الحدود ، وأن يكثر ذكر الله تعالى ولا يغفل عنه ، فإذا فعل هذه الخصال فقد أدى حق المسجد وكان المسجد حرزاً له وحصنا له من الشيطان الرجيم .

وفي الخبر أن مسجدا ارتفع بأهله إلى السماء يشكوهم إلى الله بما يتحدثون فيه من أحاديث الدنيا . انتهى ماذكره القرطبي .

---

(١) وفي الحديث الذي أخرجه البخاري والبيهقي عن السائب بن يزيد قال : كنت نائما في المسجد فحصبني – ضربني بالحصا – رجل فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما فقال : من أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، فقال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند إبراهيم بن سعيد في نسخته وابن المبارك عن سعيد بن إبراهيم عن أبيه قال : سمع عمر بن الخطاب صوت رجل في المسجد فقال : أتدري أين أنت ؟ أتدري أين أنت ؟ كره الصوت . كذا في الكنز ٤ /٢٥٩ – ٢٦٠ .

وأخرج عبدالرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر كان إذا خرج إلى المسجد نادى في المسجد : إياكم واللغط – أى الصوت والضجة – وفي لفظ : نادى بأعلى صوته «اجتنبوا اللغو في المسجد» وقال : إن مسجدنا هذا لا تُرفع فيه الأصوات . نفس المرجع .

وأخرج مالك والبيهقي عن سالم أن عمر بن الخطاب بنى إلى جانب المسجد رحبة فسماها البطيحاء فكان يقول : من أراد أن يلغط أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج إلى هذه الرحبة . كذا في الكنز ٤ /٢٥٩ .

وأخرج عبدالرزاق عن طارق بن شهاب قال : أتى عمر بن الخطاب برجل في شيء فقال : أخرجاه من المسجد فاضرباه ، كذا في الكنز ٤ /٢٦٠ .

(أبو هريرة رضي الله عنه) رفعه : إن للمساجد أوتاداً ، الملائكة جلسائهم إن غابوا يفتقدونهم وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانوهم ، جليس المسجد على ثلاثة خصال : أخ مستفاد أو كلمة محكمة أو رحمة منتظره . لأحمد بلين[1] .

(معاذ) رفعه : إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناجية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد . لأحمد[2]

(ابن مسعود) أنه رأى قوما قد أسندوا ظهورهم إلى قبلة المسجد بين أذان الفجر والإقامة ، فقال : لا تحولوا بين الملائكة وبين صلاتها . للكبير[3] .

ويستحب إتيان المسجد بالسكينة والوقار وبالتجمل بحسن الثياب وأن يدخل بالرجل اليمنى ويقول : «أعوذ بالله العظيم بوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، بسم الله اللهم صلى على محمد وآل محمد وبارك وسلم اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» رواه أبو داود .

كما يسن الدعاء حين التوجه إلى المسجد ، كما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة وهو يقول : «اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا ومن خلفي نوراً وفي عصبي وفي بصري نورا وفي لحمي نورا وفي دمي نوراً وفي شعري نوراً وفي بشري نوراً» .

ويكره دخول المسجد على غير وضوء ، وقد يحتج له بقوله صلى الله عليه وسلم : «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» .

ومن المعروف أن المأمور بالصلاة مأمور بشرطها وهو الوضوء .

---

(١) راجع جمع الفوائد رقم الحديث :١٢٥٥ طبع المدينة المنورة .

(٢) المصدر السابق رقم الحديث : ١٢٥٦ . (٣) المصدر السابق رقم الحديث : ١٢٥٧.

ويستحب لمن دخل المسجد أن يصلي ركعتين تحية لما جاء في الصحيحين من حديث أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين» .

ويكره لداخل المسجد أن يختص له مكانا من المسجد خاصة له ولا يألف إلا به .

فقد روى أبو داود وابن خزيمة في صحيحه عن عبدالرحمن بن شبل قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرة الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المكان من المسجد كما يوطن البعير» .

يجتنب الجالس في المسجد عن الروائح الكريهة وكذلك من الحدث مثل إخراج الريح وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم : «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» .

ويستحب لمن دخل المسجد وجلس فيه أن ينوى الاعتكاف سواء كثر جلوسه أم قل ، وغير ذلك من أنواع العبادات من قراءة القرآن أو علم أو سماع موعظة أو انتظار صلاة ونحوها وهذه الآداب ينبغي أن يعتني بها ويشاع ذكرها

ولعمري لقد صارت هذه العبادات كالشريعة المنسوخة لايكاد يعمل أحد شيئا إلا من يوفقه الله .

ويستحب الاستعاذة للخارج من المسجد لما أخرج الحاكم من حديث ضحاك ابن عثمان عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال : «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليقل : «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج فليسلم على النبي «صلى الله عليه وسلم» وليقل : «اللهم أجرني من الشيطان الرجيم» .

هذا وقد استراح القلم بحمد الله وتوفيقه من تأليف كتابنا : «أين الخاشعون في الصلاة؟» في منتصف ليلة الجمعة المباركة ١٥ من شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٧هـ بالمدينة المنورة – زادها الله شرفاً وكرامةً ، وما مثلي في هذا الكتاب إلا كمثل الذي يقول :

أسير خلف ركاب النُّجب ذا عرج
مُؤمِّلا غير مايقضى به عرَجي

فإن لحقتُ بهم من بعد ماسبقوا
فكم لربِّ السَّما في النَّاس من فرج

وإن ظللتُ بقفر الأرض منقطعا
فما على أعرج في ذاك من حرج

وما توفيقي إلا بالله

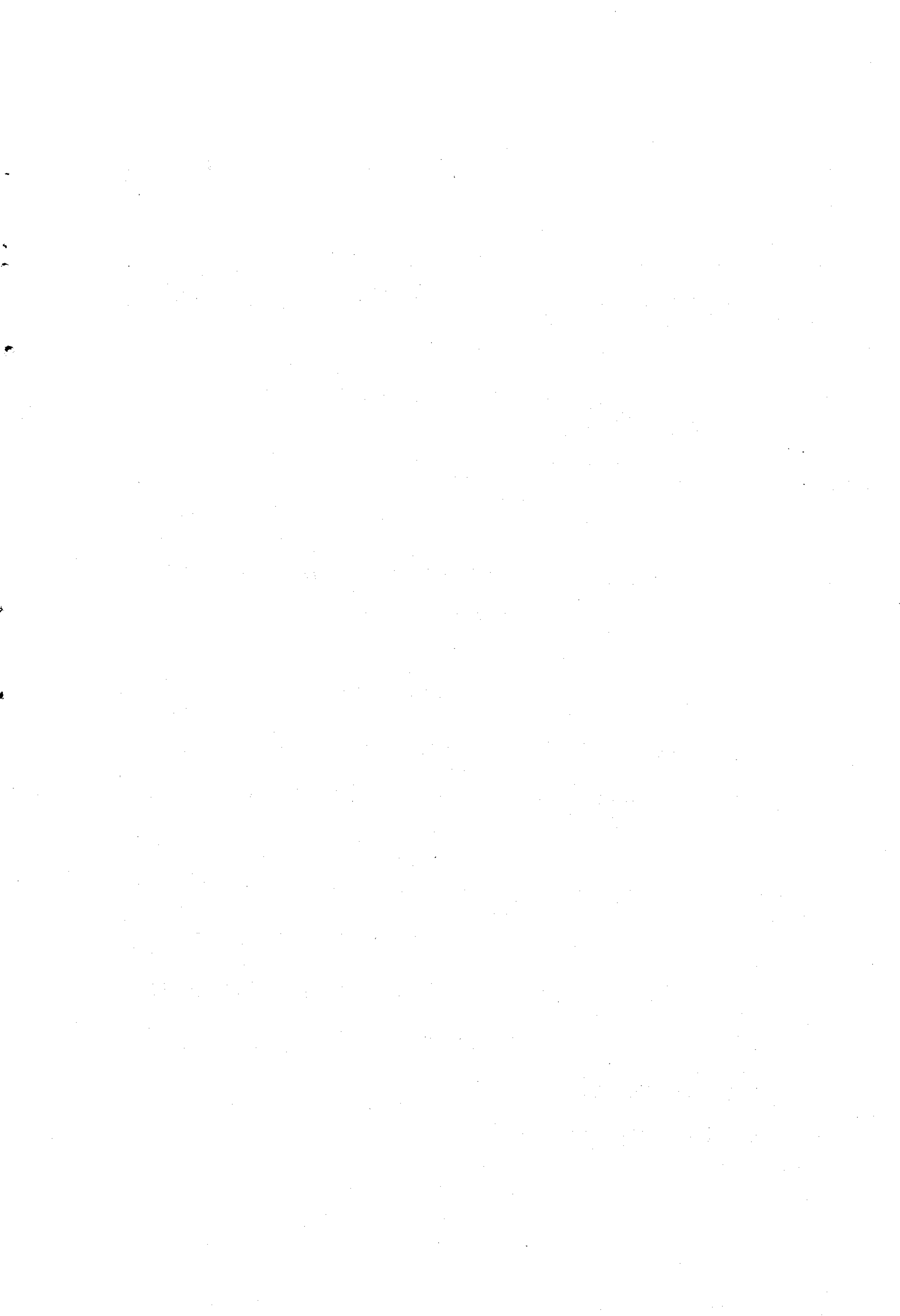
اللهم أنت ربِّي لا إله إلا أنت خلقتَني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ماستطعتُ أعوذبك من شر ماصنعتُ أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت .

اللهم اجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم واجعله لي أجراً وذخراً بعد مايأتيني اليقين وينقطع عمل العاملين .

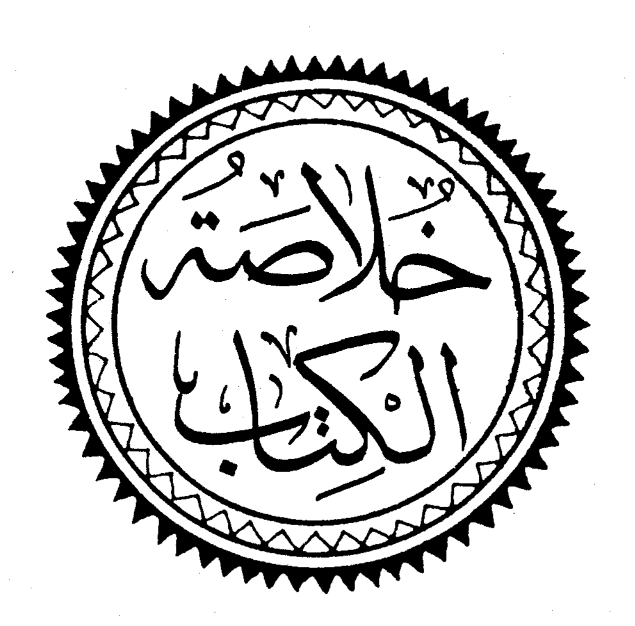
والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

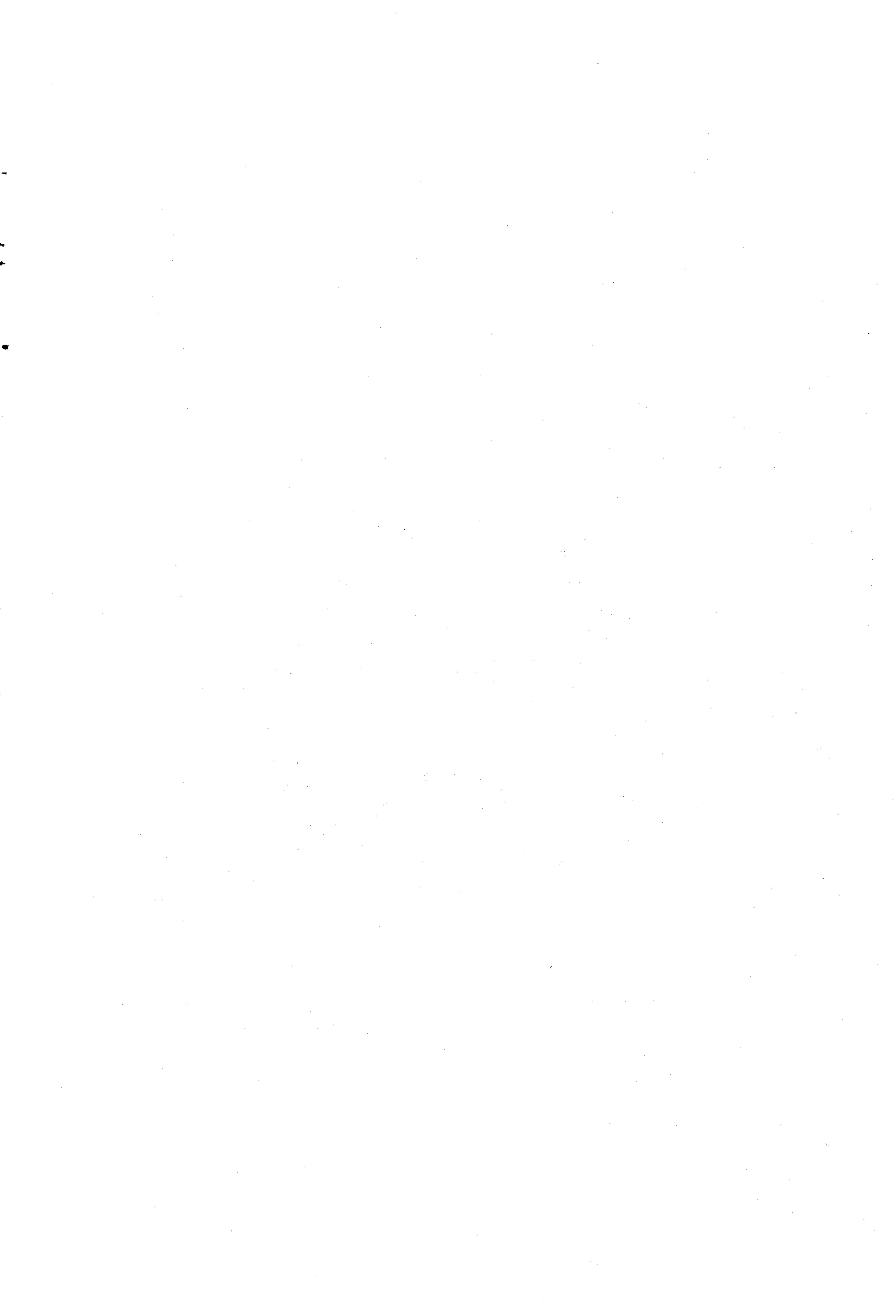
أبو طلحة / محمد يونس بن عبدالستار

نزيل المدينة المنورة (زادها الله شرفا وكرامة)



بسم الله الرحمن الرحيم





خلاصة الكتاب

من المعلوم أن هذا العهد قل فيه الخير وكثر فيه الشر ، لأن الأعمال المادية لزمت وعلت وغلبت على بنى آدم ، وهم لا يجدون فرصة ليتفقهوا في الدين ويطالعوا الكتب الدينية لتزيين حياتهم الدنيا والآخرة إلا من رحم ربي ، وقليل ماهم ، يُخشى أن يصدق عليهم قوله تعالى ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿ولقد أضـلَّ منكم جبلًّا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون﴾ .

ومن الناس من قال الله تعالى في شأنهم : ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ ، أى لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم ، لأن ماعندهم ينفد وما عندالله باق ، ويقدمون طاعته ومراده على مرادهم ومحبتهم ، ذكره ابن كثير .

طوبى لهؤلاء الذين أثنى عليهم الله بنفسه ، اللهم اجعلنا منهم آمين يارب العالمين .

وللناس أجناس فلذا نرى بعض الناس جالسون في دكاكينهم ويزيِّنون أوقاتهم الفارغة بتلاوة كتاب الله المنزل من السماء ويحفظونها بمطالعة الكتب الدينة ليتفقهوا في الدين، هم هؤلاء الذين أثنى الله عليهم جل جلاله .

ونرى كثيرا من الناس استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، وقد ذمهم الله تعالى بقوله ﴿فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً﴾ فلو يحفظوا أوقاتهم ويطالعوا الكتب الدينية بالاستيعاب لتزيين حياتهم الدنيا والآخرة

لكان خيرا لهم ، لأن العلم يحض الانسان على الباقيات الصالحات ويتقرب العبد بها إلى الله جل جلاله . قال الله جلت عظمته ﴿ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ الآية قال ابن كثير : أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ، ولا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم فإن الجزاء من جنس العمل . ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ انتهى .'

بعد هذا المذكور نقول : قد لخصت كتابي هذا «**أين الخاشعون في الصلاة ؟**» في صفحات عديدة للذي لايقدر أن يقرءه بالاستيعاب ، وجمعت فيها الأمور التي تورثه الخشوع في الصلاة ليستفيد منه القارى بأسرع وقت ، فمن قرأه كان خاشعا في الصلاة إن شاء الله ، فهل من مدّكر وراغب في حصول الخشوع في الصلاة ؟

وعلى القاريء أن يقرأ هذا الملخص مرارا لتقرر هذه الأمور في قلبه وذهنه وبمقارنة هذه الأمور في الصلاة ليجد القارىء أقساطا من الخشوع إن شاء الله تعالى ، والله أسأل أن يجعلنا من الخاشعين والخاشعات آمين .

ملاحظة : العبارة التي جعلتها بين القوسين مثل « ....» هي من أصل الكتاب ، وأما غيرها فهي إضافة من عندي لتشجيع القارىء على الخشوع في الصلاة .

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . ولا تجعلنا من الذين قلت في حقهم : ﴿فمالهم عن التذكرة معرضين ، كأنّهم حُمُر مُستَنْفرة فرَّت من قَسوَرة﴾ آمين يارب العالمين .

الأمور التي تورثك الخشوع في الصلاة إن شاء الله تعالى

قـــم ! أسبغ الوضوء وأحسنه بمراعاة السنن والآداب وبالسواك ، وربك فكبِّر وثيابك فطهر وانصب نفسك أمام مالك الملك ذى الجلال والاكرام الذي يدعوك إلى الصلاة ويدعوك إلى بيته لكي تناجيه وتؤدي الأمانة وتسأل فيما ترغب . وصلِّ صلاة يباهي بها ربك ، ولا تكن مثل الذي قيل في حقه . «يوشك أن تدخل مسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا» الحديث ص٩.

فعليك أن تذكِّر وقت الصلاة : هل تحب أن تكون من هؤلاء القوم الذين يصلون ولا يصلون ، أجسادهم في المسجد وقلوبهم في السوق ؟ أم تحب أن يكون قلبك خاشعا وروحك مستلذا بمناجاة الرب جل وعلا ، وهذا أحلى وألذ لك أيها المصلى ! وفيه قرة عينك . اهـ .

كلمة عن التأليف

لفضيلة الشيخ الوليد بن عبد الرحمن الفريان ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

ففي حديث المسيء صلاته «ارجع فصلِّ فإنك لم تصل» ص ٢١ .

«ولما رأى حذيفة رجلا لايتم الركوع ولا السجود قال له : ماصليت ولو مت مت على غير الفطرة» ص ٢١ .

«ومعنى الخشوع : هو الذل والخضوع والتواضع والانكسار ، مع كمال الحب والتعظيم لله عزوجل والانقطاع عما سواه ، وأصله نابع من معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله وكماله ، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع» ص٢٢.

«وهو – أى الخشوع – واجب من واجبات الصلاة ، ومن فاته كان آثما عاصيا» ص ٢٢.

المقدمة

«وعن النبي صلى الله عليه وسلم يافلان ! ألا تُحسن صلاتك ؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي ؟ فإنما يصلِّي لنفسه» الحديث . راجع ص ٢٨ .

أطع أبا القاسم ﷺ وانظر إلى صلاتك واحسنها وزيِّنها بمراعاة السنن والآداب ، وانظر كيف تسجد ؟ كيف تركع ؟ كيف تقوم ؟ وأمام من تقوم ؟ وكيف تقعد؟ وماتقول في هذه الأحوال كلها ولمن تقول ؟ وهل أديت هذه الأمانات إلى إهلها كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه جل وعلا ؟

«لا ينظر الله عزوجل إلى صلاة عبد لايقيم فيها صلبه بين خشوعها وسجودها» الحديث ص ٢٩ .

«قال النبي ﷺ : إن الرجل لينصرف ، وما كُتب له إلا عشر صلاته تُسعها ثمنها سبعها سُدسها خُمسها رُبعها ثُلثها نصفها» ص٣٠.

فاختر لنفسك ماتحب من هذه الحصص أيها المصلي !

«ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعا ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعا ، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ......» الحديث ص ٣١ .

«وفيه : فقال : إني كنت ركعت ركعتي الفجر فقال : يارسول الله ! إنك أصبحت جداً ، قال : لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما» . ص ٣١ .

فعلم بذلك أن حق الصلاة تحسينها وتجميلها .

«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ص ٣٢ .

أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام

«أخرج أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن أفضل الاعمال ؟ فقال ﷺ : «الصلاة ، قال

ثم مَه ؟ قال : الصلاة ، قال ثم مه ؟ قال : الصلاة – ثلاث مرات – فلما غلب عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجهاد في سبيل الله ..... الحديث» . ص ٤٤

«سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لأول وقتها»

«كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل يغرغر بها ، وما يفصح بها لسانه» ص ٤٦ .

«كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم : الصلاة الصلاة ، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم» . ص ٤٧

«إن أول مايحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ، قال : يقول ربنا عزوجل لملائكته وهو أعلم : انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئا قال : انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك» . ص ٤٨

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» . ص ٤٩

«لا إسلام لمن لم يصل» «ومن لم يصل فقد كفر» . ص ٥٠

«وقد ذكر الفقهاء أن الرجل إذا كان في سياق الاحتضار وهو يقدر على أداء الصلاة ولو بالايماء فعليه أن يصلي ولا يتركه» .

فالذين يصلون الصلاة خاشعين مطمئنين يجدون فيها حلاوة لايجدون في غيرها وهذه الصلاة لها مكانة عظيمة في الاسلام وهي أفضل الأعمال وأرفعها عندالله تعالى» . ص ٥٨

الخشوع في الصلاة

«والمراد بالخشوع : خضوع النفس وتذللها وانقيادها لأوامر الله تعالى ، عندما يحصل الخشوع يقوم العبد أمام ربه متواضعا وتتكسر شهوات النفس ، ويزول استكبارها ، وتتيقَّن أنها تناجي ربَّها ، فلا تلتفت يمينا ولا شمالا ، ويظهر أثر ذلك في أعضاء المصلِّي ، فلا يعمل عبثاً ، ولا ينظر إلى الجُدران ، ولا يكفّ ثوباً ، ولا يلعب بلحيته ، ولا بثوبه ، وغير ذلك مما يعتري الذي لا يخشع في صلاته» . راجع ص ٧١ .

أهمية الخشوع في الصلاة

«إن قيل : فهل تقولون إن ذلك (أي الخشوع) واجب في الصلاة ؟ قلنا : عندنا واجب من عدة وجوه» : ص ٧٤ إلى ٧٦.

(١) «قوله تعالى : ﴿أفلا يتدبَّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ والتدبر لايتصور بدون الوقوف على المعنى ، ﴿أفلا يتدبَّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾» .

«وقوله تعالى : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿ورتِّل القرآن ترتيلًا﴾ معناه قف على عجائبه».

«وجاء عن الضحاك في معنى قوله تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلًا﴾ أي انبذه حرفا حرفا ، وتلبث في قراءته ، وتمهل فيها ، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده .

(٢) «قوله تعالى : ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ فظاهر الأمر للوجوب ، والغفلة تضاد الذكر ، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره».

(٣) «قوله تعالى : ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ وظاهر النهى للتحريم».

(٤) «قوله تعالى : حتى تعلموا ماتقولون﴾ تعليل لنهى السكران ، وهو مطَّرد في الغافل المستغرق المهتم بالدنيا».

(٥) «قوله عليه الصلاة والسلام : «إنما الخشوع لمن تمسكن وتواضع» وكلمة إنما للحصر» . ص ٧٦ .

«وقال ﷺ : «ليس للعبد من صلاته إلا ماعقل منها» ص ٧٦ .

وقال ابن القيم رحمه الله : فإذا لم يعقل من صلاته إلا في جزء واحد كان له الأجر بقدر ذلك الجزء وإن برئت ذمته من الصلاة» . راجع الهامش ص ٧٦ .

(٦) «وورد في الصحيح : «المصلي يناجي ربه» ص ٧٦ .

«والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة» . ص ٧٧ .

وقال صلى الله عليه وسلم : «إن المصلِّي إذا صلى يناجي ربه فليعلم أحدكم بما يناجيه ولا يجهر بعضكم على بعض» ص ٧٧ .

«قوله تعالى ﴿خاشعون﴾ روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال كان النبي ﷺ ينظر إلى السماء في الصلاة فأنزل الله عزوجل هذه الآية ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ فجعل رسول الله ﷺ ينظر حيث يسجد» . ص ٧٩ .

فأطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أيُّها المصلي ! وانظر حيث تسجد في صلاتك ، وكن من الخاشعين المبشرين بالفلاح . اللهم اجعلنا منهم آمين .

«قال القرطبي رحمه الله : وهو – أى الخشوع – من فرائض الصلاة ومحلُّه القلب «وهو أول عمل يرفع من الناس» اهـ ص ٨٠ .

«وقال الطبري رحمه الله : شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله ﷺ قال : «إن أول مايرفع من النَّاس الخشوع» . ص ٨٠ .

«وقال تعالى : ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ ؟»

هل لك في هذا المطلوب نصيب أيُّها المؤمن ؟!

«قال بعض الناس منهم الإمام سفيان الثوري رحمه الله يروى عنه أبو طالب المكي قائلا : «من لم يخشع فسدت صلاته» . ص ٨١ .

«وعن الحسن البصري : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع.

ونعم ما قال الشاعر

تصلى بلا قلب صلاة بمثلها
يصير الفتى مستوجبا للعقوبة

تخاطبه إياك نعبد مقبلا
على غيره فيها لغير ضرورة

ولو ردَّ من ناجاك للغير طرفه
تميَّزت من غيض عليه وغيرة

ألاتستحي من مالك الملك وأن يرى
صدودك عنه ياقليل المروَّة

صلاة أقيمت يعلم الله أنها
بفعلك هذا طاعة كالخطيئة ص ٨٢

«وعن أبي هريرة قال : إن الرجل ليصلي ستين سنة لايقبل الله له صلاة لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ، ويتم السجود ولا يتم الركوع» . ص ٨٣ .

ياأخي ! لا تصل الصلوات مثل هذا الرجل الذي يصلى ولا يقبل الله له صلاة ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا .

«فالحاصل أن أداء الصلاة بدون وعي وشعور وخشوع وحضور ماهي إلا صلاة شكلية خداج غير نافعة خالية من الفضائل والبركات المذكورة

في السنن والآثار للمصلين» . ص ٨٤ .

«انظر إلى خوضك في أعمال الدنيا وأمور مادية ، كيف تسعى وتجتهد في الحصول عليها وتغفل عن رب الأنام» . ص ٨٤ .

«وإليك مثالًا بسيطاً حينما تلقي السمع إلى الهاتف وتتكلم مع الآخر فتتوجه إليه توجّها تاما وتهتم به ، ولا تريد أن يختلط صوت غيره بكلامك حتى لاتلتفت يمينا ولا شمالا إذا كان هناك كلام هام على الهاتف ، هذا هو أسلوبك مع صاحبك في التكلم والاستماع فتستمع إليه كل الاستماع ، وهذا ربك تناجيه وتدعوه وتقول باللسان : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وتقول : ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ ولا تدري ماذا تقول ؟ وماذا تسأل من ربك وبماذا تخاطبه ؟ فشتّان بين كلام العبد وكلام خالق العبد ياأبا العجب» . ٨٤ .

«فلماذا لا تسلك نفس الأسلوب في الأعمال الدينية في العبادات والعقيدة فكأنك ترجح الدنيا على الدين قال تعالى : ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ ، وقال جلت عظمته : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾» ص ٨٤ .

الإلتفات في الصلاة

«قيل : من التفت يميناً وشمالا ذهب عنه الخشوع المتوقف عليه كمال الصلاة . ص ٨٨ .

«وقال ابن قدامة : يكره أن يلتفت في الصلاة لرواية عائشة رضي الله عنها «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» ولأنه يشغل عن الصلاة وكان تركه أولى اهـ» . ص ٨٨ .

«أخرج ابن عبدالبر عن نافع قال : سئل ابن عمر رضي الله عنهما أكان النبي صلى الله عليه وسلم يلتفت في الصلاة ؟ قال : لا ، ولا في غير الصلاة» اهـ» . ص ٨٨ .

«وإذا اعتاد العبد ذلك في غير الصلاة ، سهل عليه إمساك ذلك في الصلاة وإذا كان لفوتاً عسر عليه ضبط ذلك في العبادة ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يلتفت فإنما كان لما يحتاج إليه ، ألا ترى لما أصابه ذلك فيما لايحتاج إليه في شأن الخميصة أخرجها من ملكه ولم يجعلها في بيته ، واقتدت في ذلك الصحابة فخرجوا عن أموالهم التي ألهتهم في صلاتهم غيرها ، وكذلك فعل في قرام عائشة اهـ» . ص ٨٨

«وعن مجاهد قال : مايأمن هذا الذي يلتفت في الصلاة أن يقلب الله وجهه ، الله مقبل إليه وهو ملتفت عنه» . ص ٨٩

«وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ياأنس اجعل بصرك حيث تسجد» .ص ٩٠

«قلت : من اهتمَّ بالنظر في الصلاة إلى موضع سجوده واستمر على هذا في كل صلاته فإنه يجد قسطه من الخشوع والاقبال إلى الله سبحانه عن قريب إن شاء الله تعالى ، ولكن نظره إلى موضع سجوده في الصلاة والاستمرار عليه إنه لكبير أي ثقيل إلا على طالب الخشوع ولمن يريد أن يكون في زمرة الخاشعين الذين قال الله تعالى في حقهم ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . اللهم اجعلنا منهم آمين».

«قلت : أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا لمن يسكن في صلاته ولا يتحرك ولا يتميل إيمانا واحتسابا أن يجعل مسكنه الجنة التي هي محل السكون والطمأنينة والفرح الدائم ، قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون﴾ وقال تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ ومعنى خاشعون : أى خائفون ساكنون ، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما» .ص ٩١

«قال عطاء : بلغني أن الرب يقول : ياابن آدم ! إلى من تلتفت - أي في حالة الصلاة - ؟ أنا خير لك ممن تلتفت إليه» ص ٩٣

درجات الأجر على الصلاة

«عن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عُشر صلاته تُسعها ثُمنها سبعها سُدسُها خُمسها رُبعها ثُلثها نصفُها» . ص ٩٥ .

«وفي رواية : «منكم من يصلي الصلاة كاملة ، ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع ، حتى بلغ العشر». ص ٩٥ .

إى والله هكذا نصلى ، وللناس أجناس ، منهم من يصلي الصلاة كاملة برعاية السنن والآداب ، فيكتب له الأجر الكامل ، حتى إن البعض يكتب له العشر فقط ، والبعض يعود صفر اليد من الأجر وهؤلاء يصدق عليهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم «يأتي على الناس زمان يصلُّون ولا يصلُّون» . ولا تكن من هؤلاء أيُّها المصلِّي ! وصلِّ صلاة لا تعدله صلاة ويباهي به ربنا جلَّ وعلا .

«قال رسول الله ﷺ : «فمن صلى الصلاة لوقتها ، وأصبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعا وركوعها وسجودها ، خرجت وهي بيضاء مسفرة ، تقول : **حفظك الله كما حفظتني** ، ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ، ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها ، خرجت وهي سوداء مُظلمة ، تقول : **ضيَّعك الله كما ضيَّعتني** ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفَّت كما يُلفّ الثوب الخَلِق ثم ضُرب بها وجهُه» . ص ٩٦ .

وكم من مصلّ ماله من صلاته
سوى رؤية المحراب والكد والعنا

«اللهم إنا نعوذ بك من صلاة لا تنفع» .

«قال صلى الله عليه وسلم : «مابال أقوام يتلى عليهم كتاب الله فلا يدرون ماتلي عليهم منه مما ترك ، هكذا أخرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل فشهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ، ولا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد بقلبه مع بدنه» قطعة من الحديث ص ٩٧

قاله صلى الله عليه وسلم حينما صلى بالناس صلاة يجهر فيها فأسقط آية فقال : يافلان ! هل أسقطتُ في هذه السورة من شيء ؟ قال : لا أدري ، ثم سأل آخر ، حتى سأل اثنين أو ثلاثة كلهم يقول : لا أدرى .

«فأصبحت صلاتنا كعادة الماكينة تدور وتمشي وتروح وما تدري ماذا تفعل؟ وأن الذهاب إلى المسجد والعود منه والوقوف بين يدي الله والرُّكوع والسجود كل ذلك صار أمراً عاديا ، لا لذَّة للنفس في الركوع والسجود ، ولا حسَّ لها في القيام والقعود» . ص ٩٩

لما ذا هذا كله أيها المصلى ؟ فهل إلى رجوع من سبيل .

«ولما ننظر إلى أنفسنا وصلواتنا فكأنها ثقل على أكتافنا ، ولا يحضر قلوبنا إلى مانفعل ونقول فيها ، فمنَّا من يُسرِّح لحيته ، ومنهم مَن يحاسب تجارته أو يرتِّب كيده وأكاذيبه ليعرضها أمام المسئول ، ومنهم من يلعب بثوبه وغير ذلك ممايفعله السَّاهون اللَّاهون ، هذا مايتعلق بالمصلين» . ص ١٠٠

«وأما التاركون لها والمعرضون عنها فيجدون الفرصة لتجميل صورهم أمام المرايا الطويلة وتزيين الثياب ، ولقاء الأحباب ، لكن لا يجدون فرصة واحدة ليقوموا بين يدي ربِّهم عابدين ساجدين ، يستجيبون للشيطان ، ويحضرون الملاهي – إلا ماشاء الله – ولا تكتحل عيونهم بالنوم طول الليل لأجل اللهو واللعب والنَّظر إلى ماتشتهيه النفس ، ولا يحبون بيوت الله التي ترفع ويذكر فيها اسمه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «المرء مع من أحبَّ». ص ١٠٠

«أيها الغافل ! وأنت مشتغل بشتَّى ألوان اللهو والعبث وتحبُّها حبا لا يعدله حب ، ولا تقدر أن تتركها لأن الشيطان يزيِّنها لك ويقول : حيَّ على صبأ ونسيم وهي صرصر وسموم ، ويقول : حيَّ على ضياء ونور ، وهي ظلمة وثبور ، وأنت تلبِّي تلبية العاشق الأعمى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، اللهم اهدنا الصراط المستقيم». ص ١٠٠

«إن المصلي لا يكلم أحدا ولا يستمع إلى الناس ، بل هو يناجي ربه ، فمرة تراه يعتذر ويستغفر ربه ومرة يركع ، ومرة يسجد على الأرض ، وهو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «الساجد يسجد على قدمي الله تعالى» ص ١٠١

قال صلى الله عليه وسلم : «إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاة مُودِّعٍ ولا تكلم بكلام تعتذر منه غداً وأجمِعِ الاياس ممَّا في أيدي النَّاس»ص١٠٣

«وعن أم سلمة : «إذا صلى أحدكم فليصل صلاة مودِّع ، صلاة من لا يظن أنه يرجع إليها أبداً» . ص ١٠٣

المشي إلى الصلاة بالسكينة والوقار

«قال صلى الله عليه وسلم : «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تُسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»ص ١٠٤

«وعن أبي عبيدة عن عبدالله قال : امشوا إلى الصلاة وقاربوا بين الخُطى ، واذكروا الله» . ص ١٠٦

«وعن أبي سنان عن محمد بن زيد بن خليدة قال : كنت أمشي مع ابن عمر إلى الصلاة فلو مشت معه نملة لرأيت أن لا يستبقها» .ص ١٠٧

الإحتراز من الروائح الكريهة

«قال صلى الله عليه وسلم : «من أكل من هذه البقلة الثوم ، وقال مرة من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» . ص ١٠٩

«فقد علمنا أن شريعتنا الغراء حثت على التآخي والتعاطف والتآلف ونهت عن كل مايسبب الفرقة ، وحثت على الغسل يوم الجمعة لازالة روائح العرق ، وهكذا نهت عن تناول البصل والثوم وغير ذلك لمن يقصد المسجد خشية من انبعاث بعض الروائح التي تسبب الفرقة وتؤذي المصلين» . ص ١١٠

«فلما نظرنا إلى علة النهى وهو إيذاء الملائكة والمسلمين الحاضرين علمنا بذلك أن النهى ليس منحصراً في أكل الثوم والبصل والكراث بل كل ماكان سببا لتولّد الرائحة الكريهة كالتدخين بالسيجارة أو الشيشة أو أكل التنباك أو وضعه في الفم كما يفعله بعض الناس فإن في كل ذلك إيذاء الملائكة والمسلمين لذا يجب على الرجل إذا أراد أن يأتي المسجد إزالة الرائحة الكريهة لئلا يتأذى الإنس والجن والملائكة» . ص ١١٠

«فعلينا الاهتمام بالسواك لننال فضائله وعدم الايذاء بالملائكة والمسلمين» .

أهمية السواك وفضائله

وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا يتسوَّك قبل أن يتوضأ» ص ١١٥

«كتب عمر إلى أمراء الأجناد وفيه : .... واعلموا أن العبد إذا قام من الليل فتسوَّك وتوضأ ثم كبَّر وقرأ وضع الملك فاه على فيه ويقول : أتل أتل فقد طبت وطاب لك ، وإن توضأ ولم يستك حفظ عليه ولم يعدُ ذلك ، ألا وإن قراءة القرآن مع الصلاة كنز مكنون وخير موضوع فاستكثروا ما استطعتم» . ص ١١٥

«عن عائشة رضي الله عنها رفعته : فضل الصلاة بسواك على الصلاة بغير سواك سبعون صلاة» . ص ١١٦

كراهية الصلاة في بيت فيه تماثيل

«قال ابن عباس : لا تصلِّ في بيت فيه تماثيل» . ص ١١٨

«وفي رواية عن أنس قال : كان قرام لعائشة سترتْ جانب بيتها ، فقال

النبي صلى الله عليه وسلم : «أميطي عنا قِرامِك هذا فإنه لا تزال تصاويره تَعرض في صلاتي». ص ١١٨

«وورد في الصحيح عن عبدالله بن أبي أوفى قال : اعتمر رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس فقال له رجل : أدَخل رسول الله ﷺ الكعبة ؟ قال : لا . أى لم يدخل في هذه العمرة» . ص ١٢٠

«قال النووي رحمه الله : سبب ترك دخوله ماكان في البيت من الأصنام والصور ولم يكن المشركون يتركونه ليغيرها ، فلما كان الفتح أمر بإزالة الصور ثم دخلها» . ص ١٢١

«ولم يكتف عدونا المبين اليهود والنصارى ﴿لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ الآية – بوضع الصور في البيوت بل جعلوا الصور على كل شيء يستعمل في البيوت مثل الأواني والكراسي والمخدات والستائر والمفروشات الناعمة والسجادات والبطانيات الصغار منها والكبار وغير ذلك من النعال واللباس نزين به أولادنا وأنفسنا فاقتدينا بهم في ذلك كله واستعملنا الأشياء التي فيها مشابهة اليهود والنصارى فأغلقنا أبواب الرحمة بعدم دخول ملائكة الرحمة إلى بيوتنا بهذا السبب الشنيع ، ثم نصلي في هذه الغرف والمحلات فندعوا الرحمن بدعاء عريض فأنّىٰ يستجاب لنا» . ص ١٢٣

كراهية تشبيك الأصابع في الصلاة وغيرها

«عن مولى لأبي سعيد الخدري أنه كان مع أبي سعيد الخدري وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، قال : فدخل النبي ﷺ المسجد فرأى رجلا جالسا وسط المسجد مشبِّكا أصابعه يحدث نفسه ، قال : فأومأ

إليه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفطن ، فالتفت إليه أبي سعيد الخدري فقال : إذا صلى أحدكم فلا يشبّكن بين أصابعه ، فإن التشبيك من الشيطان ، فإن أحدكم لا يزال في الصلاة مادام في المسجد حتى يخرج منه» ص١٢٨

كراهية التثاؤب في الصلاة ونسبته إلى الشيطان الرجيم

«عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم مااستطاع ، فإن الشيطان يدخل» .

وفي رواية للبخاري عن أبي هريرة قال : إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم مااستطاع ولا يقل هاء ، فإنما ذلكم من الشيطان يضحك منه» ص١٢٩

«قال الراقم : التثاؤب فعل مكروه ، وفيه فرحة للشيطان عدو الإنسان ، وأمرنا بكظم الفم عند التثاؤب حسب الاستطاعة في الصلاة وغيرها ، وطريقة تكظيم التثاؤب وضع اليد على الفم ، وطريقة سمعناها من بعض الأساتذة هو أن يتفكر الإنسان حينما يحس بوقوعه بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لايتثاؤبون فهذا التصور يمنع التثاؤب إن شاء الله ، جربناه مرارا اهـ».

«ثم رأيته في حاشية ابن عابدين الشامي على الدر المختار فقال : (فائدة) : رأيت في شرح تحفة الملوك المسمى بهدية الصعلوك مانصه قال الزاهدي : الطريق في دفع التثاؤب أن يخطر بباله أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ماتثاؤبوا قط ، قال القدوري : جربناه مراراً فوجدنا كذلك اهـ .

قلت : وقد جربته أيضا فوجدته كذلك انتهى» . ص١٢٩

«وعن يزيد بن الأصم قال : ماتثاؤب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة قط». ص ١٣١

وعن علي التثاؤب في الصلاة من الشيطان وشدة العطاس والنعاس عند الموعظة» . ص ١٣١

«وعن عبدالرحمن بن يزيد قال : نُبِّئتُ أن للشيطان قارورة يشمها القوم في الصلاة كي يتثاؤبوا». ص ١٣١

«عن أبي معشر عن إبراهيم قال : يردُّ الرجل التثاؤب في الصلاة ماستطاع فإن غُلب عليه وضع يده على فيه» .ص ١٣١

«قوله (يرد الرجل التثاؤب في الصلاة ماستطاع) قلت : هذا لايمكن إلا بإقبال كلي وتوجه تام في الصلاة بأن يعلم حركاته وسكناته وأن يصلى مودِّعا لصلاته فيسهل عليه حينئذ الانتباه على الأمور التي تخل بالخشوع في الصلاة إن شاء الله». ص ١٣١

تشميت العاطس في الصلاة

«عن معاوية بن حكم السُلمي قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم فقلت : واثُكل أمَّياه ماشأنكم تنظرون إليَّ ؟ .... وفيه : «إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس ، هذا إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال صلى الله عليه وسلم» الحديث ص١٣٣

«قال النووي رحمه الله : إذا قال : يرحمك الله بطلت صلاته ، لأنه خاطبه ولو قال : يرحمه الله فلا ، وقال ابن الهمام : لو قال لنفسه : يرحمك الله فلا تفسد ، كقوله : يرحمني الله ، وعن أبي يوسف لا تفسد في قوله لغيره ذلك لأنه دعاء بالمغفرة والرحمة ، ولهما هذا الحديث اهـ» . ص ١٣٢

«وفي شرح السنة : لا يجوز تشميت العاطس في الصلاة فمن فعل بطلت صلاته ». ص ١٣٣

«مالك أنه بلغه أن رجلا عطس يوم الجمعة والإمام يخطب فشمته إنسان إلى جنبه – وفي نسخة عن جنبه – فسأل عن ذلك سعيد بن المسيّب فنهاه

عَن ذلك وقال : لا تعد» . ص ١٣٦

«وفي المدوَّنة قال الإمام مالك فيمن عطس والإمام يخطب ، فقال يحمد الله في نفسه سراً ، ولا يشمت أحد العاطس . وفي الدر المختار : وكل ماحرم في الصلاة حرم في الخطبة ، فيحرم أكل وشرب ، وكلام ولو تسبيحا ، أو رد سلام أو أمر بمعروف ، والأصح أنه لا بأس يشير برأسه أو يده عند رؤية منكر ، ولا يجب تشميت ولا رد سلام ، به يفتى» . ص ١٣٧

«عن عبيدالله بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال لصاحبه يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغا» . ص ١٣٧

«وعن علقمة بن عبدالله قال : قدمنا المدينة يوم الجمعة ، فأمرت أصحابي أن يرتحلوا ، ثم أتيت المسجد فجلست قريبا من ابن عمر ، فجاء رجل من أصحابي فجعل يحدثني والإمام يخطب ، فقلنا : كذا وكذا ، فلما أكثر قلت : اسكت ، فلما قضينا الصلاة ذكرت ذلك لابن عمر ، فقال : : أما أنت فلا جمعة لك ، وأما صاحبك فحمار» . ص ١٣٧

كراهية العبث في الصلاة

«عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أمر النبي أن يسجد على سبعة أعظم ولا يكفُّ شعره ولا ثوبه» . ص ١٣٩

عن زيد بن وهب عن عبدالله أنه دخل المسجد فإذا فيه رجل يصلي عاقصا شعره ، فلما انصرف قال عبدالله : إذا صليت فلا تعقص شعرك فإن شعرك يسجد معك ولك بكل شعرة أجر ، فقال الرجل : إني أخاف أن يتترَّب (فقال تترِّبه) خير لك» . ص ١٤٠

تنبيه لابد منه

«نرى كثيراً من الناس أنهم يضعون العمائم والشمغ – جمع شماغ – على قصاص الشعر أو الجبين بشكل خاص ، ثم إنهم يحرصون على بقائه كذلك في الركوع والسجود ، ويرون تغيير تلك الهيئة نقصاً في المظهر فيعيدون ذلك الترتيب مراراً في الصلاة ولاينظرون إلى أن ذلك مخل بالخشوع والتوجه إلى الرب المعبود المسجود له وإلى مخاطبهم ﴿إيَّاك نعبد وإياك نستعين﴾ » ص١٤٢

«فإذا قام الرجل إلى الصلاة وهو ملتفت إلى شعره وثوبه وشماغه وعباءته ومنظاره وساعته أنَّى يحصل له الخشوع والخضوع» . ص١٤٢

«أيها القارئ ! هذا الذي يعبث بشيء من جسده أو بلحيته أو بثوبه في الصلاة قد فقد الخشوع وضيّعه كما قال عطاء في معنى ﴿الخاشعون﴾ : هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة» . ص١٤٢

«وقال تعالى : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال مجاهد غافلون فيها متهاونون بها اهـ» .

وإذا كان الإنسان غافل وهو في الصلاة فلا يقدر أن يذكر الله فيها إلا قليل لأنه أكثر تفكرا في أمور الدنيا . وقد قال الله تعالى : ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ اللهم احفظنا من هذا السوء . آمين .

«قال أبو بكر بن أبي شيبة في مصنَّفه «الرجل يسترخي إزاره في الصلاة» عن إبراهيم أنه كره أن يحدث الرجل في الصلاة شيئا حتى زرّ القميص» .

«وعنه أنه كره أن يتوشح أو يرتدى وهو في الصلاة» .ص١٤٢

فهل من مصلّ يستطيع أن لا تصدر منه هذه الحركات التي لا تليق بشأن الصلاة ولا لذة فيها ؟ .

«قال تعالى في شأن صلاة نبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿وتوكل على العزيز الرحيم الذين يراك حين تقوم وتقلُّبك في الساجدين﴾ ».

«.................. أو المراد حين تقوم إلى الصلاة كذا قال المفسرون ﴿وتقلُّبك في الساجدين﴾ يعنى يرى تقلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك أو في محل تقوم يعنى يراك حين تقوم أى ومع المصلين في الجماعة» . ص١٤٤

كما أن الله تعالى يرى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة كذلك يرانا ربنا جل وعلا كما قال تعالى : ﴿والله يعلم متقلَّبكم ومثواكم﴾ ، وقال تعالى : ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ أى أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء.

وقال تعالى : ﴿إن ربَّك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلُثَي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾ الآية . وفي الآية ذكر طائفة من المصلين .

فكيف يغفل الإنسان عن ربه سبحانه وهو في أهم العبادات وربُّه يراه ويسمع كلامه ؟ وعلى المصلي أن يشهد بقلبه مع بدنه في الصلاة لكي لا تخرج عظمة الله من قلبه .

لا يمسح الجبهة والأنف في الصلاة

«عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا كنت في الصلاة فلا تمسح جبهتك ولا تنفخ ولا تحرك الحصباء» ص١٤٧

«عن ابن بريدة : كان يقال : أربع من الجفاء أن يمسح جبهته قبل أن ينصرف أو يبول قائما ، أو يسمع المنادى ثم لا يجيبه ، أو ينفخ في سجوده» .

فعلينا الأحتراز عن مسح الجبهة والأنف في الصلاة لأن الاحتراز منه من باب التواضع لله سبحانه ، وأمر مستحب وأحلى وألذ ، وفي ذلك اقتداء

لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاقتدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وسلم فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته فإنه أفضل السنن ، وقال تعالى : ﴿فبهداهم اقتده﴾ اللهم اهدنا الصراط المستقيم آمين يارب العالمين» . ص ١٤٨

مسح الحصى وتسوية التراب وغير ذلك في الصلاة

«عن النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يمسح الحصى» . ص ١٤٩

«وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا كنت في الصلاة فلا تحرك الحصى» .

قوله «فلا يمسح الحصى» قال العراقي في شرح الترمذي : تعليل النهى عن مسح الحصى بكون الرحمة تواجهه يدل على أن حكمته أن لا يشغل خاطره بشيء يلهيه عن الرحمة المواجهة له فيفوته حظه من تلك الرحمة» ص ١٤٩

«رأى ابن عمر رجلا يقلب الحصى في الصلاة ، فقال : لا تقلب الحصاة في الصلاة ، فإن ذلك من الشيطان » . ص ١٥٠

هل يحب المسلم مايجعل الشيطان نصيبه في صلاة المصلي ؟ كلا ، لا يحبه المسلم .

«عن معمر بن عبدالرحمن قال : صليت إلى جنب رجل من أصحاب عبدالله فمسست الحصى فلما صلى قال : قال عبدالله : لايسألن أحدكم ربَّه شيئا من الخير وفي يديه الحجر» . ص ١٥٠

«عن جابر بن عبدالله قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن مسح الحصى في الصلاة ، فقال : واحدة ، ولان تمسك عنها خير لك من مائة ناقة كلها سوداء الحدَق» . ص ١٥١

«قال القارىء وفي شرح المنية : ويكره أن يقلب الحصى إلا أن لايمكنه

الحصى من السجود بأن اختلف ارتفاعه وانخفاضه كثيرا فلا يستقر عليه قدر الفرض من الجبهة ، وفي أظهر الروايتين أنه يسويه مرة ولا يزيد عليها اهـ.

«روى مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن أباذر كان يقول : مسح الحصباء مسحة واحدة وتركها خير من حُمر النعم» . ص ١٥٣

«قوله «وتركها خير من حُمر النعم» أى تلك المسحة والإقبال على الصلاة ، قال الزرقاني : هي الحمر من الإبل وهي أحسن ألوانها» .ص ١٥٤

«والمعنى أن تركه أعظم أجراً مما لو كانت له حمر النعم فتصدق بها أو عمل عليها في سبيل الله ، وقيل : الثواب الذي يحصل له بتركه أشد سروراً منه بحمر النعم لو كانت مِلكا له دائما» . ص ١٥٤

الإهتمام بترتيب الصفوف

«إن كثيرا من الناس لغافلون عن الإهتمام بتسوية الصفوف وإتمامها وسد الفرج بين الصفوف فلا يهتم به الإمام ولا الناس يسوُّون ، ومن المصلين الذين لا يسوُّون الصفوف مَن يؤذي جاره المصلي الذي يريد تسوية الصف وإتمامها ولايزال يشوش قلبه حتى لا يكاد يؤدى صلاته بالخشوع بفعلته ، ومنهم من إذا قيل له عليك أن تسوى الصف لا يتحرك كأنه حجر ، ويظن أنه أعلم منه بمسائل الصلاة ، هذا هو حالنا وأفعالنا في داخل المسجد عند أداء الصلاة التي تدعوهم إلى الانقياد الكلي أمام رب العالمين من حيث الظاهر والباطن ، وقس أحوالهم خارج المسجد» . ص ١٥٥

«وإليك حال الصحابة – رضي الله عنهم – عند أداء الصلاة ، ورب جبريل

كان الصحابة يحافظون على كل فعل فعله النبي صلى الله عليه وسلم ويعملون به ويبيِّنونه أمام إخوانهم إذا رأوا المنكر خلاف هدي المصطفى ﷺ».

«انظر إلى أنس بن مالك رضي الله عنه فإنه لما رجع من البصرة وجاءه أصحابه الذين كانوا يسألونه عن أفعال أنفسهم المنكرة وما كان خلاف هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم نبههم على عدم تسوية الصفوف كما أورده البخاري في صحيحه في «باب إثم من لم يتمّ الصفوف» :

«عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قدم المدينة فقيل له : ماأنكرت منا – أى أيّ شيء أنكرت – منذ يوم عهِدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ماأنكرت شيئا إلا أنكم لا تقيمون الصفوف» .ص ١٥٥

«عن النعمان بن بشير قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لتُسوَّن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم». ص ١٥٦

«قيل : أراد بها تحويلها إلى الأدبار ، وقيل : تغيير صورة إلى صورة أخرى كما في مجمع البحار» .ص ١٥٦

«وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة فيقول : «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم لِيليني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافاً» . ص ١٥٨

«قوله : «وأنتم اليوم أشد اختلافا» أى في الكلمة حتى فشت فيكم الفتن وذلك لعدم تسويتكم الصفوف . ذكره الشيخ الدهلوي» .ص ١٥٨

«وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولِينوا بأيدي إخوانكم .... ولا تذروا فرجات للشيطان ،

ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله» ص ١٥٩

«وفي رواية : رصُّوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذَفُ . أى ولد الغنم ».

«وصح عن سويد بن غفلة قال : كان بلال يسوى مناكبنا ويضرب أقدامنا في الصلاة ، فقال : ماكان عمر وبلال يضربان أحدا على ترك غير الواجب» .

ص١٦٠-١٦١

التأخر عن الصفوف الأولى

«عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه تأخراً فقال لهم : تقدَّموا وأتمُّوا بي وليأتمَّ بكم من بعدكم ، لايزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله في النار» . ص ١٦٢

«قوله «حتى يؤخرهم الله في النار» قال السندي : يعنى لا يخرجهم من النار في الأولين أو يؤخرهم عن الداخلين في الجنة أولا بإدخالهم النار وحبسهم فيها، أو يؤخرهم في النار أن يوقعهم في أسفل ماللمؤمنين من درك النار انتهى اللهم احفظنا من هذا الخزي يوم لا ظل إلا ظلك يارب العالمين آمين» ص١٦٢

فضل الصفوف الأولى

«قال صلى الله عليه وسلم : «لو يعلمون مافي العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا ، ولو يعلمون مافي الصفِّ المقدم لاستهموا» ص١٦٦ .

عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول» . ص١٦٧

«وعن هشام عن أبيه قال : كان يقال : إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلّون في الصفوف الأولى» . ص١٦٧

«وعن عروة بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سد الفرجة في صفّ رفعه الله بها درجة ، أو بنى له بيتاً في الجنة» . **ص١٦٨**

سبحان الله ! عمل قليل وأجر كبير ، فعلينا أن لا نترك الخير ولو كان صغيرا لأن فيه رضاء الباري جلت عظمته ، ولا نرتكب المعصية ولو كانت صغيرة لأن فيها غضب الرب جل وعلا .

«وعن ابن عمر قال : لأن يسقط ثيابي أحب إليَّ من أن أرى في الصف خَلَلا لا أسده» . ص١٦٨

خطر المرور أمام المصلين

«ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستُره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه ، فإن أبىٰ فليقاتلْه ، فإنما هو شيطان» أى المار بين يدي المصلي» .ص١٦٩

«وقال صلى الله عليه وسلم : «لو يعلم المارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه ، لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه» . قال أبو نضر : لا أدري قال أربعين يوما أو شهراً أو سنة» . ص١٧٠

«وللترمذي : لأن يقف أحدكم مائة عام» .

«وفي رواية : لكان أن يخسف به خيرا له» . ص١٧٠

ونِعمَ من صبر ونهى النفس عن المرور بين يدي المصلي فقليل مَّاهم ، ومن الصبر المحمود الانتظار والوقوف والامساك عن المرور إذا رأى أحدا يصلى و﴿إن الله مع الصارين﴾ و﴿يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ اللهم اجعلنا منهم آمين يارب العالمين .

«قال ابن رشد : اتفق الجمهور على كراهية المرور بين يدي المصلي لما جاء فيه من الوعيد اهـ» . ص ١٧٠

«وصرحت كتب الشافعية كلها بأن المرور أمامه حرام ، وصرحت كتب الحنفية والمالكية بالإثم على المار ، إلا أنهم قسموا أحوال المار والمصلي بإعتبار الاثم وعدمه على أربعة أنحاء» : ص١٧٠-١٧١

«يأثم المار دون المصلي وعكسه ، ويأثمان وعكسه» .

«قال الزرقاني : **الأولى** : إذا صلى إلى سترة ، وللمار مندوحة ، فيأثم المار دون المصلي» .

«**والثانية** : إذا صلى في مشروع مسلوك بلا سترة أو متباعدا عنها ، ولا يجد المار مندوحة فيأثم المصلي دون المار» .

«**والثالثة** : مثل الثانية لكن يجد المار مندوحة فيأثمان».

«**والرابعة** : مثل الأولى لكن لا يجد المار مندوحة ، فلا يأثمان اهـ».

«وقال في الدر المختار عن البدائع : هو رخصة - أي الدفع للمار بين يدي المصلي - فتركه أفضل .» ص ١٧١

«قال القرطبي : يدفع بالاشارة ولطيف المنع» .

«وذكر ابن عبدالبر في الاستذكار والزرقاني عن ابن بطال الإجماع على أنه لا يجوز له المشي من مكانه ليدفعه ، ولا العمل الكثير في مدافعته لأنه أشد في الصلاة من المرور» . ص١٧٢

ودفع المصلي وإن كان مرويا في الحديث لكن ليس معناه أن ينتظر المصلي وينظر المارين أنه كلما أراد أحد المرور بين يديه أن يدفعه فإن ذلك اختلاس من الشيطان والتفات إلى غير الصلاة ، نعم لو مرَّ ودفعه حسب ماورد في الحديث لكان له وجه على مااختاره بعض العلماء .

«قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أذّن بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا سكت المؤذن أقبل فإذا ثوِّب أدبر فإذا سكت أقبل فلا يزال بالمرء يقول له : أذكر كذا أذكر كذا مالم يكن يذكر حتى لا يدرى كم صلى .... الخ». ص١٧٤

«مالك أنه بلغه أن رجلا سأل القاسم بن محمد فقال : إني أهِم في صلاتي فيكثر ذلك عليَّ ، فقال القاسم : امض في صلاتك ، فإنه لن يذهب عنك حتى تنصرف وأنت تقول : ماأتممت صلاتي». ص١٧٦

«قوله «ماأتممت صلاتي» قال في المرقاة : لكن ماأقبل قولك ولا أتمها ارغاما لك ونقضا لما أردتَّه مني ، وهذا أصل عظيم لدفع وساوس الشيطان في سائر الطاعات ، والحاصل أن الخلاص من الشيطان إنما هو بعون الرحمن والاعتصام بظواهر الشريعة وعدم الالتفات إلى الخطرات والوساوس الذميمة ولا حول ولا قوة إلا بالله انتهى» .ص١٧٦

«قال النووي : وقال بعض العلماء يستحب قول لا إله إلا الله لمن ابتلى بالوسوسة في الوضوء أو في الصلاة أو شبههما ، فإن الشيطان إذا سمع الذكر خنس أى تأخر وبَعُد ، ولا إله إلا الله رأس الذكر ، ولذلك اختار السادة الأجلة من صفوة هذه الأمة أهل تربية والسالكين وتأديب المريدين قول لا إله إلا الله لأهل الخلوة وأمروهم بالمداومة عليها وقالوا : أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله تعالى والاكثار منه» . ص١٧٨

«قال السيد الجليل أحمد بن أبي الحواري : فأي وقت أحسست به فافرح فإنك إذا فرحت به انقطع عنك لأنه ليس شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمنين وإن اغتممت به زادك ، قلت : وهذا مما يؤيد ماقاله بعض الأئمة : إن الوسواس إنما يبتلى به من كَمُلَ إيمانه فإن اللص لايقصد بيتاً خرباً» ص١٧٨.

قال الراقم : إذا وقع الوساوس وأحاديث النفس في قلب المصلي فعليه أن يحترز عن إبقاء سلسلتها لأنه عمل اختياري . فإن ابقاء الوساوس ليس بأمر يلجأ إليه المصلي فدفعها وعدم الالتفات إليها أمر ممكن وإذا التفت إليها وذهب معها حسب ماتذهب فإنه لا يجد له نهاية ، وسلسلة الوساوس لا تنقطع أبداً

وقد حرض النبي صلى الله عليه وسلم أمته على صلاة لايسهو فيها نفسه ولا يحدث كما في رواية لأبي داود : «من توضأ فأحسن وضوءه ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر له ماتقدم من ذنبه .

وفي رواية لمسلم عن عثمان بن عفان : «لا يحدث فيهما نفسه» .

فعلم بذلك أنه من الممكن أن يصلي الرجل بدون الوساوس وأحاديث النفس ولكنها كبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون . اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه .

مدافعة البول والغائط في الصلاة

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لايأتي أحدكم الصلاة وهو حاقن حتى يتخفف» . ص ١٨٠

«وعن النبي صلى الله عليه وسلم : «إذا حضرت الصلاة وأحدكم يريد الخلاء فابدؤا بالخلاء». ص ١٨٠

«وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لايصلي أحدكم بحضرة الطعام ولا وهو يدافع الأخبثين» ص ١٨١

«وعن عكرمة قال : لأن أصرّه في عمامتي ثم أقوم إلى الصلاة أحب إليَّ من أن أدافعه وأنا أصلي يعنى الغائط والبول» . ص ١٨١

فضل السجدة في الصلاة وغيرها

«قد نرى بعض الناس ، لا بل أكثرهم عن هذه النعمة السَّنِيَّة محرومين ، وما هي النعمة ؟ الجواب : هي نعمة السجدة التي يصنعها الإنسان ويتركها حينما يلحق بالإمام وهو ساجد فينتظر رجوعه إلى القيام ثم يلحق به كأنه ثقل عليه أن يسجد للذي يسجد له مافي السموات والأرض وكأنه لا يدرى ماهي حقيقة السجدة ومكانتها وفضائلها» :

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

«السجدة وما أدراك ماالسجدة ؟

«ألا ترى قد خصَّها الله تعالى لنفسه فقط ولا يجوز لغيره تعالى ، وهي من إحدى الفرائض المفروضة في الصلاة ، ومن عظمة شأنها ورفعة مكانتها أنه عبر عن الصلاة بالسجود – أفضل العبادات – وقد ساغ هذا الاطلاق في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم» . ص ١٨٢

«وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى أحدكم الصلاة والإمام على حال فليصنع كما يصنع الإمام». ص ١٨٦

«واختار عبدالله بن المبارك أن يسجد مع الإمام وذكر عن بعضهم فقال : لعله لايرفع رأسه من تلك السجدة حتي يغفر له» . ص ١٨٧

«وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدوها شيئا ومن أدرك الركعة – أى الركوع – فقد أدرك الصلاة» . ص ١٨٧

«وقال صلى الله عليه وسلم : «.... فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» .

قوله «فما أدركتم فصلوا» صغية أمر يدل على الوجوب أى ماأدركتم مع الإمام من الركوع والسجود والقيام والقعود وغير ذلك من الأحوال التحقوا به ولا تنتظروا شيئا فإن حالة الصلاة خير من عدمها فاحرص عليه لأن الحرص والاستباق على الخير مطلوب إذا كان على وفق الشرع ، فنعم الاستباق إلى السجدة لله تعالى لأنك ماتقول عند الالتحاق إلا كلمة طيبة وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.» . ص ١٨٧

«ألا ترى أن كلمتك «الله أكبر» تملأ الميزان وتملأ مابين السموات والأرض وهو خير من الدنيا وما فيها لأن الدنيا فانية والكلمة الطيبة ليست بفانية يبقى جزائها أبد الأباد» . ص ١٨٨

«وعن مغيرة بن إبراهيم : على أيّ حال أدركتَ الإمام فلا تخالفه» .

الآثار والروايات في هذا الموضوع كثيرة تركناها للاختصار .

«ونقول في الأخير : والإنسان لايمنعه من السجدة إلا الشيطان لأنه للإنسان عدو مبين ، ولأنه ليس شيء أثقل على الشيطان من السجود لما لحقه مالحقه من الامتناع عن السجود لآدم عليه السلام كما في الصحيح للإمام مسلم» .ص ١٨٩

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ويقول : ياويلتي أمِر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرتُ بالسجود فأبيتُ فلي النار». ص ١٨٩

«ولا يخفى على الإنسان أنه لا يعمل عملا إلا إذا كان يعجبه ويحبه ويرى فيه فائدة له ، ومن هنا نرى المصلي كيف يجتهد ويسعى إلى الصلاة والإمام راكع لأنه يرى في حصول الركعة إذا أدرك الركعة – أى الركوع – مع الإمام فيسعى في حصول الفائدة وهو إدراك الركعة أو فضل الجماعة أو غير ذلك مما لا يخفى عليه ، لكن لا يسعى حق السعى في إدراك السجدة التي يتقرب بها العبد

إلى الله جلت عظمته ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾» .

«ولا تنس قول ربك جلا وعلا : ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ فسعادة الإنسان أن يكون ساجدا له بالإخلاص جل شأنه .

«ونقول في الأخير ولربِّك فاسجد طوعا أو كرها وأطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم لأنه شجَّع وحرَّض المصلي على هذه السجدة ، وعسى أنْ تقول في السجدة «ربِّ اغفرلي» فيغفر الله لك قبل أن ترفع رأسك من تلك السجدة . ولا تنتظر الإمام أن يقوم أو يقعد فتلحق به لأنك لو تسجد في هذا الحين تسجد لله الخالق الذي يراك حين تقوم وتقلُّبك في الساجدين ولا تكون سجدتك هذه للشمس ولا للقمر والأحجار أعاذنا الله من ذلك ، فأي شيء يمنعك عن هذا التواضع والافتقار أمام الغني الغفار جل شأنه ومن تواضع لله رفع الله» .

وقال تعالى : ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ »ص ١٩٠

وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

فهرس الكتاب

الموضوع ص

الموضوع

ص

الموضوع

ص